

لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثاني عشر

عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الثانية

(١٣٧٨ هـ — ١٩٦٧ م)

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم - ايران ١٤٠٤ هـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل

(٢٢٣)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام :

لله بلاد فلان ؛ فلقد قوَّمَ الأوَدَ ، وداوَى العَمَدَ ، وأقامَ السُّنَّةَ ، وخَلَّفَ الفِتْنَةَ ! ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قليلَ العَيْبِ ، أصابَ خيرَها ، وسَبَقَ شرَّهَا .
أدّى إلى اللهِ طاعته ، واتّقاهُ بحقِّه . رحَلَ وتركَهُمْ في طرق مُتَشَعِّبَةٍ ، لا يهتدِي بِهَا الضَّالّ ، ولا يستيقنُ المُهتدِي .

•••

الشَّرْحُ :

العرب تقول : لله بلادُ فلان ، ولله دَرُّ فُلان ، ولِلهِ نادِي فُلانٍ ، وَلِلهِ نائِحُ فلانٍ ! والمراد بالأول : لِلهِ البِلادُ الّتِي أنشأتْهُ وأنبتَتْهُ ، وبالثّاني : لِلهِ الثَّدْيُ الذي أرضعَهُ وبالثالثِ : لِلهِ المجلِسُ الَّذِي رُبِّيَ فيهِ ، وبالرابع : للهِ النَّائِحَةُ الّتِي تَنُوحُ عَلَيْهِ وتَنْدُبه ! ماذا تَعْهَدُ من محاسِنِهِ

ويُروى : «لله بلاءُ فلان » ، أي لله ماصنع ! وفلان المَكْنيّ عنه عمر بن الخطّاب؛ وقد وجدتُ النّسخة الّتي بخطّ الرضيّ أبي الحسن جامع " نهج البلاغة " ، وتحت «فلان» «عمر» ،

حدّثني بذلك نخار بن معدّ الموسوى الأودىّ الشاعر ، وسألتُ عنه النقيبَ أباجعفر يحيى ابن أبى زيد العلوىّ ، فقال لى : هو عمر ، فقلت له أَيثنى عليه أميرُ المؤمنين عليه السّلام هذا الثناء ؟ فقال : نعم ؛ أمّا الإماميّة فيقولون : إنّ ذلك من التقيّة واستصلاح أصحابه. وأمّا الصّالحيّون[١] من الزيديّة فيقولون : إنه أثنى عليه حقّ الثناء ، ولم يضع المدح إلّا فى موضعه ونصابه . وأمّا الجاروديّة[٢] من الزيديّة فيقولون : إنّه كلام قاله فى أمر عثمان أخرجه مُخرَجَ الذمّ له ، والتنقّص[٣] لأعماله، كما يُمدَحُ الآن الأميرُ الميّت فى أيام الأمير الحىّ بعده ، فيسكوو ذلك تعريضاً به .

فقلت له : إلّا أنّه لا يجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضى ، إلّا إذا كان ذلك المدح صدقاً لا يخالطه ريبٌ ولا شبهة . فإذا اعترف أميرُ المؤمنين بأنّه أقام السنّة ، وذهب نقىّ الثوب ، قليلَ العيب ، وأنّه أدّى إلى الله طاعتَه ، واتّقاه بحقّه ، فهذا غايةُ مايكون من المدح . وفيه إبطالُ قول مَن طعن على عثمان بن عفّان .

فلم يجبنى بشىء ، وقال : هو ماقلت لك !

فأمّا الراونديّ ، فإنّه قال فى الشرح : إنّه عليه السلام مدح بعض أصحابه بحسن السيرة ، وأنّ الفتنة هى التى وقعت بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الاختيار والأثَرة.

وهذا بعيد ؛ لأنّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهراً بأنه يمدح والياً ذا رعيّة وسيرة، ألا تراه كيف يقول : « فلقدْ قوّم الأود ،وداوَى العمَد ، وأقام السّنة ، وخلّف الفتنة »!. وكيف يقول : « أصاب خيرها وسبق شرها » ! وكيف يقول : « أدّى إلى الله طاعته»! وكيف يقول : « رَحَل وتركهم فى طرق متشعّبة » !

---

(١) الصالحيون من الزيدية : أصحاب الحسن بن صالح . وانظر آراءهم فى الملل والنحل للشهرستانى ١٤٢

(٢) الجارودية من الزيدية ؛ أصحاب أبى الجارود زياد بن أبى زياد . الملل والنحل للشهرستانى ١٤٠

(٣) كذا فى ب ، وفى ا : « النقض » .

وهذا الضّمير ، وهو الهاء والميم فى قوله عليه السلام : « وتركهم » ، هل يصحّ أن يعود إلّا إلى الرعايا ! وهل يسوغُ أن يقال هذا الكلام لسوقة مِنْ عُرْض الناس ! وكلّ من مات قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان سوقةً لا سلطان له ، فلا يصحّ أن يُحمَل هذا الكلام على إرادةِ أحدٍ من الّذين قُتِلوا أوماتوا قبل وفاةِ النبي صلى الله عليه وآله؛ كعثمان بن مظعون، أو مُصعب بن عمير، أو حمزة بن عبد المطلب، أو عبيدة بن الحارث، وغيرهم من الناس . والتأويلاتُ البارِدة الغثّة لا تعجبنى ، على أنّ أبا جعفر محمد بن جرير الطبرىّ قد صرح أو كاد يصرّح بأنّ المعنىّ بهذا الكلام عمر، قال الطبرىّ: لما مات عمر بكته النّساء، فقالت إحدى نوادبه : واحَرّناه على عمر ! حزنًا انتشر ، حتى ملأ البشر [1] . وقالت ابنة أبى حثمة : واعمراه ! أقام الأوَد ، وأبرأ العَمَد ، وأمات الفتن ، وأحيا السّنن . خرج نقىّ الثّوب ، بريئا من العيب [2] .

قال الطبرىّ : فروى صالح بن كيسان ، عن المغيرة بن شعبة [3] ، قال : لمّا دفن عمر أتيتُ عليًّا عليه السلام، وأنا أحبّ أن أسمعَ منه فى عمر شيئا ، فخرج ينفُض رأسه ولحيته، وقد اغتسَل ، وهو ملتحِفٌ بثوبٍ لا يشكّ أنّ الأمر يصير إليه ، فقال : رحم الله ابن الخطاب ! لقد صدقت ابنَةُ أبى حَثْمة: « ذهب بخيرها، ونجا من شرها »، أما والله ماقالت، ولكن قُوّلت ! » .

وهذا كما ترى يقوّى الظنّ ؛ أن المراد والمعنىّ بالكلام إنّما هو عمر بن الخطاب .

***

---

(١) الطبرى : « واحرى على عمر ، حرا انتشر فملأ البشر » . وبعده : وقالت أخرى : « واحرى على عمر ، حرا انتشر حتى شاع فى البشر » .

(٢) تاريخ الطبرى ٤ : ٢١٨ (طبعة دار المعارف) .

(٣) فى الطبرى : « حدثنى عمر ، قال : حدثنى على ، قال: حدثنا على ، قال : حدثنا ابن دأب وسعيد ابن خالد عن صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة ... » .

قوله : « فلقد قوّم الأوَد »،أى العِوَج ، أوِد الشىء بالكسر يأوَدُ أوَداً،أى اعوجّ ، وتأوّد العود ، يتأوّد .

والعَمَد : انفضاخُ [1] سنام البعير ، ومنه يقال للعاشق : عَمِيد القلب ومعموده .

قوله : « أصاب خيرَها » أى خير الولاية ، وجاء بضميرها ولم يجرِ ذكرها لعادة العرب فى أمثال ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [2] .

وسبق شرّها،أى مات أو قتل قبل الأحداث والاختلاط الذى جرى بين المسلمين.

قوله : « واتّقاه بحقّه » ، أى بأداء حقه والقيام به .

فإن قلت:وأىّ معنى فى قوله : «واتقاه بأداء حقّه»؟وهل يتقى الإنسان الله بأداء الحقّ! إنما قد تكون التقوى علّة فى أداء الحقّ ، فأما أن يتقى بأدائه فهو غير معقول .

قلت : أراد عليه السلام أنّه اتّقى الله ، ودلّنا على أنه اتّقى الله بأدائه حقه ، فأداء الحقّ علّة فى علمنا بأنه قد اتّقى الله سبحانه .

ثم ذكر أنّه رَحَل وترك النّاس فى طرق متشعّبة متفرّقة ، فالضالّ لا يهتدى فيها ، والمهتدى لا يعلم أنه على المنهج القويم ، وهذه الصفات إذا تأمّلها المنصِف ، وأماط عن نفسه الهوى ، علم أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام لم يَعْنِ بها إلّا عمر ؛ لو لم يكن قد روى لنا توقيفاً ونقلا أنّ المعنىّ بها عمر ، فكيف وقد رويناه عمّن لا يتّهم فى هذا الباب !

***

[نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه]

ونحن نذكر فى هذا الموضع نُكتا من كلام عمر وسيرته وأخلاقه .

---

(١) انفضخ سنام البعير : انشدخ .

(٢) سورة ص ٣٢ .

أُتِىَ عمرُ بمالٍ ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : ياأميرَ المؤمنين ، لو حبستَ من هذا المال فى بيت المال لنائبةٍ تكون ، أو أمرٍ يحدث ! فقال : كلمة ماعرَض بها إلّا شيطان، كفانى حُجّتها ، ووقانى فتنتها . أعصى الله العامَ مخافة قابل ! أعدّ لهم تقوى الله ، قال الله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [1] .

* * *

استكتب أبو موسى الأشعرىّ نصرانيًّا ، فكتب إليه عمر : اعزله واستعمل بدلَه حَنيفيًّا ، فكتب له أبو موسى : إنّ من غَنائه وخيره وخبرته كَيْت وكَيْت . فكتب له عمر : ليس لنا أنْ نأتمِنَهم ، وقد خوّنهم الله ، ولا أنْ نرفعَهم وقد وضعهم الله ، ولا أن نستنصِحَهم فى الدّين وقد وترَهم الإسلام ، ولا أن نعزّهم وقد أُمِرنا بأن يُعْطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

فكتب أبو موسى : إنّ البلد لا يصلح إلّا به . فكتب إليه عمر : مات النصرانىّ والسلام .

* * *

وكتب إلى معاوية : إيّاك والاحتجاب دون الناس ، وائذن للضّعيف ، وأدْنِه حتّى ينبَسط لسانه ، ويجترئ قلبه ، وتعهّد الغريب [2] ، فإنه إذا طال حبسه ودام إذنه ، ضعُف قلبهُ ، وترك حقّه .

* * *

عزل عمر زياداً عن كتابة أبى موسى الأشعرىّ فى بعض قدَماته عليه ، فقال له : عن عجزٍ أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن واحدةٍ منهما ، ولكنّى أكره أن أحمِل على العامّة فضلَ عقلك .

---

(١) سورة الطلاق ٣ .

(٢) ب : « القريب » .

وقال : إنى والله لا أدعُ حقا لله لشكاية تظهر، ولا لضِبّ يحتمل ، ولا لمحاباة لبَشر . وإنك والله ماعاقبتَ مَنْ عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

* * *

وكتب إلى سعد بن أبى وقاص : ياسعد سعد بنى أُهَيب ! إنّ الله إذا أحبّ عبداً حبّبه إلى خلقه ، فاعتبرْ منزِلَتك من الله بمنزلتك من الناس . واعلمْ أنّ مالَك عند الله مثل مالله عندك .

* * *

وسأل رجلاً عن شىء ، فقال : الله أعلم ، فقال : قد شقِينا إن كنّا لا نعلم أنّ الله أعلم ! إذا سئِل أحدُكم عمّا لا يعلم ، فليقلْ : لا أدرى .

* * *

وقال عبدالملك [على المنبر](1): أنصفونا يامعشر الرّعية، تريدون منّا سيرةَ أبى بكر وعمر ، ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة أبى بكر وعمر ! نسأل الله أن يعين كلّا على كلّ .

* * *

ودخل عمرُ على ابنه عبد الله ، فوجد عنده لحما عَبيطا معلّقا(2)، فقال : ماهذا اللحم؟ قال : اشتهيتُ فاشتريت ، فقال : أوَكلّما اشتهيتَ شيئا أكلتَه ! كفى بالمرء سَرَفًا أن أكلَ كلَّ ماشتهاه .

* * *

مرّ عمر على مزبلة ، فتأذّى بريحها أصحابُه ، فقال : هذه دنياكم التى تحرِصون عليها .

---

(1) من ا (2) لحم عبيط : طرى .

ومن كلامه للأحنف: ياأحنف ، مَنْ كثُرضحِكُه قلّت هيبتُه، ومَنْ مزَح استُخِفَّ به ، ومَنْ أكثر من شيء عرِف به ، ومَنْ كثر كلامه كثر سقطُه ، ومَنْ كثر سقطُه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعُه ، ومَنْ قلّ ورعُه مات قلبه .

وقال لابنه عبد الله : يابنيّ اتقِ الله يقِكَ ، وأقرِض الله يجزِك ، واشكره يزِدْك . واعلم أنّه لامال لمن لا رِفق له ، ولا جديد لمن لاخُلَق له ، ولا عمل لمن لا نيّة له .

* * *

وخطب يوم استخلِف ، فقال : أيّها النّاس ، إنّه ليس فيكم أحدٌ أقوى عندي من الضّعيف حتى آخذ الحقّ له ، ولا أضعف من القويّ حتّى آخذ الحقّ منه .

وقال لابن عبّاس : ياعبدَ الله ، أنتم أهلُ رسولِ الله وآله وبنو عمّه ، فما تقول منَع قومكم منكم ؟ قال : لاأدري علّتها ، والله ماأضمرنا لهم إلّا خيرا . قال : اللهمّ غَفراً ، إنّ قومَكم كرهوا أن يجتمع لكم النبوّة والخلافة ، فتذهبوا في السماء شمخا وبَذخاً ، ولعلكم تقولون : إنّ أبا بكر أوّل مَنْ أخّركم ،أما إنّه لم يقصد ذلك ، ولكن حضرأمرٌ لم يكن بحضرته أحزم ممّا فعل ، ولولا رأي أبي بكر فيّ لجعلَ لكم من الأمر نصيبا ، ولو فعل ماهنأ كم مع قومكم . إنّهم ينظرون إليكم نظرَ الثّور إلى جازره .

* * *

وكان يقول : ليت شعرِي متَى أشْفَي من غيظي ! أحين أقدر فيقال لي : لو عفوتَ، أم حين أعجِزُ فيقال: لوصبرت !

* * *

ورأى أعرابياً يصلّي صلاة خفيفةً ، فلمّا قضاها قال : اللهمّ زوّجني الحورَ العِين . فقال له : لقد أسأت النّقد ، وأعظمتَ الخِطْبة !

وقيل له : كان النّاس في الجاهليّة يدعُون على مَن ظَلمهم فيُستجاب لهم ، ولسنا نرى

ذلك الآن . قال : لأنّ ذلك كان الحاجزَ بينهم وبين الظلم ، وأمّا الآن فالساعة موعدُهم والساعة أدهى وأمرّ.

* * *

ومن كلامه : مَنْ عرّض نفسه للتّهمة فلا يلومنّ مَنْ أساء به الظنّ ، ومَنْ كتم سرّه كانت الخِيَرَة بيده.

ضع أمرَ أخيك على أحسَنِه ، حتى يأتيك منه مايغلبك ، ولا تظنّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرًّا وأنت تجد لها فى الخير محملا .

وعليك بإخوان الصِّدْق وكيْسِ أكياسهم ، فإنّهم زينة فى الرخاء ، وعُدّة عند البلاء ، ولا تهاونَنّ بالحَلِف فيهينك الله ، ولا تعترض بما لا يعنيك ، واعتزل عدوّك ، وتحفّظ من خليلك إلا الأمين ، فإنّ الأمين من الناس لا يعادله شيء ، ولا تصحب الفاجر فيعلّمك من فجوره ، ولا تُفْشِ إليه[1] سرّك ، واستشرْ فى أمرك أهل التقوى ، وكفى بك عيبًا أن يبدُوَ لك من أخيك مايخفى عليك من نفسك ، وأن تؤذىَ جليسك بما تأتى مثله .

وقال : ثلاث يُصْفِين لك الوُدّ فى قلب أخيك : أن تبدأه بالسّلام إذا لقيته ، وأنْ تدعُوَه بأحبّ أسمائه إليه ، وأن توسّع له فى المجلس .

وقال : أحبّ أن يكون الرجل فى أهلِه كالصبيّ ، وإذا أصيبَ إليه كان رجلا .

* * *

بينا عُمر ذات يوم إذ رأى شابًّا يخطر بيديه ، فيقول: أنا ابنُ بَطْحاء مكّةَ كُدَيِّها وكَدَاها[2] . فناداه عمر ، فجاء فقال : إن يكن لك دِينٌ فلك كرم ، وإن يكن لك عقل فلك مروءة ، وإن يكن لك مال فلك شرف ، وإلا فأنت والحمار سواء .

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) كدى وكدا : موضعان ، وقيل: هما جبلان بمكّة ، وقد قيل : كداً بالقصر . (اللسان) .

وقال : يامعشَر المهاجرين ، لا تـكثروا الدخولَ على أهل الدنيـا وأرباب الإمرة والولاية ،فإنهمسخطَةٌ للربِّ ، وإياكم والبِطْنة؛ فإنّها مَـكْسلة عن الصلاة ، ومَفْسدةللجسد، مورِّثة للسَّقَم ، وإن الله يُبغِض الحَبْرَ السَّمين ، ولـكنْ عليكم بالقصد فى قوتـكم ، فإنّه أدنى من الإصلاح ، وأبعد من السَّرف ، وأقوى على عبادة الله ، ولن يهلِكَ عبد حتى يؤْثر شهوتَه على دينه .

وقال : تعلَّمُوا أنّ الطمع فقر ، وأن اليأس غِنًى ، ومن يئس من شىء استغنَى عنه ، والتُّؤَدة فى كلّ شىء خير إلّا ما كان من أمر الآخرة .

وقال : مَن اتّقى الله لم يشفِ الله غيظَه ، ومَنْ خاف الله لم يفعل مايريد ، ولولا يوم القيامة لـكان غير ماترون .

وقال: إنّى لأعلم أجودَ الناس ، وأحلم الناس ، أجودُهم مَنْ أعطى مَنْ حَرَمَه ، وأحلمُهم مَنْ عفا عمّن ظلمه .

وكتب إلى ساكنى الأمصار : أمّا بعدُ ، فعلّموا أولادَكم العَوْم[1] والفروسيّة ، ورَوُّوهم ماسار من المثل وحَسُن من الشعر .

وقال : لا تزالُ العربُ أعزّة مانزعت فى القوس ، ونزَتْ[2] فى ظهور الخيل .

وقال وهو يذكر النساء : أكثروا لهنّ من قول : «لا» فإنّ «نعم» مفسدةتغريهنّ على المسألة .

وقال : مابالُ أحدكم يثنى الوسادة عند امرأة مِعْزِبة[3] ، إنّ المرأة لحم على وَضَم إلا ماذُبّ عنه .

---

(١) ب : « العلوم » تصحيف .　　(٢) نزت : وثبت .

(٣) المعزبة : المرأة المتزوجة

وكتب إلى أبي موسى : أما بعد ، فإنّ للنّاس نفرةً عن سلطانهم ، فأعوذُ بالله أن يدركَني وإياكَ عَمْياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متّبعة ، ودنيا مؤثرة . أقم الحدود؛ واجلس للمظالم ولو ساعة من نهار ، وإذا عرَض لك أمران : أحدُهما لله ، والآخر للدنيا ، فابدأ بعمل الآخرة ، فإنّ الدّنيا تفنى ، والآخرة تبقى . وكن من مال الله عزّ وجلّ على حَذَرٍ ، واخِفْ الفُسّاق ، واجعلهمْ يدا ويدا ، ورجلا ورجلا ، وإذا كانت بين القبائل نائرة[1] يالفلان يالفلان ! فإنّما تلك نجوى الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وتكون دعواهم إلى الله ، وإلى الإسلام . وقد بلغني أن ضبّة تدعو : يالضَبّة ! وإني والله أعلم أنّ ضبّة ماساق الله بها خيرا قطّ ، ولا منَع بها من سوء قطّ . فإذا جاءك كتابي هذا فانهسكْهم[2] ضربا وعقوبة ، حتى يفرّقُوا إن لم يفقهوا ، والصق بغيلان بن خرَشة من بينهم . وَعُدْ مرضَى المسلمين ، واشهد جنائزَهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورَهم بنفسك ، فإنّما أنت رجلٌ منهم ، غير أنّ الله قد جعلك أثقلَهم حملا . وقد بلغني أنه فشالك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ، ومركبك ، ليس المسلمين مثلُها ، فإيّاك ياعبد الله بن قيس أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرّت بواد خصيب ، فلم يكن لها همة إلا السِّمَن ، وإنّما حتفُها من السّمن لغيرها . واعلم أنّ للعامل مردًّا إلى الله ، فإذا زاغ العامل زاغت رعيّته ، وإن أشقى الناس مَنْ شقِيَتْ به نفسه ورعيّته . والسلام .

* * *

وخطب عمر ، فقال : أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله الّذِي يبقَى ويفنى ماسواه ، والّذى بطاعته ينفع أولياءه ، وبمعصيته يضرّ أعداءه . إنّه ليس لهالكٍ هلك عذر في تعمّد ضلالة حسبها هدًى ، ولا ترْكِ حقٍّ حسبه ضلالة . قد ثبتت الحجّة ، ووضحَت الطرق ، وانقطع العذر ، ولا حجّة لأحدٍ على الله عزّ وجلّ . ألا إنّ أحقّ ماتعاهد به الراعى

(١) النائرة : العداوة والدعوة للشر .
(٢) نهكه : بالغ في ضربه وعقوبته .

رعيّته أن يتعاهدهم بالّذى لله تعالى عليهم فى وظائف دينهم الذى هداهم به ، وإنّما علينا أنْ نأمرَكم بالّذى أمركم الله بِهِ من طاعته ، وننهاكم عمّا نهاكم الله عنه من معصيته ،وأن نقيم أمر الله فى قريب النّاس وبعيدهم ، ولا نبالى على من قال الحق ، ليتعلّم الجاهل ، ويتّعظ المفرط ، ويقتدىَ المقتدى . وقد علمت أنّ أقواماً يتمنّوْن فى أنفسهم ، ويقولون: نحن نصلّى مع المصلّين، ونجاهد مع المجاهدين . ألا إنّ الإيمان ليس بالتمنى ولكنه بالحقائق. ألا مَنْ قام على الفرائض ، وسدّد نيّته ، واتّقى الله ، فذلكم الناجى . ومَنْ زاد اجتهادا وجد عندالله مزيدا .

وإنّما المجاهدون الذين جاهدوا أهواءهم ، والجهاد اجتناب المحارم. ألا إنّ الأمر جِدٌّ، وقد يقاتل أقوام لايريدون إلّا الذِّكْر، وقد يقاتل أقوام لايريدون إلا الأجر ،وإن الله يرضىَ منكم باليسير ،وأثابكم على اليسير الكثيرَ .

الوظائف الوظائف ! أدّوها تؤدّكم إلى الجنّة . والسنّة السّنة ! الزموها تُنْجكم من البدْعة .

تعلّموا ولا تَعجزوا ،فإنّ مَنْ عجز تكلّف،وإن شرار الأمور محدَثاتها،وإن الاقتصاد فى السنّة خيرٌ من الاجتهاد فى الضلالة ، فافهموا ماتوعَظون به، فإنّ الحرِيبَ من حُرِب[1] دينه ، وإنّ السّعيد مَنْ وعظ بغيره .

وقال : وعليكم بالسّمع والطاعة ، فإنّ الله قضى لها بالعزّة، وإياكم والتفرّق والمعصية، فإنّ الله قضى لها بالذلّة .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

* * *

بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسيّة إلى عمر قَباء كسرى وسيفَه ، ومِنْطقته ،

---

(١) حرب دينه : أى سلب .

وسراويله ، وتاجه ،وقيصه ، وخُفَّيه ؛ فنظر عمر في وجوه القوم عنده ، فكان أجسمهم وأمدّهم قامة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المدلجيّ . فقال : ياسراق، قُمْ فالبس، قال سراقة: طمعت فيه فقمت فلبست ، فقال : أدبِرْ فأدبرت ، وقال : أقبِل ، فأقبلت ، فقال : بخٍ بخٍ ! أعرابيٌّ من بني مُدْلج ،عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخُفّاه! ربّ يوم ياسراقُ لوكان فيه دون هذا من متاع كسرى وآل كسرى لكان شرفاً لك ولقومك . انزِعْ ! فنزعتُ ، فقال : اللهمّ إنك منعت هذا نبيّك ورسولك، وكان أحبّ إليك منّي وأكرم ، ومنعته أبا بكر وكان أحبّ إليك منّي وأكرم ؛ ثم أعطيتنيه ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي . ثم بكى حتى رحمه من كان عنده .

وقال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمتُ عليك لمَا بعته ثم قسمته قبل أن تُمسي ، فما أدركه المساء إلّا وقد بيع وقُسِم ثمنه على المسلمين .

***

جيء بتاج كِسرى إلى عمر ؛ فاستعظم الناس قيمته ، للجواهر التي كانت عليه ، فقال: إن قوماً أدّوا هذا لأمناء! فقال عليّ عليه السلام: إنك عففتَ فعفّوا،ولو رتعتَ لرتعوا[1] .

***

كان عمر يعُسّ ليلاً ، فنزلت رفقة من التجار بالمصلّى ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السَّرَق ؟ فباتا يحرُسانهم ، ويصلّيان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبيّ ، فأصغى نحوه ، فطال بكاؤه ، فتوجّه إليه ، فقال لأمّه : اتقي الله وأحسني إلى صبيّك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد إلى أمّه ، فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه ، فأتى أمّه ، فقال : ويحك ! إنّي لأراك أمّ سوء ! لا أرى ابنك يقرّ منذ الليلة ! فقالت : ياعبد الله ، لقد آذيتني منذ الليلة ، إني أريغه

---

(١) يقال : رتع فلان : إذا أكل وشرب ما شاء .

على الفطام فيأبى ؛ قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّ عمر لا يفرض لرضيع ، وإنما يفرض للفطيم ، قال : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهراً ، قال : ويحك لا تعجليه ! فصلّى الفجر وما يستبين النّاس قراءته من غَلَبة البكاء عليه ، فلمّا سلّم قال : يابؤسا لعُمَر كم ! كم قتل من أولاد المسلمين ، فطلب منادياً فنادى : ألا لا تُعجِلوا صبيانكم عن الرّضاع ؛ ولا تفطموا قبل أوان الفطام ، فإنّا نفرض لكلّ مولود فى الإسلام .

وكتب بذلك إلى سائر الآفاق[1] .

• • •

مرّ عمر بشابّ من الأنصار وهو ظمآن ، فاستسقاه ، فخاض له عسلًا ، فردّه ولم يشرب وقال : إنّى سمعتُ الله سبحانه ، يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾[2] فقال الفتى : إنّها والله ليست لك ، فاقرأ ياأمير المؤمنين ماقبلها : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ ؛ أفنحن منهم ! فشرب ، وقال : كلّ النّاس أفقه من عمر !

• • •

وأوصى عمر حين طعنه أبو لؤلؤة مَنْ يستخلفه المسلمون بعده من أهل الشورى ، فقال : أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوّلين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ؛ اقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم . وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم ردء العدوّ ، وجُباة الفىء ، لا تحمل فيئهم إلى غيرهم إلا عن فضل منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فإنّهم أصلُ العرب ، ومادّة الإسلام : أنْ يؤخذ من حواشى أموالهم ، فيردّ على فقرائهم ؛ وأوصيك بأهل الذمّة خيرا ، أن تقاتل

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٤٨ .

(٢) سورة الأحقاف ٢٠ .

من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمسلمين طوعا أو عن يدٍ وهم صاغرون .

وأوصيك بتقوى الله ، وشدة الحذر منه ومخافة مقته ؛ أن يطّلع منك على ريبة . وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، وألا تعين غنيهم على فقيرهم ، فإن في ذلك بإذن الله سلامةً لقلبك ، وحطًّا لذنوبك ، وخيراً في عاقبة أمرك . وأوصيك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده، والزجر عن معاصيه ، على قريب الناس وبعيدهم ، ولا تأخذك الرأفة والرحمة في أحدٍ منهم، حتى تنتهك منه مثل جُرْمه ، واجعل الناس عندك سواء ، لا تبالِ على مَنْ وجب الحقّ ، لا تأخذك في الله لومةُ لائم . وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المسلمين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسّعه الله عليك ، فإنك في منزلة من منازل الدنيا ، وأنت إلى الآخرة جدُّ قريب ، فإن صدقت في دنياك عِفّةً وعدلا فيما بسط لك ، اقترفت رضوانا وإيمانا ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت فيه سخط الله ومقته .

وأوصيك ألا ترخّص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة .

واعلم أني قد أوصيتُك وخصصتُك ونصحت لك ، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ودللتُك على ما كنتُ دالاًّ عليه نفسي ، فإن عملت بالذي وعظتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتُك ؛ أخذتَ منه نصيبا وافرا ، وحظا وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم تعمل ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضي الله به سبحانه عنك ، يكن ذاك بك انتقاصا ، ويكن رأيك فيه مدخولا ، فالأهواء مشتركة ، ورأس الخطيئة إبليس الداعي إلى كلّ هلكة ، قد أضلّ القرون السالفة قبلك ، وأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظُّ امرئ من دنياه موالاةَ عدوّ الله ، الداعي إلى معاصيه !

اركب الحقّ ، وخض إليه الغمراتِ ، وكن واعظا لنفسك .

وأنشدك لمّا ترحّمت إلى جماعة المسلمين ، وأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، وقرّبت عالمهم . لا تضربهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفىء فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها فتفقرهم ، ولا تجمّرهم [(١)] فى البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل الأموال دُولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويّهم ضعيفهم .

هذه وصيّتى إياك ؛ وأشهد الله عليك . وأقرأ عليك السلام ، والله على كلّ شىء شهيد .

* * *

وخطب عمر فقال :

لا يبلغنى أنّ امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ارتجعتُ ذلك منها. فقامت إليه امرأة ، فقالت : والله ماجعل الله ذلك لك ، إنه تعالى يقول : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [(٢)] . فقال : عمر : ألا تعجبون من إمام أخطأ ، وامرأة أصابت ! ناضلتْ إمامكم فنضلته [(٣)] !

* * *

وكان يعسّ ليلةً ، فمرّ بدارٍ سمع فيها صوتا ، فارتاب وتسوّر ، فرأى رجلا عند امرأة وزِقّ خمر ، فقال : ياعدوّ الله ، أظننت أنّ الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال : لا تعجلْ ياأمير المؤمنين ، إن كنتُ أخطأتُ فى واحدة فقد أخطأتَ فى ثلاث : قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [(٤)] وقد تجسّستَ،وقال : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [(٥)].

---

(١) جمر الجيش : حبسه فى أرض العدو ولم يقفلهم من الثغر . وفى الحديث : لا تجمروا الجيش فتفتنوهم .

(٢) سورة النساء ٢٠

(٣) نضله : سبقه وغلبه .

(٤) سورة الحجرات ١٢

(٥) سورة البقرة ١٨٩ .

وقد تسوّرتَ ، وقال : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ﴾[١] وماسلّمت . فقال : هل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟ قال : نعم ، والله لا أعود ، فقال : اذهب فقد عفوت عنك .

***

وخطب يوما ، فقال : أيّها النّاس، ما الجزع ممّا لابدّ منه ! وما الطّمع فيما لايرجى! وما الحيلة فيما سيزول ! وإنّما الشيء من أصله،وقد مضت قبلكم الأصول ونحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله !

إنما الناس فى هذه الدّنيا أغراضٌ تنتضِل فيهم المنايا نُصُب المصائب ، فى كلّ جرعة شَرَق ، وفى كلّ أكلةٍ غَصَص ، لا تنالون نعمة إلّا بفراق أخرى ، ولا يستقبِل معمّر من عُمره يوما إلّا بهدم آخر من أجله ؛ وهم أعوان الحتوف على أنفسهم ، فأين المهرب مما هو كائن ! ماأصغر المصيبة اليوم، مع عظم الفائدة غدا ! وما أعظم خَيْبة الخائب،وخسران الخاسر ، ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا مَن أتى الله بقلب سليم ﴾ !

وأكثر النّاس روى هذا الكلام لعليّ عليه السلام ، وقد ذكره صاحب " نهج البلاغة " وشرحناه فيما سبق .

***

حُمِل من العراق إلى عمر مالٌ فخرج هو ومولًى له ؛ فنظر إلى الإبل فاستكثرها، فجعل يقول : الحمد لله ؛ يكرّرها ويردّدها ، وجعل مولاه يقول : هذا من فضل الله ورحمته . ويكررها ويرددها .

فقال عمر : كذبتَ لا أمّ لك ! أظنُّك ذهبت إلى أنّ هــذا هو ماعناه سبحانه ،

---

(١) سورة النور ٦١ .

بقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ؛ وإنما ذلك الهدى ، أما تسمعه يقول : ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [١] ! وهذا مما يجمعون .

* * *

وروى الأحنف بن قيس ، قال : قدمنا على عمر بفتح عظيم نبشّره به ، فقال : أين نزلتُم ؟ قلنا : فى مكان كذا ، فقام معنا حتى انتهينا إلى مَنَاخ ركابنا ، وقد أضعفها الكلال ، وجهَدها السير ، فقال : هلاّ اتقيتم الله فى ركابكم هذه ؟ أمَا علمتم أن لها عليكم حقًّا ! هلاّ أرحتُمُوها ؟ هلاّ حللتم بها فأكلتْ من نبات الأرض ! فقلنا : ياأمير المؤمنين ، إنّا قَدِمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرّع إليك وإلى المسلمين بما يسرّهم .

فانصرف راجعا ونحن معه ، فأتى رجل فقال : ياأميرَ المؤمنين إنّ فلانا ظلمنى ، فأعْدِنى [٢] عليه ، فرفع فى السماء دِرّته ، وضرب بها رأسه ، وقال : تدَعُون عمر وهو معرّض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه : أعْدِنى أعْدِنى ! فانصرف الرّجل يتذمّر ، فقال عمر : علىّ بالرجل ، فجىء به فألقى إليه المخفقة [٣] ، فقال : اقتصّ ، قال : بل أدعه لله ولك ، قال : ليس كذلك ، بل تدَعُه إمّا لله وإرادة ماعنده ، وإما تدَعُه لى ، قال : أدعُه لله ، قال : انصرف . ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلّى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس فقال : يابن الخطاب ، كنتَ وضيعا فرفعك الله ، وكنتَ ضالًا فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزّك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاء رجلٌ يستعديك على مَنْ ظلمه ، فضربتَه ، ماذا تقول لربّك غدا ! فجعل يعاتبُ نفسه معاتبةً ظننت أنه من خير أهل الأرض .

* * *

---

(١) سورة يونس ٥٨ .
(٢) أعدنى عليه : انصرنى وأعنى .
(٣) المخفقة : الدرة يضرب بها .

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلاّم فى " غريب الحديث " أن رجلا أتى عمر يسأله ، ويشكو إليه الفقر ، فقال : هلكتُ ياأمير المؤمنين ، فقال : أهلكتَ وأنت تَنِثُّ نَثِيثَ الحَمِيت[1] ! أعطوه . فأعطوه رُبَعة[2] من مال الصّدقة ، تبعها ظئراها . ثم أنشأ يحدّث عن نفسه ، فقال : لقد رأيتُنى وأختاً لى نرعى على أبوينا ناضحا[3] لنا ، قد ألبستنا أمّنا نُقْبتها[4] ، وزوّدتنا يُمنتيها هَبيدا[5] فنخرج بناضحنا ؛ فإذا طلعت الشمس ، ألقيتُ النقبة إلى أختى ، وخرجت أسعى عُريانَ ، فنرجع إلى أمّنا ، وقد جعلت لنا لَفِيتة[6] من ذلك الهبيد ، فياخِصْباه !

* * *

وروى ابنُ عباس رضى الله عنه ، قال : دخلتُ على عُمَر فى أوّل خلافته ، وقد أُلقِيَ له صاعٌ من تمر على خَصَفة[7] ، فدعانى إلى الأكل ، فأكلت تمرة واحدة ، وأقبل يأكل حتّى أتى عليه ، ثم شرب من جَرٍّ[8] كان عنده ، واستلقى على مِرْفقةٍ له ، وطفق يَحْمَدُ الله يكرر ذلك ، ثم قال : من أين جئتَ ياعبدالله ؟ قلتُ : من المسجد ، قال : كيف خلّفت ابن عمك ؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر ، قلت : خلّفتُه يلعب مع أترابه ، قال : لم أعْنِ ذلك ، إنّما عنيتُ عظيمكم أهلَ البيت ، قلت : خلّفته يمتح بالغَرْب[9] على نخيلات من فلان ، وهو يقرأ القرآن ، قال : ياعبد الله ، عليك دماء البُدْن إن كتمتنيها ! هل بقيَ فى نفسه

---

(١) قال ابن الأثير : نث الزق ينث : إذا رشح بما فيه من السمن . أراد : أتهلك وجسدك كأنه يقطر دسما ! والنثيث : أن يرشح ويعرق من كثرة لحمه . ويروى : « تمث » بالميم . والحميت : الزق والنحى .

(٢) الربعة : مؤنث الربع ، وهو الفصيل ينتج فى الربيع .

(٣) الناضح : البعير يستقى عليه ؛ ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء .

(٤) النقبة : ثوب كالإزار ، يجعل له حجزة مخيطة . (٥) الهبيد : حب الحنظل .

(٦) اللفيتة : العصيدة المغلظة ؛ لأنها تلفت ، أى تلوى .

(٧) الخصفة ، محركة : الجلة تعمل من الخوص للتمر .

(٨) الجر بفتح الجيم وتشديد الراء : آنية من خزف ، الواحدة جرة .

(٩) الغرب : الدلو .

شيء من أمر الخلافة ؟ قلت : نعم ، قال : أيزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّ عليه ؟ قلت : نعم ، وأزيدك ، سألت أبي عمّا يدّعيه ، فقال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمره ذَرْوٌ[1] من قول لا يُثبتُ حُجّة ، ولا يقطع عذرا ، ولقد كان يربَع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام ، لاوربّ هذه البنيّة لاتجتمع عليه قريش أبدا ! ولو وليها لانتقضتْ عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله أنّي علمت ما في نفسه ، فأمسك ، وأبى الله إلّا إمضاء ماحتم .

ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه ، مسندا .

* * *

ابتنى أبو سفيان داراً بمكة فأتى أهلُها عمر ، فقالوا : إنه قد ضيّق علينا الوادي ، وأسال علينا الماء ، فأتاه عمر فقال : خذْ هذا الحجر فضعه هناك ، وارفع هذا واخفض هذا ، ففعل ، فقال : الحمدُ لله الذي أذلّ أبا سفيان بأبْطح مكّة .

* * *

وقال عمر : والله لقد لان قلبي في الله حتى لَهُوَ ألين من الزّبد ، ولقد اشتدّ قلبي في الله حتى لهوَ أشدّ من الحجَر .

* * *

كان عمر إذا أتاه الخصمان برَكَ على ركبتيه وقال : اللهمّ أعنّي عليهما . فإنّ كلًّا منهما يريدني عن ديني .

* * *

---

(١) ذرو : طرف .

وخطب عمر ، فقال : أيها الناس ، إنما كنا نعرفكم والنبيّ صلى الله عليه وآله بين أظهرِنا ، إذ ينزلُ الوحي ، وإذ ينبّئنا الله من أخباركم ، ألا وإنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قد انطلق، والوحي قد انقطع ، وإنما نعرِفكم بما يبدُو منكم . مَنْ أظهر خيرا ظننّا به خيرا، وأحببناه عليه ،ومن أظهر شرًّا ظننّا به شرًّا ،وأبغضناه عليه .سرائركم بينكم وبين ربكم . ألا إنه قد أتى عليّ حينٌ ، وأنا أحسب أنه لا يقرأ القرآن أحدٌ إلّا يريدُ به وجه الله وما عند الله ، وقد خيّل إليّ بأخَرة ، أنّ رجالًا قد قرءوه يريدون به ماعند الناس ، فأريدُوا الله بقراءتكم ، وأريدوا اللهَ بأعمالكم .

ألا وإنّي لا أرسلُ عُمّالي إليكم أيها الناس ليضربُوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلُهم إليكم ليعلّموكم دينَكم وسنّتكم ، فمن فُعِل به سوى ذلك فليرفعه إليّ لأقتصّ له ، فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقتصّ من نفسه .

ألا لاتضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تُنزلوهم الغِياضَ فتضيّعوهم .

* * *

وقال مرّة : قد أعياني أهلُ الكوفة ، إن استعملت عليهم ليّناً استضعفوه ، وإن استعملتُ عليهم شديداً شكوْه ! ولوددت أنّي وجدتُ رجلا قويا أمينا أستعمله عليهم . فقال له رجل : أنا أدلّك ياأميرَ المؤمنين على الرّجل القويّ الأمين ، قال : مَنْ هو ؟ قال: عبد الله بن عمر ، قال : قاتلك الله ! والله ماأردتَ الله بها ، لاها الله ! لاأستعمله عليها وَلا على غيرها ، وأنت فقم فاخرج ، فذ الآن لا أسميك إلا المنافق . فقام الرجل وخرج.

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص أن شاور طُليحة بن خويلد وعمرو بن معد يكرب فإنّ كلّ صانع أعلم بصنعته ، ولا تولّهما من أمر المسلمين شيئا .

* * *

وغضب عمر على بعض عماله ، فكلّم امرأة من نساء عمر في أن تسترضيه له. فكلمته فيه ، فغضب ، وقال : وفيمَ أنت من هذا يا عدوة الله ؟ إنما أنتِ لعبة ناصب بك وتُفرَّكين[1] .

* * *

ومن كلامه : أشكو إلى الله جَلَد الخائن ، وعجزَ الثقة .

قال عمرو بن ميمون : لقد رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يُصاب بأيام واقفا على حُذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف ، وهو يقول لهما : أتخافان أن تكونا حمّلتما الأرض مالا تطيقه ؟ فقالا : لا ، إنما حمّلناها أمراً هي له مُطِيقة ، فأعاد عليهما القول : انظرا أن تكونا حمّلتما الأرض مالا تطيقه ! فقالا : لا ، فقال عمر : إن عشتُ لأدعَنّ أرامل العراق لا يحتجن بعدي إلى رجل أبدا ، فما أتت عليه رابعة حتى أصيب .

* * *

كان عمر إذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا ، وأشهد عليه رهطاً من المسلمين ألا يركب بِرْذَوناً ، ولا يأكل نَقِيّاً[2] ، ولا يلبس رقيقا ، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ، ثم يقول : اللهمّ اشهد .

* * *

واستعمل عمر النعمانَ بن عديّ بن نضلة على مَيْسان ، فبلغه عنه الشعر الذى قاله ، وهو :

وَمَنْ مبلغ الحسناء أن حَليلَها ... بِمَيسانَ يُسْقَى من زُجاج وحَنْتَم ![3]

إذا شئتُ غنّتني دَهاقينُ قريةٍ ... وصنّاجةٌ تحدُو على كلّ منسِم

---

(١) تفركين : تبغضين . (٢) النق : الفحم .
(٣) الحنتم : الجرة الخضراء .

فإن كنتَ ندْمانى، فبالأكبرِ اسْقِنى ولا تسقِنى بالأصغرِ المتثلّمِ

لعلّ أميرَ المؤمنين يسوءه تنادُمُنا بالجَوْسق المتهدّمِ

فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ * ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] أما بعد ، فقد بلغنى قولك :

* لعلّ أميرَ المؤمنين يسوءه * البيت

وايمُ الله إنه ليسوءنى ، فاقدَم فقد عزلتُك .

فلما قدم عليه ، قال : ياأميرَ المؤمنين ، والله ماشربتُها قطّ ، وإنّما هو شعر طفَح على لسانى وإنى لشاعر .

فقال عمر : أظنّ ذاك ، ولكن لا تعمل لى على عمل أبدا .

***

استعمل عمر رجلا من قريش على عملٍ ، فبلغه عنه أنّه قال :

اسقِنى شَرْبةً تُروّى عِظامى واسقِ بالله مثلَها ابنَ هشامِ

فأشخصه إليه ، وفطِن القرشىّ ، فضم إليه بيتا آخر ، فلما مثل بين يديه ، قال له أنت القائل :

* اسقِنى شَرْبةً تروّى عظامى *

قال : نعم ياأمير المؤمنين ، فهلّا أبلغك الواشى مابعده ؟ قال : ما الذى بعده ؟ قال :

عسلًا بارداً بماء غمامٍ إننى لا أحبُّ شُربَ المُدامِ

قال : آللهِ آللهِ ! ثم قال : ارجع إلى عملك .

***

(١) سورة غافر ١ — ٣ .

قال عمر : أيّما عامل من عمّالى ظلم أحـداً ، ثم بلغتنى مظلمته ، فلم أغيّرها ، فأنا الذى ظلمته .

* * *

وقال للأحنف بن قيس ، وقد قدم عليه فاحتبسه عنده حوْلاً : ياأحنف ، إنّى قد خبرتُك وبلوتُك ، فرأيت علانيتَك حسنة ، وأنا أرجو أن تـكون سريرتك مثلَ علانيتك ، وإن كنّا لنتحدّث أنه إنما يُهلك هذه الأمّة كلّ منافق عليم .

* * *

وكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص : إن « مترس »[1] بالفارسية هو الأمان ، فمن قلتم له ذلك ممن لا يفقهُ لسانـكم فقد أمّنتموه .

* * *

وقال لأمير من أمراء الشام : كيف سيرتُك ؟ كيف تصنع فى القرآن والأحكام ؟ فأخبره ، فقال : أحسنتَ ، اذهب ، فقد أقررتُك على عملِك . فلما ولّى رجع فقال : ياأمير المؤمنين ، إنّى رأيت البارحة رؤيا أقصها عليك ، رأيت الشمس والقمر يقتتلان،ومع كلّ واحد منهما جنود من الـكواكب ، فقال : فمع أيّهما كنت ؟ قال : مع القمر ،فقال : قد عزلتُك ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾[2]

* * *

كان عمر جالساً فى المسجد ، فمرّ به رجل ، فقال : ويل لك ياعمر من النار ! فقال : قرّبوه إلىّ ، فدنا منه ، فقال : لمَ قلت لى ما قلت ؟ قال : تستعمل عمالك ، وتشترط عليهم

(١) فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٤٣ : « المتراس : ما يستتر به من حائط ونحوه من العـدو ، وخشبة توضع خلف الباب » .
(٢) سورة الإسراء ١٢ .

ثم لا تنظر هل وَفَّوا لك بشروطٍ أم لا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : عاملك على مصر اشترطت عليه ، فترك ماأمرته به ، وارتكب مانهيتَه عنه ، ثم شرح له كثيرا من أمره . فأرسل عمر رجلين من الأنصار ، فقال لهما : انتهيا إليه ، فاسألا عنه ، فإن كان كذب عليه فأعلماني ، وإن رأيتما مايسوءكما فلا تملّكاه من أمره شيئا حتى تأتيا به ، فذهبا فسألا عنه ، فوجداه قد صدق عليه ، فجاءا إلى بابه ، فاستأذنا عليه ، فقال حاجبه : إنه ليس عليه اليوم إذن ، قالا : ليخرجَنّ إلينا أو لنحرقنّ عليه بابه . وجاء أحدُهما بشعلة من نار ، فدخل الآذن ، فأخبره فخرج إليهما ، قالا : إنّا رسولا عمر إليك لتأتيه ، قال : إنّ لنا حاجةً ؛ تمهلانني لأتزوّد ، قالا : إنّه عزم علينا ألّا نمهلك ، فاحتملاه ، فأتيا به عمر ، فلمّا أتاه سلّم عليه فلم يعرفه ، وقال : مَنْ أنت ؟ — وكان رجلا أسمر ، فلمّا أصاب من ريف مصر ابيضّ وسمن — فقال : أنا عاملك على مصر ، أنا فلان ، قال : ويحك ! ركبت مانُهيتَ عنه ، وتركت ما أُمرتَ به ! والله لأعاقبنّك عقوبةً أبلغ إليك فيها ، آتوني بكساء من صوف ، وعصا وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة ، فقال : البَسْ هذه الدّرّاعة [1] ، فقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته ، وخذ هذه العصا فهي خير من عصا أبيك ، واذهب بهذه الشياه فارعها في مكان كذا — وذلك في يوم صائف — ولا تمنع السابلة من ألبانها شيئا إلا آل عمر ، فإني لا أعلم أحداً من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئا .

فلمّا ذهب ردّه ، وقال : أفهمت ماقلت ! فضرب بنفسه الأرض ، وقال يا أمير المؤمنين ، لا أستطيع هذا ، فإن شئت فاضرب عنقي ، قال : فإن رددتُك فأيّ رجل تكون ؟ قال : والله لا يبلغُك بعدها إلّا ما تحبّ . فردّه ، فكان نعم الرجل . وقال عمر : والله

---

(١) الدراعة ، كرمانة : جبة مشقوقة المقدم ، ولا تكون إلا من صوف .

لأنزعنّ فلانا من القضاء حتى أستعمل عِوَضه رجلا إذا رآه الفاجرُ فَرِق .

* * *

وروى عبد الله بن بريدة ، قال : بينا عمر يعُسّ ذات ليلة انتهى إلى باب متجافٍ ، وامرأةٍ تغنّي نسوة :

هَلْ مِنْ سبيلٍ إلى خَمْرٍ فَأشْرَبها ... أمْ هَل سَبِيلٌ إلى نَصْرِ بن حَجّاجِ

فقال عمر : أمّا ماعشت فلا .

فلمّا أصبح دعا نصر بن حجاج — وهو نصر بن الحجاج بن عُلابط البهزيّ السُّلَميّ — فأبصره وهو من أحسن الناس وجهاً، وأصبحهم وأملحهم حسنا ، فأمر أن يُطمّ[1] شعره، فخرجت جبهته فازداد حسنا ،فقال له عمر :اذهب فاعتمّ ،فاعتمّ فبدت وفرته[2]،فأمر بحلقها فازداد حسنا ، فقال له : فتنت نساء المدينة يابن حجّاج ! لاتجاورْني في بلدة أنا مقيمٌ بها ، ثم سيّره إلى البصرة .

فروى الأصمعيّ ، قال : أبرد عمر بريداً إلى عُتبة بن أبي سفيان بالبصرة ، فأقام بها أيّاماً ، ثم نادى منادي عتبة : مَنْ أراد أن يكتُب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئاً ، فليكتب ، فإنّ بريد المسلمين خارجٌ .

فكتب النّاس ، ودسّ نصر بن حجاج كتاباً فيه :

لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نَصْر بن حجّاج ، سلام عليك ، أمّا بعد ، ياأمير المؤمنين :

لَعَمْري لئن سيّرْتني أو حرمْتَني ... لَما نلتَ من عِرْضِي عليك حَرامُ

أإنْ غنّتِ الذّلفاء يوماً بمُنْيةٍ ... وبعضُ أمانِيّ النّساء غَرامُ

---

(١) طم شعره : عقصه .

(٢) الوفرة : ما سال على الأذنين من الشعر .

ظننتَ بِى الظَّنَّ الّذى ليس بعده … بقاءٌ فَمالى فى النَّدِىّ كلامُ
وأصبحتُ منفيًّا على غير ريبةٍ … وقَدْ كانَ لى بالمكّتَيْنِ مُقَامُ[1]
سيمنعنى مِمّا تظنُّ تكرُّمى … وآباء صِدْقٍ سالفون كِرامُ
ويمنعها مِمّا تمنَّتْ صَلاتُها … وحالٌ لها فى دينها وصِيامُ
فهاتانِ حالانا فهل أنت راجعٌ … فقد جُبَّ مِنّى كاهِلٌ وسَنامُ[2]

فقال عمر : أمّا ولى ولاية فلا . وأقطعه أرضا بالبصرة ودارا .

فلما قتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة .

وذكر المبرّد محمد بن يزيد الثُّمالىّ، قال : كان[3] عمر أصلع ، فلمّا حلَق وفرةَ نصر ابن حجّاج[4]، قال نصر ، وكان شاعرا :

تَضِنّ ابنَ خطّابٍ علىَّ بجُمّةٍ … إذا رُجِّلَتْ تَهتزُّ هزَّ السَّلاسِلِ
فصَلَّع رأسًا لم يصلِّعْهُ ربُّهُ … يرِفّ رفيفًا بعد أسود جائلِ[5]
لقد حسد القُرْعانُ أصلعُ لم يكنْ … إذا ما مشَى بالفرع بالمتخايلِ[6]

محمد بن سعيد ، قال : بينا يطوف عمر فى بعض سِكَكِ المدينة ، إذ سمع امرأة تهتف من خِدْرِها :

هَلْ من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها … أمْ هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بن حَجّاجِ

---

(١) أى مكة والمدينة ؛ مثنى على التغليب .

(٢) جب : قطع . (٣) الكامل ٢ : ١٧٦ .

(٤) فى الكامل ٢ : ١٧٦ ، وفيه : « وكان نصر بن حجاج السلمى ثم البهزى جميلا ؛ فمر عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر — الله أعلم به — فحلق رأسه ، وكان عمر أصلع لم يبق من شعره إلا حفاف ؛ كذلك قال الأصمعى ؛ فقال نصر بن حجاج » ، وأورد الأبيات .

(٥) الجائل : الشعر الكثير الملتف .

(٦) القرعان : جمع أقرع ؛ وهو الزائل الشعر . قال المبرد : قوله : « بالفرع بالمتخايل » ليس أنه جعل « بالفرع » من صلة المتخايل ؛ فيكون قد قدم الصلة على الموصول ؛ ولكنه جعل قوله : « بالفرع » تبيينا ، فصار بمنزلة « بك » التى تقع بعد « مرحبا » للتبيين .

إلى فتى ماجد الأعراق مقتبلٍ   سهل المحيا كريم غير مِلْجاجِ[1]

تنميه أعراقُ صدقٍ حين تنسبه   أخي قداحٍ عن المكروب فرّاجِ

سامي النّواظرِ من بهزٍ له قدمٌ   تضيء صورته في الحالك الدّاجي

فقال عمر : ألا لا أدرى معى رجلا يهتف ، به العواتق في خدورهن ! علىّ بنصر ابن حجاج ، فأتى به ، فإذا هو أحسنُ الناس وجها وعينا وشعرا ، فأمر بشعره فجزّ ، فخرجت له وَجْنتان كأنه قمر ، فأمره أن يعتمّ فاعتمّ ،ففتن النساء بعينيه ، فقال عمر : لا والله لا تساكنّى بأرض أنا بها ، قال : ولِمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو ما أقول لك ، فسيّره إلى البصرة .

وخافت المرأة[2] التى سمع عمر منها ما سمع أن يبدر إليها منه شىء ، فدسّت إليه أبياتا:

قل للأمير الّذى تُخْشَى بوادرُه   مالى وللخمرِ أو نصر بن حجّاج

إنّى بُليتُ أبا حفص بغيرهما   شربِ الحليبِ وطرفٍ فاترٍ ساجِ

لا تجعل الظنّ حقًّا أو تبيّنَــه   إنّ السبيل سبيلُ الخائف الراجى

ما منْيَــةٌ قلتُهـــا عرضاً بضائرةٍ   والنّاس من هالكٍ قِدْماً ومن ناجِ

إنّ الهوى رِعْيَةُ التّقوى تقيّدُه   حتّى أقرّ بإلجــامٍ وإسراجِ

فبكى عمر ، وقال : الحمدُ لله الذى قيّد الهوى بالتقوى .

وأتته يوماً أمّ نصر حين اشتدّت عليها غيبة ابنها،فتعرّضت لعمر بين الأذان والإقامة، فقعدتْ له على الطّريق ، فلما خرج يريد الصــلاة هتفتْ به ، وقالت : يا أمير المؤمنين لأجاثينّك[3] غداً بين يدي الله عز وجل ، ولأخاصمنّك إليه ، يبيتُ عاصم وعبدالله إلى

---

(١) الملجاج : من الملاجة ، وهى التمادى فى الخصومة .

(٢) ذكروا أن المرأة المتمنية هى الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى .

(٣) الجثو : الجلوس على الركبتين للخصومة .

جانبيك وبينى وبين ابنى القَياقى والقفار، والمفاوز والجبال! قال: مَنْ هـذه؟ قيـل: أمّ نصر بن حجّاج، فقـال: ياأمّ نصر، إن عاصما وعبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء الخدور.

ويروى أنّ نصر بن الحجاج لما سيّره عمر إلى البصرة نزل بها على مُجاشع بن مسعود السُّلَمىّ، وكان خليفة أبى موسى عليها، وكانت له امرأة شابّة جميلة فهوِيتْ نصرا، وهويَها فبينا الشيخ جالس ونصر عنـده إذ كتب فى الأرض شيئاً، فقرأته المرأة، فقـالت: «أنا والله»، فقال مجاشع: ماقال لك؟ قالت: إنه قال: ما أصفَى لَقْحتكم هذه؟ فقال مجاشع: إنّ الـكلمة التى قلتِ ليست أختاً لهذا الـكلام، عزمت عليك لَمَا أخبرتنى! قالت: إنه قال: ما أحسن سوار ابنتكم هذه؟ قال: ولا هذه، فإنه كتب فى الأرض، فرأى الخط فدعا بإناء فوضعه عليـه، ثم أحضر غلاما من غِلْمانه، فقال: اقرأ، فقرأه وإذا هو: أنا والله أحبّك، فقال: هـذه لهذه، اعتدّى أيتهـا المرأة، وتزوّجها يابن أخى إن أردت.

ثم غدا على أبى موسى، فأخبره، فقال أبو موسى: أقسم ما أخرجه عمر عن المدينة من خير، ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفىّ، فنزل على دهقانة، فأعجبها فأرسلت إليه، فبلغ خبرها عثمان، فبعث إليه أن اخرج عن أرض فارس، فإنك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خـير، فقال: والله لئن أخرجتمونى لألحقنّ ببلاد الشرك، فـكتب بذلك إلى عمر، فـكتب أن جزّوا شعره وشمّروا قيصـه، وألزموه المساجد.

• • •

وروى عبد الله بن بُريدة أنّ عمر خرج ليلا يعسّ، فإذا نسوة يتحدّثن، وإذا هنّ

يقلن : أىّ فتيان المدينة أصبح ؟ فقالت امرأة منهنّ : أبو ذؤيب والله . فلما أصبح عمر سأل عنه ، فإذا هو من بنى سُلَيم ، وإذا هو ابن عمّ نصر بن حَجّاج ، فأرسل إليه،فحضر، فإذا هو أجملُ الناس وأملحُهم ، فلمّا نظر إليـه قال : أنتَ والله ذئبها ! يكرّرها ويردّدها ، لا والذى نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أبدا .

فقال : ياأميرَ المؤمنين إن كنت لابدّ مسيّرى فسيّرنى حيث سيّرت ابن عمّى نصر ابن حجاج ، فأمر بتسييره إلى البصرة ، فأُشخص إليها .

* * *

خطب عمر فى الليلة التى دُفن فيها أبو بكر ، فقال : إنّ الله تعالى نهج سبيله، وكفانا برسوله ، فلم يبقَ إلّا الدعاء والاقتداء . الحمد لله الذى ابتلانى بكم وابتلاكم بى ، وأبقانى فيكم بعد صاحبى،وأعوذ بالله أنْ أزلّ أو أضلّ،فأعادى له وليًّا،أو أوالى له عدوا.ألا إنّى وصاحبى كنفرٍ ثلاثة قفلوا من طيبة ، فأخذ أحـدهم مهلة إلى داره وقراره فسلك أرضا مضيئة متشابهة الأعلام ، فلم يزلّ عن الطريق ، ولم يحرَم السبيل ، حتى أسلمه إلى أهله ، ثم تلاه الآخر فسلك سبيله ، واتبع أثره ، فأفضى إليه ولقىَ صاحبه ، ثم تلاهما الثالث ، فإن سلك سبيلهما واتبـع أثرهما أفضى إليهما ولاقاهما ، وإنْ زلّ يمينا أو شمالا لم يجامعْهما أبدا .

ألا وإنّ العرب جَمَل أنِفٌ[1] قد أُعطيتُ خِطامه ، ألا وإنى حاملُه على المحجّـة ومستعين بالله عليه .

إلا وإنّى داعٍ فأمّنوا ،اللهمّ إنّى شحيح فسخّنى.اللهمّ إنى غليظٌ فليّنّى . اللهمّ إنى ضعيف فقوّنى.اللهمّ أوجب لى بموالاتك وموالاة أوليائك ولايتك ومعونتك،وأبرئنى

---

(١) الجمل الأنف : الذلول الذى يأنف من الزجر والضرب ويعطى ما عنده من السير عفواً سهلا .

من الآفات بمعاداة أعدائك ، وتوفنى مع الأبرار،ولا تحشرنى فى زمرة الأشقياء . اللهمّ لا تُكثِرْ لى من الدنيا فأطغى ، ولا تقلّل لى فأشقى ، فإن ماقلّ وكفى خير مما كثُرَ وألْهى .

* * *

وفد على عمر قوم من أهل العراق ،منهم جرير بن عبد الله ، فأتاهم بجَفْنة قد صُنِعت بخلّ وزيت ، وقال: خذوا ، فأخذوا أخذا ضعيفا ، فقال : مابالكم تقرمون[1] قَرْمَ الشاة الكسيرة ! أظنكم تريدون حُلواً وحامضا ، وحارًّا وباردا ، ثم قذفًا فى البطون،لوشئتُ أن أدهق[2] لكم لفعلت،ولكنا نستبقى من دُنيانا مانجده فى آخرتنا ، ولو شئنا أن نأمر بصغار الضّأن فتسمط[3]،ولُباب الخبز فيخبز ، ونأمر بالزبيب فينْبذ لنا[4] فى الأسمان[5] حتى إذا صار مثل عين اليعقوب[6] ،أكلنا هذا وشربنا هذا لفعلت ! والله إنّى ماأعجز عن كراكر[7] وأسنمة وصلائق[8] وصناب[9] ، لكن الله تعالى قال لقوم عيّرهم أمراً فعلوه ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾[10] . وإنى نظرتُ فى هذا الأمر ،

---

(١) القرم : الأكل .

(٢) فى اللسان : « دهق الطحين : دققه ولينه ، وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو شئت أن يدهق لى لفعلت ؛ ولكن الله تعالى عاب قوماً فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ ، معناه : لو شئت أن يلين لى الطعام ويجود » .

(٣) يقال : سمط الجدى والحمل يسمطه ــ أى نتف عنه الصوف ونظفه من الشعر .

(٤) النبذ فى الأصل : طرحك الشىء من يدك أمامك أو وراءك ، قالوا : وإنما سمى النبيذ نبيذاً ، لأن الذى يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً فينبذه ، أى يطرحه فى وعاء أو سقاء عليه الماء ويتركه حتى يفور .

(٥) الأسمان : جمع سمن ، وهو قربة أو إداوة يقطع أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها ، ثم يبرد ، وهو شبيه بدلو السقائين . قال فى اللسان : ومنه حديث عمر : أمرت بصاع من زبيب فجعل فى سمن .

(٦) اليعقوب : ذكر الحجل .

(٧) الكركرة : الصدر من ذى الخف .

(٨) الصلائق : ما عمل بالنار طبخاً وشياً .

(٩) الصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزبيب .

(١٠) سورة الأحقاف ٢٠ .

فجعلت إن أردتُ الدنيا أضررت بالآخرة ، وإن أردتُ الآخرة أضررتُ بالدنيا ، وإذا كان الأمر هكذا فأضرّوا بالفانية .

***

خرج عمرُ يوماً إلى المسجد ، وعليه قميص فى ظهره أربع رقاع ، فقرأ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾[1] ، فقال : ما الأبُّ ؟ ثم قال: إنّ هذا لهو التكلّف! وما عليك يابن الخطّاب ألّا تدرِي ما الأبّ !

***

وجاء قوم من الصحابة إلى حفصة فقالوا : لو كلّمتِ أباك فى أن يليِّن من عيشه ، لعلّه أقوى له على النّظرِ فى أمور المسلمين ! فجاءته فقالت : إنّ ناساً من قومكَ كلّمونى فى أنْ أكلّمك فى أن تليِّن من عيشك . فقال : يابنيّة ، غششتِ أباك ، ونصحتِ لقومك .

***

وروى سالم بن عبد الله بن عمر ، قال : لمّا وُلّى عمر قعد على رِزْقِ أبى بكر الّذى كان فرضه لنفسه ، فاشتدّت حاجته؛ فاجتمع نفرٌ من المهاجرين ؛ منهم على وعثمان وطلحة والزبير، وقالوا : لو قلنا[2] لعمر يزيد فى رزقه ! فقال عثمان : إنّه عمر ، فهلمّوا فلنستبِنْ[3] ما عنده من وراء وراء ؛ نأتى حفصة فنكلّمها ونستكتمها أسماءنا . فدخلوا عليها ، وسألوها أن تكلّمه ولا تخبره بأسماء مَنْ أتاها إلّا أن يقبل . فلقيتْ عمر فى ذلك ، فرأت الغضبَ فى وجهه ، وقال : مَنْ أتاكِ ؟ قالت : لاسبيلَ إلى ذلك ، فقال : لو علمتُ مَنْ هم لسؤت أوجههم ، أنت بينى وبينهم ! نشدتكِ الله ما أفضلُ ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وآله فى بيتِك من الملبس ؟ قالت : ثوبان ممشّقان[4] ، كان يلبسهما للوفد ، ويخطب

(١) سورة عبس ٣١ . وفى الكشاف ٤ : ٥٦٣ « الأب : المرعى ، لأنه يؤب ، أى يؤم وينتجع . وروى عن أبى بكر أنه سئل عن الأب ، فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا علم لى به » !

(٢) ا : « كلنا عمر » .

(٣) ب : « فلنستبرئ » .

(٤) ثوب ممشق : مصبوغ .

فيهما في الجمع ، قال : فأيّ طعام ناله عنـدك أرفع ؟ قالت : خبزنا مرة خبزة شعير ، فصببت عليها ـ وهي حارّة أسفلها ـ عُكّة[1] لنا كان فيها سمن وعسل ، فجعلتها هشّة حلوة دسمة ، فأكل منها فاستطابها ، قال : فأيّ مبسط كان يبسط عندك أوطأ ؟ قالت : كساء ثخين كنّا نرقّعه في الصّيف فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه ، وتدثّرنا بنصفه ، قال : فأبلغيهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قدّر فوضع الفضول مواضعها ، وتبلّغ ما أبرّ ؛ وإنّي قدرت فوالله لأضعنّ الفضولَ مواضعها ، ولأتبلّغن ما أبرّ حبّة .

* * *

وفد على عمر وفدٌ فيه رجال الناس من الآفاق ، فوضع لهم بسطا من عباء ، وقدّم إليهم طعاما غليظا ، فقالت له ابنته حفصة أمّ المؤمنين : إنّهم وجوهُ النّاس وكرام العرب ، فأحسِن كرامتهم . فقال : ياحفصة ، أخبريني بألين فراش فرشتِه لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وأطيبِ طعام أكلَه عندك ؟ قالت : أصبنا كساء ملبّداً عام خيبر ، فكنت أفرشه له فينام عليه ، وإنّي رفعته ليلة ، فلمّا أصبح قال : ما كان فراشي الليلة ؟ قلت : فراشك كلّ ليلة ؛ إلّا أنّي الليلة رفعته لك ليكون أوطأ ، فقال : أعيديه لحالته الأولى ، فإن وطاءته منعتني الليلة من الصلاة .

وكان لنا صاع من دقيق سُلْتٍ[2] ، فنخلته يوما وطبخته له ، وكان لنا قعب من سمن فصببتُه عليه ، فبينا هو عليه السلام يأكلُ إذ دخل أبو الدّرداء ، فقال : أرى سمنكم قليلا ، وإنّ لنا لقعباً من سمن ، قال عليه السلام : فأرسِلْ فأت به ، فجاء به فصبّه عليه فأكل ، فهذا أطيبُ طعام أكله عندي رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم .

فأرسل عمر عينيه بالبكاء ، وقال لها : والله لأرِيدَنّهم على ذلك العباء وذلك الطعام

---

(١) العكة : للسمن ، كالشكوة للبن ، وقيل : العكة أصغر من القربة للسمن ، وهي زقيق صغير .
(٢) السلت ، بالضم : ضرب من الشعير ، أو هو الشعير بعينه .

شيئا وهذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وهذا طعامُه .

* * *

لما قدِم عُتْبة بن مرثد أذْرَبيجان أُتِىَ بالخَبِيص[1] ، فلمّا أكله وجد شيئا حلوا طيّبا، فقال : لو صنعتُ من هذا لأمير المؤمنين ! فجعل له خبيصاً فى منقلين عظيمين ،وحملهما على بعيرين إلى المدينة ، فقال عمر : ماهذا ؟ قالوا الخَبيص[2] ، فذاقه فوجده حُلْواً ، فقال : للرسول : ويحك ! أكلّ المسلمين عندكم يشبع من هذا ؟ قال : لا ، قال : فارددها . ثم كتب إلى عُتْبة : أمّا بعدُ ، فإن خَبيصَك الذى بعثته ليس من كَدّ أبيك ولا من كَدّ أمّك ، أشبِع المسلمين مما تشبع منه فى رَحْلك ولا تستأثر ؛ فإنّ الأَثَرة شرّ والسلام .

* * *

وروى عُتْبة بن مرثَد أيضا ، قال : قدمتُ على عمر بحَلْواء من بلاد فارس ، فى سِلالٍ عظام ، فقال : ماهــذه ؟ قلت : طعام طيّب ، أتيتك به ، قال : ويحك ! ولِمَ خصصتَنى به ؟ قلت : أنت رجلٌ تقضى حاجاتِ النّاس أوّلَ النهار ، فأحببت إذا رجعت إلى منزلك أن ترجع إلى طعامٍ طيّب ، فتصيبَ منه فتقوى على القيام بأمرك . فكشف عن سَلّةٍ منها فذاق فاستطاب ، فقال : عزمتُ عليكَ ياعُتْبة إذا رجعت إلّا رزقت كلّ رجل من المسلمين مثله ! قلت : والّذى يصلحك يا أمير المؤمنين لو أنفقت عليه أموال قيس كلّها لما وسع ذلك ، قال : فلا حاجة لى فيه إذاً . ثم دعا بقَصْعةٍ من ثريد ، ولحم غليظ ، وخبز خَشِن ، فقال : كلْ ، ثم جعل يأكل أكلاً شهيًّا ، وجعلت أهوى إلى البَضْعة البيضاء أحسبها سناما ، وإذا هى عَصَبة ، وأهوى إلى البَضْعــة من اللحم أمضُغها ،

---

(١) الخبيص : ضرب من الحلواء .　　(٢) ا : « هذا الخبيص » .

فلا أسيغها ، وإذا هي من عِلْباء العنق[1] ، فإذا غفل عنّي جعلتها بين الخِوان والقصعة ، فدعا بعُسٍّ[2] من نبيذ كاد يكون خلًّا ، فقال : اشرب ، فلم أستطعه ولم أسِغه أن أشرب ، فشرب ، ثم نظر إليّ وقال : ويحك ! إنه ليس بدَرْمك[3] العراق ووَدَكه[4] ، ولكن ما نأكله أنت وأصحابك .

ثم قال : اسمع إنّا ننحر كلّ يوم جزورا ، فأمّا أوراكها ووَدَكها وأطايبها فلمن حضرنا من المهاجرين والأنصار ، وأما عُنُقها فلآل عمر ، وأمّا عظامها وأضلاعها فلفقراء المدينة ، نأكل من هذا اللحم الغثّ ، ونشرب من هذا النبيذ الخاثر[5] ، وندع ليِّن الطعام ليوم تذهل كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضعت ، وتضع كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حملها .

* * *

حضر عند عمر قومٌ من الصحابة ، فأثنوا عليه ، وقالوا : والله ما رأينا يا أميرَ المؤمنين رجلًا أقضى منك بالقسط ، ولا أقولَ بالحقّ ، ولا أشدّ على المنافقين منك ! إنك لخيرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عوف بن مالك : كذبتم والله ، أبو بكر بعد رسول الله ، خيرُ أمته رأينا أبا بكر .

فقال عمر : صدق عوف والله وكذبتم ! لقد كان أبو بكر والله أطيبَ من ريح المِسْك ، وأنا أضلّ من بعير أهلي .

* * *

لما أتى عمرَ الخبرُ بنزول رستم القادسية، كان يخرج فيستخبر الركبان كلّ يوم عن أهل القادسيّة من حين يصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ، فلمّا جاء البشيرُ بالفتح،

---

(١) العلباء عصبة صفراء في صفحة العنق .
(٢) العس : القدح الكبير .
(٣) الدرمك : دقيق الحوارى .
(٤) الودك ، محركة : الدسم من اللحم والشحم .
(٥) خثر النبيذ : ثخن واشتد .

لقيه كما بقى الركبان من قبل ، فسأله فأخبره ، فجعل يقول : ياعبد الله ، إيه ! حدثنى ! فيقول له : هزم الله العدو ، وعمر يخبّ معه ، ويسأله وهو راجل ، والبشيرُ يسير على ناقته ولا يعرفه ، فلما دخل المدينة إذا الناس يسلّمون عليه باسمه بإمرة المؤمنين ويهنئونه ؛ فنزل الرجل ، وقال : هلّا أخبرتنى يا أمير المؤمنين رحمك الله ! وجعل عمر يقول: لا عليك يابنَ أخى ، لا عليك يابن أخى !

* * *

وروى أبو العالية الشامىُّ ، قال : قدم عمر الجابيَة ، على جمل أورَق[1] ، تلوح صُلعته ؛ ليس عليه قلنسوة ؛ تصل رجلاه بين شعبتىْ رحله ، بغير ركاب ، وطاؤه كساء أنبجانى[2] كثير الصوف ، وهو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، وحقيبته نمرة محشوّة ليفاً ، هى حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، وعليه قميصٌ من كَرابيس[3] قد دسم وتخرّق جيبه ، فقال : ادعوا إلىّ رأسَ القرية . فدعوْه له ، فقال : اغسلوا قميصى هـذا وخيّطوه ، وأعيرونى قميصا ريثما يجفّ قميصى ، فأتوه بقميص كَتّان ، فعجب منه ، فقال : ماهذا؟ قالوا : كَتّان . قال وما الكَتّان ؟ فأخبروه ، فلبسه ثم غسل قميصَه ، وأُتِىَ به فنزعَ قميصهم ولبس قميصه ، فقال له رأس القرية : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح بها ركوب الإبل ، فأُتِىَ ببِرذَوْن[4] ، فطرحت عليه قطيفة بغير سرج فركبه ، فهملَج[5] تحته ، فقال للناس : احبسوا ، فحبسوه ، فقال : ما كنت أظنّ الناس يركبون الشيطان قبل هذا ! قدّموا لى جملى . فجىء به فنزل عن البِرذَون وركبه .

* * *

(١) الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وقالوا : هو من أطيب الإبل لحماً ، لا سيرا وعملا.
(٢) أنبجانى ، منسوب إلى منبج ، على غير قياس .
(٣) الكرابيس : جمع كرباس ؛ وهو الثوب الخشن ؛ معرب « كرباس » بالفارسية .
(٤) البرذون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقدر من الحمر ؛ يقع على الذكر والأنثى .
(٥) هملج البرذون : مشى مشية سهلة فى سرعة ، والهملجة : حسن سير الدابة .

قدم عمرُ الشّام ، فلقيه أمراء الأجناد وعظماء تلك الأرض ، فقال : وأين أخى ؟ قالوا : مَنْ هو ؟ قال : أبو عبيدة ، قالوا : سيأتيك الآن ، فجاء أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل ، فسلّم عليه ، وردّ له ، ثم قال للناس : انصرفوا عنّا ، فسار معه حتى أتى منزله ، فنزل عليه ، فلم يرَ فيه إلّا سيفا وترسا ، فقال له : لو اتخذتَ متاع البيت ! قال : حسبى هـذا يبلّغنى المَقيل .

* * *

وروى طارق بن شهاب ، أنّ عمر لما قدِم الشّام عرَضتْ له مخاضة[1] ، فنزل عن بعيره ، ونزع جُرْموقيه[2] فأمسكهما بيده ، وخاض الماء وزمام بعيره فى يده الأخرى ، فقال له أبو عبيدة : لقد صنعت اليومَ صنيعاً عظيما عند أهلِ هـذه الأرض ! فصكّ فى صدره ، وقال : لو غيرُكَ قالها ياأبا عبيدة ! إنّكم كنتم أذلّ الناس ، وأحقرَ الناس، وأقلّ الناس ، فأعزّكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزّ بغيره يرجعْكم إلى الذلّ .

* * *

وروى محمد بن سعد صاحب الواقدىّ ، أنّ عمر قال يوماً على المنبر : لقد رأيتُنى ومالى من أكال[3] يأكله الناس ؛ إلّا أنّ لى خالات من بنى مخزوم ، فكنت أستعذِب[4] لهنّ الماء ، فيقبضْنَ لى القبضات من الزّبيب ، فلمّا نزل قيل له : ماأردتَ بهذا؟ قال: وجدتُ فى نفسى بأْواً[5] ؟ فأردت أن أطأطئ منها .

* * *

(١) المخاضة : موضع الخوض من الماء .
(٢) الجرموق : ما يلبس فوق الخف وقاية له .
(٣) الأكال ، كسحاب : الطعام ، ويقولون : « ما ذقت أكالا » .
(٤) يستعذب الماء : أى يطلب الماء العذب .   (٥) البأو : العجب والخيلاء .

ومن كلام عمر : رحم الله امرأ أهدى إلىّ عيوبى .

* * *

قدم عمرو بن العاص على عُمر ، وكان واليا لمصر ، فقال له : فى كَمْ سرت ؟ قال: فى عشرين ، قال عمر : لقد سرت سير عاشقٍ ! فقال عمرو : إنى والله ما تأبّطتنى الإماء ، ولا حملتنى فى غُبّرات المآلى ، فقال عمر : والله ماهذا بجواب الكلام الذى سألتُك عنه ! وإنّ الدجاجة لتفحص فى الرّماد فتضعُ لغير الفحل؛ وإنما تنسب البَيْضة إلى طِرْقها. فقام عمرو مربدّ الوجه .

قلت : المآلِى : خِرَقٌ سودٌ يحملها النوائح ، ويشرنَ بها بأيديهن عند اللطم ، وأراد خِرَق الحيض هاهنا ، وشبّهها بتلك ، وأنكر عمر فخره بالأمّهات، وقال : إنّ الفخر للأب الذى إليه النسب . وسألت النقيب أبا جعفر عن هذا الحديث فى عمر ، فقال : إنّ عمراً فَخَر على عمر ، لأنّ أمّ الخطاب زنجيّة ، وتعرف بباطحلى ، تسمّى صُهاكَ . فقلت له : وأمّ عمرو النّابغة أمَةٌ من سَبايا العرب ، فقال : أمّه عربية من عَنَزَة ، سُبِيت فى بعض الغارات ، فليس يلحقها من النقص عندهم مايلحق الإماء الزّنجيات . فقلت له : أكان عمرٌو يُقدِم على عمرَ بمثل ماقلت ؟ قال : قد يكون بلغه عنه قولٌ قدح فى نفسه فلم يحتمله له ، ونفث بما فى صدره منه ، وإن لم يكن جواباً مطابقا للسؤال .

وقد كان عمر مع خشونته يحتمل نحوهذا ، فقد جبَهه الزبير مرّة ، وجعل يحكى كلامه يمطّطه ، وجبَهه سعدُ بن أبى وقاص أيضا ، فأغضى عنه . ومرّ يوما فى السوق على ناقة له فوثب غلام من بنى ضَبّة ، فإذا هو خلفه ، فالتفت إليه ، فقال : فمَن أنت ؟ قال : ضَبّىّ ، قال : جَسُورٌ والله، فقال الغلام : على العدوّ ، قال عمر : وعلى الصّديق أيضا، ماحاجتك؟ فقضى حاجته ، ثم قال : دع الآن لنا ظهر راحلتنا .

* * *

ومن كلام عمر : اخشع عند القبور إذا نظرْتَ إليها ، واستمصِ عند المعصية ، وذِلّ عند الطاعة ، ولا تبذلَنّ كلامك إلّا عنـد من يشتهيه ويتّخِذه غُنْماً ، ولا تستعنْ على حاجتك إلّا بمن يحبّ نجاحها لك ، وآخِ الإخوانَ على التقوى ، وشاورْ فى أمرِك كلّه ؛ وإذا اشترى أحدكم بعيرا فليشترِه جسيما ، فإنْ أخطأته النّجابة لم يخطئه السّوق .

* * *

أوفَدَ بشر بن مروان وهو على العراق رجلا إلى عبد الملك ، فسأله عن بِشْر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هو اللّيِّن فى غير ضَعْف ، الشديد فى غير عُنْف ، فقال عبد الملك : ذاك الأحوذىّ [1] ابن حنتمة [2] الذى كان يأمن عنده البرىء ، ويخافه السقيم ، ويعاقب على الذّنب ، ويعرف موضع العقوبة ، لا بشر بن مروان !

* * *

أذن عمر يوما للناس ، فدخل شيخ كبير يعرج ، وهو يقود ناقة رجيماً [3] يجاذبها ، حتى وقف بين ظهرانَى الناس ، ثم قال :

وإنك مسترعًى وإنّا رَعيّـةٌ ... وإنّك مدعـوٌّ بسيماك يا عمرْ
لَدَى يومِ شرّ شرّه لشرارِه ... وخـير لمن كانت مؤانسه الخيرْ

فقال عمر : لاحول ولا قوّة إلّا بالله ! مَنْ أنت ؟ قال : عمرو بن براقة ، قال : ويحك ! فما منعك أن تقول : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [4] . ثم قرأها إلى آخرها ؛ وأمر بناقته فقبضت ، وحمله على غيرها ، وكساه وزوّده .

* * *

(١) الأحوذي : الرجل الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .
(٢) حنتمة : أم عمرو بن الخطاب .
(٣) ناقة رجيع سفر ، أى رجعت فيه مرات .
(٤) سورة الأنفال ٤١ .

بينا عمر يسير فى طريق مكة يوما إذا بالشيخ بين يديه يرتجزُ ؛ ويقول :

ما إنْ رأيتُ كفتى الخطّابِ أبرّ بالدّين وبالأحساب

* بعد النبىّ صاحب الكتاب *

فطعنه عمرُ بالسّوط فى ظهره ، فقال : ويلك ! وأين الصّدّيق ! قال : مالِى بأمره علمٌ يا أميرَ المؤمنين ، قال : أما إنّك لو كنت عالماً ، ثم قلت هذا لأوجعتُ ظهرك.

* * *

قال زيد بن أسلم : كنت عند عمر ، وقد كلّمه عمرو بن العاص فى الحُطيئة ، وكان محبوساً ، فأخرجه من السجن ، ثم أنشده :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ[1]
ألقيتَ كاسِبَهمْ فى قعرِ مُظْلمةٍ فاغفِرْ عليكَ سلامُ اللهِ ياعمرُ
أنتَ الإمامُ الّذِى من بعد صاحبِه ألقتْ إليه مقاليدَ النُّهى البشرُ
ما آثروكَ بهَا إذ قدّموكَ لهَا لكنْ لأنفسِهم كانت بكَ الأثَرُ[2]

فبكى عمر لمّا قال له : « ماذا تقول لأفراخ » ! فكان عمرو بن العاص بعد ذلك يقول : ما أقلّتِ الغبراءُ ولا أظلّت الخضراءُ أتقى من رجل يبكى خوفاً من حَبْس[3] الحطيئة! ثم قال عمر لغلامه يرفأ : علىّ بالكرسىّ ، فجلس عليه ، ثم قال : علىّ بالطّست ، فأُتِىَ بها، ثم قال : علىّ بالمخصف ، لا بل علىّ بالسكين ، فأُتِىَ بها ، فقال : لا بل علىّ بالموسى ؛ فإنها أوحى ، فأُتِىَ بموسى ، ثم قال : أشيروا علىّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهُجْر ، وينسب بالحُرَم ، ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم ، وما أرانى إلّا قاطعا لسانه ! فجعل الحطيئة يزيد خوفاً ، فقال من حضر : إنّه لا يعود يا أميرَ المؤمنين ، وأشاروا إليه قل : لا أعود يا أمير المؤمنين ، فقال : النَّجاءَ النَّجاءَ ! فلمّا ولّى ناداه : ياحطيئة ! فرجع مرعوبا ، فقال : كأنّى بك ياحُطَيئة

(١) ديوانه ٨ . (٢) أى الخلافة . وفى الديوان : « لم يؤثروك » .
(٣) كذا فى ا ، وفى ب : « حبسه » .

عند فتى من قريش ، قد بسط لك نُمرقة ، وكسر لك أخرى، ثم قال: غَنِّنا ياحطيئة،فطفقت تغنّيه بأعراض النّاس . قال : ياأميرَ المؤمنين ، لا أعود ، ولا يكون ذلك .

قال زيد بن أسلم : ثمّ رأيتُ الحطيئة يوماً بعد ذلك عند عُبيد الله بن عمر ، قد بسط له نُمرقة وكسر له أخرى ، ثم قال : تغنّينا ياحطيئة ، وهو يغنّيه ، فقلت : ياحُطيئة ، أما تذكر قول عمر لك ! ففزع ، وقال : رحم الله ذلك المرء ! أما لو كان حيًّا مافعلنا هذا . قال : فقلت لعُبيد الله بن عمر : سمعت أباك يذكر كذا ، فكنتَ أنت ذلك الفتى .

* * *

كان عمر يصادرُ خوَنة العمّال ، فصادر أبا موسى الأشعريّ ، وكان عامله على البَصرة، وقال له : بلغنى أنّ لك جاريتين، وأنّك تُطعم النّاس من جَفنتين ، وأعاده بعد المصادرة إلى عمله .

وصادر أبا هريرة ، وأغلظ عليه ، وكان عامله على البحرين ، فقال له : ألا تعلم أنّى استعملتُك على البحرين، وأنت حافٍ لا نعل فى رجلك ! وقد بلَغنى أنّك بعتَ أفراساً بألف وستمائة دينار . قال أبو هريرة : كانت لنا أفراسٌ فتناتجتْ ، فقال : قد حبستُ لك رزقك ومؤنتك ، وهذا فضل . قال أبو هريرة : ليس ذلك لك ، قال : بلى ، والله وأوجعُ ظهرك ! ثم قام إليه بالدرّة فضرب ظهره ، حتى أدماه ، ثم قال : ائتِ بها ، فلمّا أحضرها ، قال أبو هريرة : سوف أحتسبُها عند الله ، قال عمر : ذاك لو أخذتَها من حِلٍّ ، وأدّيتَها طائعا ، أما والله مارَجَتْ فيك أُميمة أن تجبيَ أموال هَجَر واليمامة وأقصى البحرين لنفسك؛ لا لله ولا للسلمين ، ولم ترجُ فيك أكثر من رِعْيَة الحُمُر . وعزَله .

وصادر الحارث بن وهب أحدُ بنى ليث بكر بن كنانة ، وقال له : ماقِلاصٌ وأعبدٌ بعتَها بمائة دينار ؟ قال : خرجتُ بنفقةٍ لى فاتّجرتُ فيها ، قال : وإنّا والله مابعثناك للتجارة ،

أدّها، قال : أما والله لاأعمل لك بعدها . قال : أنا والله لاأستعملك بعدها.ثم صعدالمنبر، فقال:يامعشرَ الأمراء ، إنّ هذا المال لو رأينا أنه يحلّ لنا لأحللناه لكم،فأمّا إذْ لم نره يحلّ لنا وظَلَفنا[1] أنفسنا عنه،فاظلفوا عنه أنفسكم،فإني والله ماوجدتُ لكم مثلا إلاعطشان ورد اللُّجّة ، ولم ينظر الماتح ، فلمّا روى غرق .

* * *

وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو عامله في مصر :

أمّا بعد ؛ فقد بلغَني أنّه قد ظهر لك مالٌ من إبلٍ وغنم وخدمٍ وغلمان ، ولم يكن لك قبله مال ، ولا ذلك من رزقك ، فأنّى لك هذا ! ولقد كان لى من السابقين الأوّلين من هو خير منك ، ولكني استعملتك لغَنائك ، فإذا كان عملُك لك وعلينا ، بم نؤثرك على أنفسنا ! فاكتب إليّ من أين مالك ؟ وعجّل . والسلام .

فكتب إليه عمرو بن العاص :قرأتُ كتابَ أمير المؤمنين،ولقد صدق، فأمّا ماذكره من مالي ، فإنّي قدمت بلدة ؛ الأسعار فيها رخيصة ، والغزو فيها كثير ، فجمعت فضولَ ماحصل لى من ذلك فيما ذكره أمير المؤمنين . والله ياأميرَ المؤمنين ، لو كانت خيانتُك لنا حلالاً ماخنّاك ؛ حيث ائتمنتَنا، فأقصِرْ عنا عناك ، فإن لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتْنا عن العمل لك ، وأمّا مَنْ كان لك من السابقين الأوّلين ، فهلا استعملتهم ! فوالله مادققت لك باباً .

فكتب إليه عمر : أمّا بعد ، فإنّي لست من تسطيرك وتشقيقك الكلام في شيء ! إنكم معشرَ الأمراء أكلتم الأموال،وأخلدتم إلى الأعذار ؛ فإنما تأكلون النار،وتورّثون العار ، وقد وجّهت إليك محمد بن مسلمة ليشاطرَك على مافى يديك . والسلام .

---

[1] ظلف نفسه عن الشيء : منعها .

فلمّا قدم إليه محمد اتخذ له طعاماً وقدّمه إليه ، فأبى أن يأكل ، فقال : مالك لا تأكل طعامنا ؟ قال : إنك عَمِلْتَ لي طعاماً هو تقدمة للشرّ،ولو كنتَ عملتَ لي طعام الضَّيف لأكلته ، فأبعدْ عنّي طعامك ، وأحضر لي مالك . فلمّا كان الغد وأحضر ماله ، جعل محمد يأخذ شطرا ، ويعطي عمرا شطرا ، فلمّا رأى عمرو ماحاز محمد من المال ، قال : يامحمّد ، أقول ؟ قال : قل ماتشاء ، قال : لعن الله يوما كنتُ فيه واليا لابن الخطّاب ! والله لقد رأيته ورأيت أباه ، وإنّ على كلّ واحد منهما عباءة قطوانية ، مؤتزرا بهما ، ماتبلغ مأبِض [1] ركبتيه ، وعلى عنق كلّ واحد منهما حُزمة من حطب ، وإنّ العاص ابن وائل لفي مزرّرات الديباج . فقال محمد:إيها ياعمرو ! فعمر والله خير منك،وأمّا أبوك وأبوه ففي النار ، ووالله لولا مادخلتَ فيه من الإسلام لألفيت معتلفا شاة يسرّك غزْرها، ويسوءك بكؤها . قال : صدقت ؛ فاكتم عليّ . قال : أفعل .

* * *

جاءت سُرِّيّة لعبيد الله بن عمر إلى عمر تشكوه ، فقالت : ياأمير المؤمنين،ألاتعذرني من أبي عيسى ؟ قال : ومَنْ أبو عيسى ؟ قالت : ابنك عبيد الله ، قال : ويحك ! وقد تسكّى بأبي عيسى ! ودعاه ، وقال : إيهاً ! اكتنيت بأبي عيسى ! فحذر وفزع ، فأخذ يده فعضّها حتى صاح،ثم ضربه وقال : ويلك ! هل لعيسى أب ! أما تدري ما كُنَى العرب ؟ أبو سلمة ، أبو حنظلة ، أبو عرفطة ، أبو مرّة .

كان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يشتفِ حتى يعضّ يده،وكان عبدالله بن الزبير كذلك يقال : إنه لم يلِ ولاية من ولد عمر والٍ عادل .

* * *

---

(١) المأبض : كل ما يثبت عليه فخذك . ، وقيل : المأبضان ما تحت الفخذين .

وقال مالك بن أنس : إنّ عمر بن الخطاب استفرغ كلّ عدلٍ فى ولده ، فلم يعدل بعده أحدٌ منهم فى ولاية وليها .

كان عمر ومن بعده من الولاة إذا أخذوا العُصاة نزعُوا عمائمهم ، وأقاموهم للناس ، حتى جاء زياد فضربهم بالسِّياط ، فجاء مُصعب فحلق مع الضرب ، فجاء بشر بن مروان ، فكان يصلب تحت الإبطين ، ويضرب الأكفّ بالمسامير . فكتب إلى بعض الجند قوم من أهله يستزيرونه ، ويتشوّقونه ، وقد أخرجه بشر إلى الرىّ فكتب إليهم :

لولا مخافةُ بشرٍ أو عقوبتُه ... أو أن يرى شانئٌ كفّى بمسمارِ
إذاً لعطّلتُ ثغرِى ثمّ زرتُكمُ ... إنّ المحِبّ المعنّى جِدُّ زوّارِ

فلمّا جاء الحجاج قال : كلّ هذا لعِبٌ ، فقتل العُصاة بالسّيف .

* * *

زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خلا عُمرُ لبعضِ شأنه ، وقال : أمسِكْ علىّ الباب ، فطلع الزُّبير ، فكرهتُه حين رأيته ، فأرادَ أن يدخُلَ ، فقلتُ : هُو على حاجةٍ ، فلم يلتفتْ إلىّ ، وأهوَى ليدخُل ، فوضعتُ يدى فى صدرِه ، فضرب أنفى فأدماه ، ثم رجع ، فدخلتُ على عمر ، فقال : مابك ؟ قلت : الزُّبير !

فأرسل إلى الزُّبير ، فلمّا دخل جئتُ فقمتُ لأنظُر مايقول له ، فقال : ماحملك على ماصنعت ; أدمّيتَنِى للناس . فقال الزُّبير يحكيه ويمطّط فى كلامه : « أدميتَنِى ! » ، أتحتجب عنّا يابن الخطاب ! فوالله مااحتجب منّى رسول الله ، ولا أبو بكر ! فقال عمر كالمعتذِر : إنى كنتُ فى بعض شأنى !

قال أسلَمَ : فلمّا سمعتُهُ يَعتذِر إليه ، يئستُ من أنْ يأخُذَ لِى بحقّى منه .

فخرج الزُّبير ، فقال عمر : إنه الزبير وآثاره ماتعلمَ ! فقلت : حقّى حقك !

* * *

وروى الزبير بن بكَّار فى كتاب " الموفّقيات " ، عن عبد الله بن عباس قال : إنّى لأماشى عمر بن الخطاب فى سكّة من سِكك المدينة ، إذ قال لى : يابن عباس ، ما أرى صاحبَك إلّا مظلوما ، فقلت فى نفسى : والله لا يسبقُنى بها ، فقلت : ياأميرَ المؤمنين ، فارددْ إليه ظُلامته ، فانتزعَ يدَه من يدى ، ومضى يُهَمْهِم ساعة ، ثمّ وقف فلحقتُه ، فقال : يابنَ عباس ؟ ماأظنّهم منعهم عنه إلّا أنّه استصغره قومُه ! فقلت فى نفسى : هذه شرٌّ من الأولى ! فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمَرَاه أن يأخذ براءة من صاحبك[1] .

فأعرض عنّى وأسرَع ، فرجعت عنه .

* * *

وقال ابن عباس : قلت لعمر ، لقد أكثرتَ التمنّى الموت ، حتى خشيت أن يكون عليك غير سهل عند أوانه ! فماذا سئمتَ من رعيّتك ؛ أن تعين صالحا ،أو تقوّم فاسدا!

قال : يابنَ عبّاس ، إنّى قائلٌ قولا تخذه إليك ، كيف لا أحبّ فراقهم،وفيهم من هو فاتحٌ فاه للشّهوة من الدّنيا ، إمّا لحقٍّ لا ينوء بهِ ، وإمّا لباطلٍ لا يناله ! والله لولا أنْ أُسألَ عنكم لبرئتُ منكم فأصبحت الأرض منى بلاقع ، ولم أقل : مافعل فلان وفلان !

* * *

جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب ، فقالت : ياأميرَ المؤمنين ، إنّ زوجى يصومُ

---

(١) انظر الرياض النضرة ٢ : ١٧٣ .

النّهار ويقوم الليل ، وإنّى أكرهُ أنْ أشكُوَه وهو يعمل بطاعة الله . فقال : نِعْمَ الزّوج زوجُكِ ! ؛ فجعلتْ تكرّر عليه القول ، وهو يكرّر عليها الجواب .

فقال له كعب بن سوّر : ياأميرَ المؤمنين ، إنها تشكو زوجَها فى مباعدته إياها عن فراشه ، ففطِن عمر حينئذٍ ، وقال له : قد وليّتُكَ الحكْمَ بينهما !

فقال كعب : علىّ بزوجها ، فأُتِىَ به ، فقال : إنّ زوجتك هذه تشكوك ، قال : فى طعام أو شراب ؟ قال : لا ، قالت المرأة :

أيُّها القاضِى الحكيمُ رشَدُهْ ... ألْهَى خليلى عن فراشِى مَسْجِدُهْ
زهّدَهُ فى مضجعِى تَعَبُّدُهْ ... نهارُه وليلُهُ مايرقدُهْ

* فلستُ فى أمرِ النّساء أحمَدُهْ *

فقال زوجها :

زهّدنى فى فرْشِها وفى الحجَلْ ... أنّى امرؤٌ أذهلَنِى ماقدْ نزَلْ
فى سُورةِ النّمل وفى السبعِ الطُّوَلْ ... وفِى كتابِ اللهِ تخويفٌ جلَلْ

قال كعب :

انّ لهَا حقًّا عليكَ يارَجُلْ ... نصيبُها من أرْبَعٍ لمن عَقَلْ

* فأعْطِهَا ذاكَ ودعْ عنكَ العِلَلْ *

فقال لعمر : ياأمير المؤمنين ، إنّ الله أحلّ له من النّساء مثنَى وثلاثَ ورُباعَ ، فله ثلاثة أيام ولياليهنّ ، يعبُد فيها ربّه ، ولها يومٌ وليلة .

فقال عمر : والله ما أعلم من أىّ أمريك أعجب! أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما ! اذهب فقد وليّتُك قضاء البصرة .

* * *

وروى زيد بن أسْلَمَ ، عن أبيه، قال : خرجتُ مع عمر بن الخطاب وهو يطوف بالليل،

فنظر إلى نار شرقيّ حَرّة المدينة ، فقال : إن هؤلاء الرَّكب لم ينزلوا هاهنا إلا اللّيلة ! ثمّ أهْوَى [1] لهم ، فخرجت معه حتى دنونا ، فسمعنا تضاغِيَ [2] الصّبيان وبكاءهم .

فقال : السّلام عليكم ياأصحابَ الضوء ، هل ندنو منكم ! واحتبسنا قليلا ، فقالت امرأة منهم : ادنُوا بسلاَم ! فأقبلنا حتى وقفنا عليها ، فقال : مايُبكِي هؤلاء الصبيان ؟ قالت : الجوع ،قال : فما هذا القِدْر على النار ؟ قالت : ماء أعلّلهم به ، قال : انتظريني فإنى بالغك إن شاء الله ! ثم خرج يُهرْوِل وأنا معه،حتّى جئنا دار الدّقيق ـ وكانت داراً يطرح فيها مايجيء من دقيق العراق ومصر . وقد كان كتب إلى عمرو بن العاص وأبى موسى حين أصابت السّنة : الغوث ، الغوث ! احملوا إلىّ أحمَال الدقيق ، واجعلوا فيها جمائد الشحم . فجاء إلى عِدْلٍ منها ، فطأطأ ظهره ، ثم قال : احمله على ظهري ياأسْلَمَ ! فقلت : أنا أحمله عنك ! فنظر إلىّ وقال : أنت تحمل عنّى وزْرِي يومَ القيامة ؟ لا أبالك ! قلت: لا ، قال : فاحمله على ظهري إذاً ، ففعلتُ ، وخرج به يُدْلِجُ [3] وأنا معه ؛ حتّى ألقاه عند المرأة .

ثم قال لى : ذُرِّى [4] عَلَىّ ذَرُور الدقيق لا يتعرّد وأنا أخزِر [5]،ثم أخذ المِسْواط [6] يخزر ، ثم جعل ينفخ تحت البُرْمة ، وأنا أنظر إلى الدّخَان يخرج من خَلَل لحيته ، ويقول : لا تعجل حتى ينضج ، ثم قال : ألقِ علىّ من الشحم ، فإن القَفار يُوجع البطن .

---

(١) أهوى لهم : نزل عليهم .
(٢) التضاغى : الصياح والتضور من الجوع .
(٣) الإدلاج : السير أول الليل .
(٤) ذر الشيء : أخذه بأطراف أصابعه ، ثم نثره على الشيء .
(٥) الخزيرة . العصيدة .
(٦) السوط : خلط الشيء بعضه ببعض ، والمسوط والمسواط : ما سيط به .

ثم أنزل القِدْر ، وقال المرأة : لا تعجلي ، لا تعطيهم حارًّا ، وأنا أسطِّح لك ، فجعل يسطِّح بالمِسْوَاط ، ويبرِّد طعامهم ، حتى إذا شبعُوا ترك عندها الفضل ، ثم قال لها : ائتي أميرَ المؤمنين غدا ، فإنك عَسِيتِ أن تجديني قريباً منه ، فأشفعَ لك بخير ؛ وهي تقول : مَنْ أنتَ يرحمك الله ! وتدعُو له وتقول : أنت أوْلَى بالخلافة من أمير المؤمنين ؛ فيقول: قولِي خيرا يرحمْك الله ! لا يزيدُ على هذا .

ثم انصرف حتى إذا كان قريبـا جلس فأقْعى ، وجعل يسمَع طويلا ، حتى سمع التضَاحُك منها ومن الصبيان ، وأنا أقول : يا أمير المؤمنين ، قد فرّغت من هذه، ولك شغل في غيرِها ، ويقول : لا تـكلّمني ، حتى إذا هدأ حسُّهم قام فتمطَّى وقال ؛ ويحك ! إنِّي سمعتُ الجوع أسهرهم ، فأحببت ألّا أبْرَح حتى أسمع الشِّبع أنامَهم !

* * *

ومن كلامه : الرجال ثلاثة : الـكامل ، ودون الـكامل ، ولا شيء . فالـكامل ذو الرأى يستشير الناس ، فيأخذ من آراء الرجال إلى رأيه ، ودون الـكامل من يستبدّ به ولا يستشير . ولا شيء مَن لا رأى له ولا يستشير .

والنساء ثلاث : تعين أهلَها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها ، وقلّما تجدها. وامرأة وعاء للولد ليس فيها غيره . والثالثة غُلٌّ قَمِلٌ [1] يجعله الله في رقبة مَنْ يشاء ، ويفكّه إذا شاء

* * *

لما أخرج عمر الحطيئة من حَبْسه قال له : إيّاك والشعر ! قال : لا أقدر على تركه يا أمير المؤمنين ؛ مأكلةُ عيالي ، ونملة تدِبّ على لساني . قال : فشبِّبْ بأهلك ، وإياك

---

(١) في اللسان : « في حديث عمر في صفة النساء : منهن غل قمل ؛ أي ذو قمل . كانوا يغلون الأسير بالقد وعليه الشعر فيقمل ، ولا يستطيع دفعه عنه بحيلة » .

وكل مدحة مُجحِفة . قال : وما المجحفة ؟ قال : تقول : إن بنى فلان خيرمن بنى فلان، امْدحْ ولا تفضّل أحداً ، قال : أنت والله ياأميرَ المؤمنين أشعر منّى!

* * *

وروى الزّبير فى ،، الموفقيات ،، عن عبدالله بن عباس ، قال : خرجت أريد عمر بن الخطاب ، فلقيتهُ راكباً حماراً ، وقد ارتسنه بحَبْل أسود ، فى رجليه نعلان مخصوفتان ، وعليه إزار وقميص صغير ، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه ، فمشيت إلى جانبه ، وجعلت أجذب الإزارَ وأسوّيه عليه ، كلّما سترتُ جانبا انكشف جانب ، فيضحك ويقول : إنّه لا يطيعك ، حتى جئنا العالية ، فصلّينا ، ثمّ قدّم بعض القوم إلينا طعاما من خبز ولحم ، وإذا عمرُ صائم ، فجعل ينبِذ[1] إلىّ طيّب اللحم ، ويقول : كلْ لى ولك ، ثمّ دخلنا حائطا فألقى إلىّ رداءه ، وقال : اكفنيه ، وألقى قميصه بين يديه ، وجلس يغسله ، وأنا أغسل رداءه ، ثمّ جففْناهما وصلّينا العصر، فركب ومشيت إلى جانبه ، ولا ثالث لنا .

فقلت : ياأمير المؤمنين ، إنى فى خِطْبة فأشرْ علىّ ، قال : ومَنْ خطبتَ ؟ قلت : فلانة ابنة فلان ، قال : النّسب كما تحبّ ، وكما قد علمت ، ولكن فى أخلاق أهلها دِقّة[2] لا تعدمك أن تجدَها فى ولَدِك ! قلت : فلا حاجة لى إذاً فيها ، قال : فلمَ لا تخطبُ إلى ابنِ عمّك ـ يعنى عليا ؟ قلت : ألم تسبقْنى إليه ؟ قال : فالأخرى ، قلت : هى لابن أخيه . قال : يابن عباس ، إنّ صاحبَكم إن ولِىَ هذا الأمر أخشى عُجْبه بنفسِه أن يذهب به ، فليتنى أراكم بعدى !

قلتْ : ياأميرَ المؤمنينَ ، إن صاحبَنا ماقدْ علمت : إنّه ماغيّرولا بدّل ، ولا أسخط رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّمَ أيّام صحبته له .

---

(١) ينبذ : يطرح .
(٢) الدقة : الخساسة .

قال : فقطع علىَّ الكلام ، فقال : ولا فى ابنة أبى جهل ، لمَّا أراد أن يخطبها على فاطمة !

قلت : قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ له عَزْماً ﴾ (١) ، وصاحبُنا لم يعزِم على سخط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الخواطر التى لا يقدر أحدٌ على دفعها عن نفسه ، وربما كان من الفقيه فى دين الله ، العالم العامل بأمر الله .

فقال : يابنَ عباس ، مَنْ ظنَّ أنه يردُ بحورَكم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنَّ عجزا ! أستغفر الله لى ولك ، خذ فى غيرها .

ثم أنشأ يسألنى عن شىء من أمور الفُتْيا وأجيبه فيقول : أصبتَ أصاب الله بك ! أنت والله أحقُّ أن تُتَّبع !

* * *

أشرف عبدُ الملك على أصحابه ، وهم يتذاكرون سيرةَ عمر ، فغاظه ذلك ، وقال : إيهاً عن ذِكرِ سيرة عمر ! فإنها مَزراةٌ على الولاة ، مفسدة للرعيّة .

* * *

قال ابن عباس : كنت عند عمر ، فتنفّس نفساً ظننتُ أنّ أضلاعه قد انفرجت ، فقلت : ما أخرج هذا النَّفَسَ منك يا أميرَ المؤمنين إلا همٌّ شديد ! قال : إى والله يا بنَ عباس ! إنى فكّرتُ فلم أدرِ فيمَنْ أجعلُ هذا الأمرَ بعدى ! ثم قال : لعلّك ترى صاحبَك لها أهلا ! قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ! قال : صدقت ، ولكنه امرؤ فيه دُعابة ، قلت . فأين أنت عن طلحة ! قال : ذو البَأْو (٢) ، وبإصبعه المقطوعة ! قلت : فعبد الرحمن ؟ قال : رجل ضعيف لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه فى يد امرأته . قلت : فالزّبير ؟ قال : شكِسٌ لَقِس (٣) يُلاطم فى النقيع فى صاع

(١) سورة طه ١١٥ . (٢) البأو : العجب والتفاخر .
(٣) اللقس الشكس : سيء الخلق ؛ كذا فسره صاحب اللسان ؛ وأورد الخبر .

من بُرٍ ! قلت : فسعد بن أبي وقاص ؟ قال : صاحب سلاح ومِقْنَب[1] ، قلت : فعثمان ؟ قال : أَوَّه ! ثلاثا ، والله لئن وليها ليحملَنَّ بني أبي مُعَيط على رقاب الناس ، ثم لتنبض العرب إليه .

ثم قال : يابن عباس ، إنه لا يصلُح لهذا الأمر إلا خَصيف[2] العقدة ، قليل الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم يكون شديدا من غير عنف ، ليّنا من غير ضعف ، سخيًا من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف[3] . قال ابن عباس : وكانت والله هي صفات عمر .

قال : ثمَّ أقبل عليّ بعد أن سكت هُنَيهةً ، وقال : أجرؤهم والله إن وليَها أن يحملهم على كتاب ربّهم وسنةِ نبيّهم لَصاحبُك ! أما إن وليَ أمرهم حملهم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم .

***

وروى عبد الله بن عمر قال : كنت عند أبي يوماً ، وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أشعرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان ، فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ! مَنْ أشعرُ الناس يا عبدَ الله ؟ قال : زهير ابن أبي سلمى ، قال : فأنشدْني مما تستجيده له . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان ، فقال :

لو كان يقعُد فوق الشمس من كرمٍ ... قومٌ بأوّلهمْ أو مجدِهمْ قعدوا

قوم أبوهم سنانٌ حين تَنْسُبُهُمْ ... طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا

إنسٌ إذا أمنوا ، جنٌّ إذا فزعوا ... مُرَزَّءون بهاليلٌ إذا جُهِدوا

---

(١) المقنب : جماعة الخيل .

(٢) قال المحب الطبري في الرياض النضرة ٢ : ٦٠ : « خصيف العقدة : مستحكمها ؛ واستحصف الشيء : استحكم ، والحصيف : الرجل المحكم العقل ؛ وكنى بذلك عمر عن الاشتداد في دين الله وقوة الإيمان به » .

(٣) الوكف : العيب .

محسّدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حُسِدوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موفقًا ، فقال : يابن عباس ، أتدرى ما منع الناس منكم ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : لكنى أدرى ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهتْ قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فيجخفوا جخفًا[1]،فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت[2].

فقال ابن عباس : أيميط أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع ! قال : قل ما تشاء ، قال : أما قول أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3].

وأما قولك : «إنا كنا نجخف» ، فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة ، ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] ، وقال له : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

وأما قولك : « فإن قريشا اختارت » ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[6] ، وقد علمتَ يا أمير المؤمنين أن الله اختار مِنْ خلقه لذلك مَن اختار ، فلو نظرتْ قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش .

فقال عمر : على رِسْلِك يابن عباس ، أبتْ قلوبكم يابنى هاشم إلا غِشًّا فى أمر قريش لا يزول ، وحقدًا عليها لا يحول ، فقال ابن عباس : مهلًا يا أمير المؤمنين !

---

(١) جخف : تكبر .

(٢) الشعر والخبر المتصل به فى ديوان زهير وشرحه ٢٨١ــ٢٨٣

(٣) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة ن ٥

(٥) سورة الشعراء ٢١٥

(٦) سورة القصص ٦٨ .

لا تنسب هاشماً إلى الغش ، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذى طهّره الله وزكّاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] ؛ وأما قولك : «حقداً» فكيف لايحقد من غُصِبَ شيئه، ويراه فى يد غيره !

فقال عمر : أما أنت يابن عباس ، فقد بلغنى عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فتزولَ منزلتُك عندى ، قال : وما هوَ يا أمير المؤمنين ؟ أخبرنى به ، فإنْ يكُ باطلاً فمثلى أماطَ الباطلَ عن نفسه ، وإنْ يكُ حقّاً فإنَّ منزلتى عندك لا تزولُ به .

قال : بلغنى أنّك لا تزال تقول: أُخِذَ هذا الأمر منك حسداً وظلما . قال: أمّاقولك يا أمير المؤمنين : « حسداً » ، فقد حسد إبليس آدم ، فأخرجه من الجنّة ، فنحن بنو آدم المحسود .

وأما قولك : « ظلما » فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحقّ من هو !

ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، ألم تحتجّ العرب على العجم بحقّ رسول الله ، واحتجّت قريش على سائر العرب بحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارجع إلى منزلك . فقام ، فلمّا ولّى هتف به عمر : أيها المنصرف، إنّى على ما كان منك لراعٍ حقك !

فالتفت ابن عباس فقال : إنّ لى عليك يا أمير المؤمنين وعلى كلّ المسلمين حقّاً برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ ، ومَنْ أضاعه فحقّ نفسه أضاع . ثم مضى .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ .

فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس ! مارأيته لاحَى أحداً قطّ إلّا خصَمه !

* * *

لما توفّيَ عبد الله بن أُبيّ ، رأس المنافقين فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء ابنه وأهله ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلِّيَ عليه ، فقام بين يدى الصفّ يريد ذلك ، فجاء عمر فجذبه من خلفه ، وقال : ألم يَنْهَكَ الله أن تصلّيَ على المنافقين ! فقال: إنى خُيِّرت فاخترت ، فقيل لى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ﴾[1]، ولو أنّى أعلم أنّى إذا زدت على السبعين غفر له لزدت .
ثم صلى رسول الله عليه ومشى معه ، وقام على قبره .

فعجب الناس من جراءة عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، فلم يلبث الناس إلّا أن نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ .. ﴾[1] فلم يصلّ عليه السلام بعدها على أحدٍ من المنافقين[2] .

* * *

وروى أبو هريرة، قال : كنا قعوداً حولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى نفرٍ ، فقام من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقطع دوننا فقُمْنا ـ وكنت أولَ مَنْ فزع ـ فخرجت أبتغيه حتى أتيتُ حائطاً[3] للأنصار لقوم من بنى النّجار ، فلم أجد له بابا إلّا ربيعا، فدخلت فى جوف الحائط ـ والربيع الجدول ـ فدخلت منه بعد أن احتفرْتُه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبو هريرة ! قلت : نعم ، قال : ماشأنك ؟ قلت : كنتَ بين أظهرنا ، فقمت فأبطأت عنّا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ، ففزعنا ـ وكنتُ أوّل من فزع ـ فأتيتُ هذا الحائط فاحتفرْتُه كما يحتفرُ الثعلب ، والناس من ورائى .

---

(١) سورة التوبة ٨٠ ، ٨٤ (٢) الرياض النضرة ١ : ١٤٠
(٣) الحائط هنا : البستان .

فقال : ياأبا هريرة ، اذهب بنعلىّ هاتين ، فمن لقيته وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله ، مستيقنا بها قلبُه ، فبشّره بالجنّة . فخرجت ، فكان أوّلَ من لقيت عمر ، فقال : ماهذان النّعلان ؟ قلت : نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى بهما ، وقال : مَنْ لقيته يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقناً بها قلبُه ، فبَشّرْه بالجنة .

فضرب عمر فى صدرى فخررت لاسْتِى ، وقال : ارْجِعْ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

فأجهشتُ بالبكاء راجعاً ، فقال رسول الله : مابالك ؟ قلت : لقيتُ عمر فأخبرته بالذى بعثتَنِى به ، فضرب صدرِى ضربةً خررت لاسْتِى ، وقال : ارجع إلى رسول الله .

فخرج رسول الله ، فإذا عمر ، فقال : ماحملك ياعمر على مافعلت؟ فقال عمر : أنت بعثت أبا هريرة بكذا ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعلْ ، فإنى أخشى أن يتّكل الناس عليها فيتركوا العمل ، خَلّهم يعملون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلّهم يعملون .

* * *

وروى أبو سعيد الخدرىّ ، قال : أصابت النّاسَ مجاعةٌ فى غزاة تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، لوأذنتَ لنا فذبحنا نواضِحَنا[1] ، وأكلنا شحمَها ولحمَها ! فقال : افعلوا ، فجاء عمر فقال : يارسول الله ، إنهم إن فعلوا قلّ الظّهر ، ولكن ادعهم بفضلات أزوادهم فاجمعها ، ثم ادعُ لهم عليها بالبركة ، لعل الله يجعل فى ذلك خيرا .

---

(١) الناضح : البعير يستق عليه ؛ ثم استعمل فى كل بعير ، وإن لم يحمل الماء .

ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأكل الخلق الكثير من طعام قليل ، ولم تذبح النواضح .

* * *

وروى ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر له ذنبا أذنبه ، فأنزل الله تعالى فى أمره : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[1] فقال : يارسول الله ، لى خاصّة ، أم للناس عامّة !

فضرب عمر صدره بيده وقال : لا ، ولا نُعمى عين ! بل للنّاس عامّة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل للناس عامة .

* * *

وكان عمر يقول : وافقنى ربّى فى ثلاث : قلت : يارسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلّى ؟ فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[2] .

وقلت : يارسول الله ، إن نساءك يدخل عليهنّ البرّ والفاجر ، فلو أمرتهنّ أن يحتجبن ! فنزلت آية الحجاب .

وتمالأ عليه نساؤه غيرة ، فقلت له : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾[3] ؛ فنزلت بهذا اللفظ[4] .

* * *

وقال عبد الله بن مسعود : فَضَل عمر النّاس بأربع : برأيه فى أسارى بدر ، فنزل القرآن بموافقته : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾[5] ، وبرأيه فى حجاب نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

(١) سورة هود ١١٤
(٢) سورة البقرة ١٢٥
(٣) سورة التحريم ٥
(٤) الرياض النضرة ١ : ٢٤٠
(٥) سورة الأنفال ٦٧

مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾[1] وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أيِّد الإسلام بأحدِ الرجلين » ، وبرأيه في أبي بكر ، كان أول مَنْ بايعه[2].

***

وروت عائشة قالت : كنتُ آكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حَيْساً[3] قبل أن تنزل آية الحجاب ، ومرّ عمر فدعاه فأكل ، فأصابت يده إصبعي ، فقال : حَسِّ[4] لوأطاعُ فيكنّ ماراًتْكنّ عين ! فنزلت آية الحجاب[5].

***

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر ، فقالا : ياخليفة رسول الله ، إن عندنا أرضاً سَبِخة ليس فيها كلأٌ ولا منفعة ، فإنْ رأيت أن تقطعناها ، لعلّنا نحرثُها أو نزرَعها ! ولعلّ الله أن ينفع بها بعداليوم ! فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين: ماترون ؟ قالوا : لابأس ، فكتب لها بها كتابا ، وأشهد فيه شهودا . وعمر ما كان حاضرا ، فانطلقا إليه ليشهد في الكتاب ، فوجداه قائما يهنأ[6] بعيرا ، فقالا : إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لنا هذا الكتاب ، وجئناك لتشهد على مافيه ، أفتقرؤه أم نقرؤه عليك ؟ قال : أعلى الحال التي تريان ! إنْ شئتما فاقرآه ، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ .

قالا : بل نقرؤه عليك ، فلمّا سمع مافيه ، أخذه منهما، ثم تفل فيه ، فمحاه ، فتذامرا وقالا مقالة سيّئة .

---

(١) سورة الأحزاب ٥٣

(٢) الرياض النضرة ١ : ٢٠٢ (٣) الرياض النضرة : « حيساً في قعب » .

(٤) قال المحب الطبرى : « حس » هي بكسر السين والتشديد : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه مامضه وأحرقه كالجمرة والضربة ونحوها . (٥) الرياض النضرة ١ : ٢٠٢

(٦) يهنأ بعيره : يطليه بالقطران علاجاً له من الجرب .

فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يتألّفكما والإسلام يومئذ ذليل ، وإنّ الله تعالى قد أعزّ الإسلام ، فاذهبا فاجهدا جهدكما ، لا رَعى الله عليكما إن رعيتما !

فذهبا إلى أبي بكر ، وهما يتذمران ، فقالا : والله ماندرى أنت أميرٌ أم عمر ؟ فقال : بل هو لو شاء كان .

***

وجاء عمر وهو مغضَب ، حتى وقف على أبي بكر ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتَها هذين الرجُلين ، أهي لك خاصّة ، أم بين المسلمين عامّة ! فقال : بين المسلمين عامّة ، قال : فما حمَلك على أن تخصّ بها هذين دون جماعة المسلمين : قال : استشرتُ الذين حولي ، فأشاروا بذلك ، فقال: أفكلّ المسلمين أوسعتَهم مشورة ورضاً ! فقال أبو بكر : فلقد كنتُ قلت لك : إنك أقوى على هذا الأمر منّي ، لكنّك غلبتَني !

***

لمّا كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلم كتابَ الصُّلح في الحديبية بينَه وبين سُهيل ابن عمرو ، كان في الكتاب أنَّ من خَرَج من المسلمين إلى قريش لايُردّ ، ومَنْ خرج من المشركين إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُرَدّ عليهم ، فغضِب عمر وقال لأبي بكر : ماهذا يا أبا بكر ! أيردّ المسلمون إلى المشركين ! ، ثم جاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس بين يديه ، وقال يارسولَ الله ، ألستَ رسولَ الله حقًّا ! قال : بلى ، قال : ونحن المسلمون حقًّا ! قال : نعم ، قال : وهم الكافرون حقًّا ! قال : نعم ، قال : فعلامَ نعطِي الدنيّة في ديننا ! فقال رسول الله : أنا رسول الله ، أفعل مايأمرُني به ، ولن يضيِّعَني .

فقام عمر مغضَبا ، وقال : لو أجد أعوانا ما أعطيتُ الدنيّة أبدا . وجاء إلى أبي بكر

فقال له : ياأبا بكر ، ألم يكن وعَدنا أننا سندخل مكّة ، فأين ماوعدنا به ؟ فقال أبو بكر : أقال لك : إنّه العام يدخلها ؟ قال : لا ، قال : فسيدخلها، فقال : فما هذه الصحيفة التى كُتبت ؟ وكيف نعطِى الدنيّة من أنفسنا ! فقال أبو بكر : ياهذا ، الزم غرزَه [1]، فوالله إنّه لَرسولُ الله ، وإن الله لا يضيّعهُ .

فلما كان يوم الفتح وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مفتاح الكعبة ، قال : ادعوا إلى عمر ، فجاء فقال : هذا الذى كنتُ وعدتُكم به [2] !

* * *

لما قُتِل المشركون يوم بدر أُسِرَ منهم سبعون أسيراً ، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبا بكر وعمر ، فقال أبو بكر : يارسولَ ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ، وأرى أن تأخذ منهم الفِدْية ، فيكون ماأخذنا منهم قوة لنا على المشركين ، وعسى أن يهديَهم الله بعد اليوم ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ماتقول أنت ياعمر ؟ قال : أرى أن تمكننى من فلان — قريب لعمر — فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عَقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين. اقتلهم يارسول الله ، فإنّهم صناديدهم وقادتهم. فلم يهوَ رسول الله ماقاله عمر .

قال عمر : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدته قاعداً وأبو بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : مايبكيكما ؟ حدّثانى ، فإن وجدت بكاء بكيت وإلّا تباكيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى لأخذ الفداء ، لقد عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة منه .

---

(١) الزم غرزه ، أى أمره ونهيه (٢) الرياض النضرة ٢ : ٤٤

قال عبد الله بن عمر : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كِدْنا أن يصيبنا شرٌّ في مخالفة عمر .

* * *

وقال عُمر في خلافته : لئن عشتُ إن شاء الله لأسيرنّ في الرعيّة حولًا ، فإني أعلمُ أنّ للناس حوائجَ تقتطع دوني ، أمّا عمّالهم فلا يرفعونها إليّ ، وأمّا هم فلا يصلون إليّ . أسيرُ إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيمُ بها شهرين ، ثم أسيرُ إلى مصر فأقيمُ بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيمُ بها شهرين ، ثم إلى البصرة فأقيمُ بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا !

* * *

وقال أسْلَم : بعثني عمر بإبل من إبل الصّدقة إلى الحِمَى ، فوضعت جهازي على ناقةٍ منها كريمة ، فلمّا أردتُ أن أصدرها قال : اعرضها عليّ ، فعرضتها عليه ، فرأى متاعي على ناقة حسناء ، فقال : لا أمّ لك ! عَمَدت إلى ناقة تُغْني أهلَ بيت من المسلمين ! فهلّا ابن لَبون[1] بوّال ، أو ناقة شَصوص[2] !

* * *

وقيل لعمر : إنّ هاهنا رجلاً من الأحبار نصرانيًا ، له بصر بالديوان ، لو اتّخذته كاتبا! فقال: لقد اتّخذتُ إذاً بطانةً من دون المؤمنين !

* * *

قال ، وقد خطب الناس: والذي بعث محمداً بالحق لو أنّ جملا هلك ضَيَاعا بشطّ الفرات، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب .

(١) ابن اللبون : ولد الناقة إذا كان في العام الثاني .
(٢) الشصوص : الناقة القليلة اللبن .

قال عبدُ الرحمن بن زيد بن أسلم : يعنى بآل الخطاب نفسه ، مايعنى غيرها .

* * *

وكتب إلى أبى موسى : إنه لم يزل للناس وجوه من الأمر ، فأكرم مَنْ قبلك من وجوه النّاس ، وبحسب المسلم الضعيف من بين القوم أن ينصَف فى الحكم وفى القَسْم .

* * *

أتى أعرابىّ عمر ، فقال : إنّ ناقتى بها نَقَباً ودَبَراً ، فاحملْنى ، فقال له : والله مابعيرك من نَقَبٍ[1] ولا دَبَر[2] ، فقال:

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ... مامَسَّها مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبَرْ

* فاغفر له اللهمّ إن كان فَجَرْ *

فقال عمر : اللهم اغفر لى ، ثم دعاه فحمله .

* * *

جاء رجل إلى عمر وكانت بينهما قرابة يسأله ، فزبره[3] وأخرجه ، فكلّم فيه ،وقيل : يا أميرَ المؤمنين زبرتَه وأخرجتَه . قال :إنه سألنى من مال الله ، فما معذرتى إذا لقيتُه ملكا خائنا ؟ فلو سألنى من مالى !

ثم بعث إليه ألف درهم من ماله .

* * *

---

(١) نقب البعير : حفى ، وقيل : رقت أخفافه .

(٢) الدبر : إصابة البعير بالدبرة ، وهى قرحة من الرحل .

(٣) زبره : نهره .

وكان يقول فى عماله : اللهمّ إنّى لم أبعثهم ليأخذوا أموال المسلمين ، ولا ليضربوا أبشارهم ، مَنْ ظلمه أميرُه فلا إمْرة عليه دونى !

* * *

بينا عمر ذات ليلة يُعسّ ، سمع صوت امرأة من سطح وهى تنشد :

تَطَاوَلَ هذا اللّيل وازْوَرّ جانِبُهْ وليس إلى جنْبِى خليلٌ أُلاعِبُهْ

فــوالله لولا اللهُ تُخشى عواقبُهْ لَزُعْزِعَ من هَذَا السَّرير جوانبُهْ

مخافة رَبّى والحيــاء يصــدُّنِى وأكرم بَعْلِى أن تُنَالَ مراكبُهْ

[ولــكنّنِى أخْشَى رقيباً موكَّلا بأنفسنا لا يفترُ الدّهرَ كاتِبُهْ][1]

فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ! ماذا صنعت ياعمر بنساء المدينة !

ثم جاء فضرب على حَفْصة ابنته ، فقالت : ماجاء بك فى هذه الساعة ؟ قال : أخبريني كم تصبر المرأة المُغيبة عن بعلها ؟ قالت : أقصاه أربعة أشهر .

فلمّا أصبح كتب إلى أمرائه فى جميع النواحى ألّا تجمّر[2] البعوث ، وألّا يغيب رجلٌ عن أهله أكثر من أربعة أشهر[3] .

* * *

وروى أسلم ، قال : كنتُ مع عمر ، وهو يُعسُّ بالمدينة ، إذ سمع امرأةً تقول لبنتها : قومى يابنيّة إلى ذلك اللبن بعدالمشرقين فامذُقيه[4] ، قالت : : أو ماعلمت ما كان من عزْمة أمير المؤمنين بالأمس ؟ قالت : وماهو ؟ قالت : إنّه أمر مناديا فنادى ألّا يُشاب اللبن بالماء ، قالت : فإنك بموضع لا يراك أمير المؤمنين ولا منادى أمير المؤمنين ! قالت :

---

(١) من الرياض النضرة (٢) تجمر : تحبس فى الغزو

(٣) ابن الجوزى ٦٠ ، والرياض النضرة ٢ : ٥٨

(٤) امذقيه ، أى اخلطيه بالماء .

والله ما كنت لأطيعه فى الملأ ، وأعصيه فى الخلاء ــ وعمر يسمع ذلك ــ فقال : يا أسلمُ ، اعرف الباب ، ثم مضى فى عسَّه ، فلمّا أصبح ، قال : يا أسلم ، امض إلى الموضع ، فانظر مَن القائلة ومَن المقول لها ؟ وهل لهما من بَعْل ؟

قال أسلم : فأتيت الموضع ، فنظرت فإذا الجارية أيِّم ، وإذا المتكلّمة بنت لها ، ليس لهما رجل .

فجئت فأخبرته ، فجمع عمر ولده ، وقال : هل يريدُ أحدٌ أن يتزوّج فأزوّجه امرأة صالحة فتاةً ، ولو كان فى أبيكم حركة إلى النساء لم يسبقه أحد إليها ؟ فقال عاصم ابنه : أنا ، فبعث إلى الجارية فزوّجها ابنه عاصماً ، فولدت له بنتاً هى المكنّاة أمّ عاصم ، وهى أمّ عمر بن عبد العزيز بن مروان .

***

حجّ عمر فلما كان بضجنان [1] قال : لا إله إلا الله العلىّ العظيم ، المعطى ما يشاء لمن يشاء ، أذكر وأنا أرعى إبل الخطّاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف ــ وكان فظًّا يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت ــ وقد أمسيت اليوم وليس بينى وبين الله أحدٌ ثم تمثّل :

لا شىء مِمّا يُرى تَبقَى بشاشتُه	يبقى الإله ، ويودِى المالُ والولَدُ [2]
لم تُغنِ عن هرمزٍ يوما خزائنُه	والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمان إذ تجرى الرِّياحُ له	والإنس والجنّ فيما بينها يَرِدُ
أينَ الملُوكُ التى كانت منازلُها	مِنْ كلِّ أوبٍ إليها راكبٌ يَفِدُ
حوض هنالِكَ مورودٌ بلا كَذِبٍ	لابدّ من وِرْدِهِ يوماً كما وَرَدُوا

***

(١) ضجنان : موضع بناحية مكة .
(٢) الرياض النضرة ٢ : ٥٠

وروى محمد بن سيرين أنّ عمرَ فى آخر أيامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عددَ ركعات الصلاة ؛ فجعل أمامه رجلًا يلقّنه ، فإذا أومَى إليه أن يقوم أو يركع ، فعل .

* * *

وسمع عمر منشدا ينشد قول طَرَفة :

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الْفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى[1]

فَمِنْهُنَّ سَبْقِى العَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى ما تُعْلَ بِالماءِ تُزْبِدِ[2]

وكَرِّى إذا نادى المضافُ مُحَنَّبًا ... كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتَهُ المُتَوَسِّدِ[3]

وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ المُعَمَّدِ[4]

فقال : وأنا لولا ثلاثٌ هنّ من عيشة الفتى ، لم أحفِلْ متى قام عُوّدى ؛ أن أجاهدَ فى سبيل الله ، وأن أضع وجهى فى التراب لله ، وأن أجالس قوماً يلتقطون طيّب القول كما يُلتقط طيّب التمر .

* * *

وروى عبد الله بن بُريدة ، قال : كان عمر ربّما يأخذ بيد الصبيّ ، فيقول : ادعُ لى ، فإنّك لم تُذْنب بعد !

* * *

وكان عمر كثير المشاورة ، كان يشاور فى أمور المسلمين حتى المرأة .

* * *

وروى يحيى بن سعيد ، قال : أمر عمر الحسينَ بن على عليه السلام أن يأتيه

(١) المعلقة ـ بشرح التبريزى ٨١ ، ٨٢ .

(٢) الكميت من الخمر : التى تضرب إلى السواد .

(٣) كرى : عطفى . والمحنب : من التحنيب ، وهو احديداب فى وظيفى يدى الفرس . والسيد : الذئب . والغضا : شجر ، وذئابه أخبث الذئاب .

(٤) الدجن : إلباس الغيم السماء . والبهكنة : التامة الخلق .

فى بعض الحاجة ، فلقىَ الحسين عليه السلام عبدَ الله بن عمر ، فسأله من أين جاء ؟ قال : استأذنت على أبى فلم يأذن لى ، فرجع الحسين ولقيَه عمر من الغد ، فقال : مامنعك ياحسينُ أن تأتيَنى ؟ قال : قد أتيتُك ، ولكن أخبرَنى ابنُك عبد الله أنّه لم يؤذَن له عليك ، فرجعتُ ، فقال عمر : وأنت عندى مثله ! وهل أنبت الشَّعر على الرأس غيرُكم !

* * *

قال عمر يوما ، والناس حوله : والله ماأدرى أخليفة أنا أم ملِك ! فإن كنتُ ملِكاً ، فقد ورّطتُ فى أمرٍ عظيم ، فقال له قائل : يا أميرَ المؤمنين إنّ بينهما فرقا ، وإنك إن شاء الله اعلى خير ، قال : كيف ؟ قال[1] : إن الخليفة لايأخذ إلا حقّا ولايضعه إلا فى حقّ ، وأنت بحمد الله كذلك ، والمَلِك يعسِف النّاس ويأخذ مال هذا فيعطيه هذا .

فسكت عمر وقال : أرجو أن أكونه .

* * *

وروى مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر تعلّم سورة البقرة فى اثنتى عشرة سنة ، فلمّا ختمها نحر جَزُوراً .

وروى أنس ، قال : كان يُطرح لعمر كلّ يوم صاعٌ من تمر ، فيأكله حتى حشَفه .

* * *

وروى يوسف بن يعقوب الماجشون ، قال : قال لى ابن شهاب ولأخ لى وابن عمٍّ لنا ونحن صبيان أحداث : لاتحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإنّ عمر كان إذا نزَل به الأمر المعضل ، دعا الصبيان فاستشارهم ، يبتغى حِدّة[2] عقولهم .

* * *

(١) ب : « قلت » : والصواب ما أثبته من ا .
(٢) ساقطة من ب .

وروى الحسن ، قال : كان رجل لا يزال يأخذ من لحية عمر شيئاً فأخذ يوماً من لحيته؛ فقبض على يده فإذا فيها بشيء ، فقال : إن المَلَق من الكذِب ثم علاه بالدِّرّة .

* * *

انقطع شِسْع نعل عمر ، فاسترجع [1] وقال : كلّ ماساءك فهو مصيبة .

* * *

وقف أعرابيّ على عمر ، فقال له :

يابن خطّابٍ جُزيتَ الجنّهْ ... اكسُ بُنيّاتي وأمّهُنّهْ

* أقسم باللهِ لتفعلنّهْ *

فقال عمر : إن لم أفعل ، يكون ماذا ؟

قال :

* إذاً أبا حفصٍ لأمضينّهْ *

فقال : إذا مضيت يكون ماذا ؟

قال :

تكون عن حالي لتُسألنّهْ ... يوم تكونُ الأعطياتُ جُنّهْ

والواقف المسئولُ يُبْهَتنّهْ ... إمّا إلى نارٍ وإمّا جنّهْ

فبكى عمر ، ثم قال لغلامه : أعطه قميصى هذا لذلك اليوم، لا لشِعره ، والله ما أملك ثوباً غيره .

* * *

وروى ابن عباس قال : قال لي عمر ليلة : أنشِدْني لشاعر الشعراء ، قلت : ومَنْ هو ؟ قال : زهير الذي يقول :

---

(١) استرجع أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

إذَا ابْتَدَرَتْ قيسُ بن عَيلان غايةً من المجـدِ مَنْ يسبق إليها يسوّدِ (١)

فأنشدته حتى برَق الفجر ، فقال : إيهاً الآن ! اقرأ ياعبد الله ، قلت : ما أقرأ؟ قال: سورة الواقعة .

***

سمع عمر صوت بكاء فى بيت ، فدخل وبيده الدِّرّة ، فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة ، فضربها حتى سقط خِمارها ، ثم قال لغلامه : اضرب النائحة ، ويلك ! اضربها فإنها نائحةٌ لاحرمةَ لها ، لأنها لاتبكى بشجوكم ، إنها تُهَرِيق دموعَها على أخذ دراهمكم ، إنها تؤذى أمواتـكم فى قبورهم ، وأحياءكم فى دورهم ، إنها تنهى عن الصبر ، وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

***

ومن كلامه : من اتّجَر فى شىء ثلاث مرات فلم يصِب فيه فليتحوّل عنه إلى غيره.

ومن كلامه : لو كنتُ تاجرا ما اخترت على العطر شيئاً ، إن فاتنى ربحُه لم يفتنى ريحه.

ومن كلامه : تفقَّهوا قبل أن تسوَّدُوا .

ومن كلامه : تعلَّموا المهنة ، فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته .

ومن كلامه : مكسبة فيها بعض الدناءة ، خير من مسألة الناس .

ومن كلامه : أعقلُ الناس أعْذَرُهم لهم .

***

رأى عمر ناسا يتبعون أُبىّ بن كعب ، فرفع عليه الدرّة ، فقال: ياأمير المؤمنين،اتق الله ، قال : فما هذه الجموع خلفك يابن كعب ! أماَ علمتَ أنها فتنة للمتبوع ، مذلة للتابع.

***

جاء رجلٌ إلى عمر ، فقال : إنّ بنتاً لى واريتُها فى الجاهلية ، فاستخرجناها قبل أن

(١) ديوانه ٢٣٤ .

تموتَ ، فأدركت معنا الإسلام ، فأسلمت ، ثم قارفتْ حدًّا من حدود الله ، فأخذت الشَّفرة لتذبحَ نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويناها حتى برئت ، وتابت توبةً حسنة ، وقد خطبها قوم ، أفأخبرهم بالذى كان من شأنها ؟ فقال عمر : أتعمِد إلى ماستره الله فتبديَه ، والله لئن أخبرتَ بشأنها أحداً لأجعلنّك نَكالا لأهل الأمصار! أنكِحْها نكاح العفيفة السليمة .

* * *

أسلم غيلان بن سلَمة الثقفىّ عن عشر نسوة ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : اختَرْ منهن أربعا ، وطلّق ستا ، فلمّا كان على عهد عمر طلّق نساءه الأربع ، وقسم ماله بين بنيه ، فبلَغ ذلك عمر ، فأحضره فقال له : إنى لأظنّ الشيطان فيما يسترق من السمع،سمع بموتك فقذفه فى نفسك ، ولعلك لا تمكث إلا قليلا ! وايمُ الله لتراجعنّ نساءك ، ولترجعنّ فى مالك ، أو لأورثنهن منك ، ولآمرنّ بقبرك فيرجَم ، كما رجِم قبر أبى رِغال .

* * *

وقال عمر : إن الخرْق فى المعيشة أخوَف عندى عليكم من العِيال ، إنّه لا يبقى مع الفساد شىء ، ولا يقلّ مع الإصلاح شىء .

وكان عمر يقول : أدِّبُوا الخيل ، وانتضِلوا ، واقعدوا فى الشمس ، ولا يجاورنّكم الخنازير ، ولا تقعدوا على مائدةٍ يُشرب عليها الخمر ، أو يرفع عليها الصليب ، وإياكم وأخلاقَ العجم ، ولا يحلّ لمؤمنٍ[1] أن يدخل الحمّام إلّا مؤتزراً ، ولا لامرأة أن تدخُلَ الحمّام إلا من سقَم ، فإذا وضعت المرأة خِمارها فى غير بيت زوجها ، فقد هتكت السِّتر بينها وبين الله تعالى .

---

(١) ا : « لأحد » .

وكان يكره أن يتزيّا الرّجال بزِيّ النساء ، وألّا يزال الرّجل يُرى مكتحلا مُدَّهنًا ، وأن يحُفّ لحيته وشاربه كما تحُفّ المرأة .

* * *

سمع عمر سائلا يقول : مَنْ يعشّى السائل ؟ فقال : عَشّوا سائلكم ، ثم جاء إلى دار إبل[1] الصّدقة يعشّيها ، فسمع صوته مرة أخرى : من يعشّي السائل؟ فقال : ألم آمركم أن تعشوه ! فقالوا : قد عشّيناه ، فأرسل إليه عمر ، وإذا معه جرابٌ مملوء خبزا ، فقال: إنك لست سائلا ، إنما أنت تاجر تجمع لأهلك ، فأخذ بطَرَف الجراب فنبذَه بين يدَيِ الإبل.

* * *

وقال عمر : من مَزَح استُخِفّ به ، وقال : أتدرُون لِمَ سمّي المُزاح مُزاحا ؟ لأنه أزاح الناس عن الحقّ .

ومن كلامه : لن يعطَى أحدٌ بعد الكفر بالله شرًّا من زوجةٍ حديدة اللسان ، سيّئة الخُلُق ، عقيم . ولن يعطَى أحدٌ بعد الإيمان بالله خيرا من زوجةٍ كريمة ودود وَلُود ، حَسَنة الخُلُق .

وكان يقول : إن شقاشق الكلام من شقاشق اللسان ، فأقلّوا ما استطعتم .

ونظر إلى شابّ قد نكّس رأسه خشوعا ، فقال : ياهذا ، ارفع رأسك ، فإنّ الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر للخَلْق خشوعا فوق ما في قلبه ، فإنما أظهر نفاقا .

ومن كلامه : إنّ أحبّكم إلينا ما لم نركم أحسنكم أسماء ، فإذا رأيناكم فأحبّكم إلينا أحسنكم أخلاقا ، فإذا بلوناكم فأحبكم إلينا أعظمكم أمانة ، وأصدقكم حديثا .

* * *

وكان يقول : لا تنظروا إلى صلاة امرئ ولا صيامِه ، ولكن انظروا إلى عقله وصِدْقه .

---

(١) ب : « أهل » تحريف ، وصوابه من ا

ومن كلامه: إنّ العبد إذا تواضع لله رفع حَكَمَته[1]، وقال له: انتعش نعشك الله! فهو فى نفسه صغير، وفى أعين الناس عظيم. وإذا تكبّر وعتا وهَصه[2] الله إلى الأرض، وقال: اخسَأ، خَسَأك الله! فهو فى نفسه عظيم، وفى أعين الناس حقير، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير.

وقال: الإنسان لا يتعلّم العلم لثلاث، ولا يتركه لثلاث: لا يتعلّمه ليمارىَ به، ولا ليباهىَ به، ولا ليرائىَ به. ولا يتركه حياء من طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل بدلا منه.

وقال: تعلّموا أنسابكم تَصِلوا أرحامكم.

وقال: إنّى لا أخاف عليكم أحد الرّجُلين، مؤمنا قد تبيّن إيمانُه، وكافرا قد تبيّن كفره، ولكن أخاف عليكم منافقا يتموّذ بالإيمان ويعمل بغيره.

ومن كلامه: إن الرّجف[3] من كثرة الزنا، وإن قحوط المطر من قضاة السوء وأئمة الجوْر.

وقال فى النساء: استعينوا عليهنّ بالعُرْىِ، فإن إحداهُنّ إذا كثُرتْ ثيابها، وحسنت زينتها، أعجبها الخروج.

ومن كلامه: إن الجِبْت السّحر، وإنّ الطاغوت الشيطان، وإنّ الجبن والشجاعة غرائز تكون فى الرجال، يقاتل الشجاع عمّن لا يعرف، ويفرّ الجبان عن أمّه، وإن كرَم الرّجل دينه، وحسبَ الرّجُل خُلُقه، وإن كان فارسيًّا أو نبطيًّا.

وقال: تفهّموا العربيّة، فإنّها تشحذ العقل، وتزيد فى المروءة.

وقال: النّساء ثلاث: امرأة هيّنة ليّنة عفيفة، وَدُود ولود، تعين بعلها على الدّهر، ولا تعينُ الدّهر على بعلها، وقلّما تجدها. وأخرى وِعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا، والثالثة غلٌّ قَمِلٌ، يجعله الله فى عُنُق مَنْ يشاء، وينزعه إذا شاء.

(١) الحكمة، بالتحريك: الشأن والأمر. (٢) الوهصة: المطمئن من الأرض. (٣) الرجف: الاضطراب.

والرجال ثلاثة : رجل عاقل يورد الأمور ويصدرها،فيحسن إيراداً وإصداراً،وآخر يشاور الرجال ، ويقف عند آرائهم ، والثالث حائر بائر،لا يأتمر رشداً،ولا يُطيع مرشداً.

* * *

وقال : مايمنعكم إذا رأيتم السّفيه يخرق أعراضَ النساء أن تُعرِّبوا [١] عليه ، قالوا : نخاف لسانه ، قال : ذاك أدنَى ألّا تكونوا شهداء .

ورأى رجلاً عظيمَ البطن ، فقال : ماهذا ؟ قال : بركة من الله .

وقال : إذا رُزقت مودّة من أخيك فتشبّث بها مااستطعت .

وقال لقوم يحصدون الزرع : إنّ الله جعل ماأخطأت أيديكم رحمةً لفقرائكم ، فلا تعودوا فيه .

وقال : ماظهرت قطُّ نعمة على أحدٍ إلا وجدتَ له حاسداً ، ولو أنّ امرأً كان أقوم من قِدْحٍ ، لوجدتَ له غامزا .

وقال : إيّاكم والمدحَ ، فإنه الذّبح .

وقال لقَبيصة بن ذؤيب : أنت رجل حديث السنّ ، فصيح اللسان . وإنه يكون في الرجل تسعة أخلاق حسنة ، وخلُق واحد سيّئ ، فيغلب الواحد التسعة ، فتوقَ عثراتِ [٢] السيّئات .

وقال : بحسب امرئٍ من الغيّ أن يؤذيَ جليسه ، أو يتكلّف مالا يعنيه ، أو يعيب الناس بما يأتي مثله ، ويظهر له منهم مايخفى عليهم من نفسه .

وقال : احترسوا من النّاس بسوء الظنّ .

وقال في خطبة له : لا يعجبنّكم من الرجل طنطنته ولكن مَنْ أدّى الأمانة ، وكفّ عن أعراض الناس فهو الرّجل .

وقال : الراحة في مُهاجرة خلَطاء السوء .

---

(١) التعريب : أن يتكلم بالكلمة فيفحش فيها أو يخطىء ، فيقول له الآخر: ليس كذا ولكنه كذا الذي هو أصوب . كذا فسره صاحب اللسان ، وذكر قول عمر .

(٢) ب : « عثرات » ؛ وما أثبته من ا .

وقال : إنّ لؤماً بالرجل أن يرفع يديه من الطعام قبل أصحابه .

وأثنى رجل على رجل عند عمر ، فقال له : أعاملتَه ؟ قال :لا ، قال : أصحبتَه فى السفر؟ قال : لا ، قال : فأنت إذاً القائل مالا يعلم .

وقال : لأن أموت بين شُعبتى رَحْلى ، أسعى فى الأرض ،أبتغى من فضل الله كَفاف وجهى ، أحبّ إلىّ من أن أموت غازياً .

* * *

وكان عمر قاعداوالدِّرّة معه ، والناس حوله ،إذ أقبل الجارودالعامرىّ ، فقال رجل: هذا سيّد ربيعة ، فسمعها عمر ومَن حوله ، وسمعها الجارود ، فلمّا دنا منه ، خفقَه بالدِّرّة ! فقال : مالى ولك ياأمير المؤمنين ! قال : ويلك ! سمعتَها ! قال : وسمعتُها فـه ! قال : خشيت أن تخالط القوم ويقال : هذا أمير ، فأحببتُ أن أطأطئْ منك .

وقال : من أحبّ أن يصل أباه فى قبره ، فليصلْ إخوان أبيه من بعده .

وقال : إنّ أخوَف ماأخاف أن يكون ، إعجابُ المرء برأيه ، فن قال : إنّى عالم فهو جاهل ، ومن قال : إنّى فى الجنّة فهو فى النار .

* * *

وخرج للحجّ فسمع غناء راكبٍ يغنّى وهو مُحرِم ، فقيل : ياأمير المؤمنين ، ألاتنهاه عن الغناء وهو محرم ؟ فقال : دعوه ، فإنّ الغناء زادُ الراكب .

* * *

وقال : يُثْغِر[1] الغلام لسبع ، ويحتلم لأربع عشرة ، وينتهى طوله لإحدى وعشرين، ويكمل عقله لثمانٍ وعشرين ، ويصير رجلا كاملا لأربعين .

* * *

(١) أثغر الغلام : أى سقطت أسنانه

وروى سعيد بن المسيّب ، أنّ عمر لما صدَر من الحجّ فى الشهر الذى قتل فيه ، كوّم كَوْمةً من بطحاء ، وألقى عليها طرف ثوبه ، ثمّ استلقى عليها ؛ ورفع يديه إلى السّماء ، وقال : اللهمّ كبِرت سنّى ، وضعفت قوّتى ، وانتشرت[1] رعيتى ، فاقبضنى إليك غيرَ مضيّع ولا مفرّط .

ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال :

أيها النّاس قد فرضتُ لكم الفرائض ، وسَنَنْتُ لكم السُّنن ، وتركتكم على الواضحة ، إلّا أن تضلّوا بالناس يمينا وشمالا . إيّاكم أن تنهوا عن آية الرّجْم ، وأن يقول قائل : لانجد ذلك حدًّا فى كتاب الله ، فقد رأيت رسول الله رجم ورجَمْنا بعده ، ولولا أن يقول الناس : إنّ ابن الخطاب أحدث آيةً فى كتاب الله لكتبتُها ، ولقد كنا نقرؤها : « والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة » ؛ فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعِن .

* * *

دُفع إلى عمرَ صكّ[2] محلّه فى شعبان ، فقال : أىّ شعبان ؟ الّذى مضى أم الذى نحن فيه ؟ ثمّ جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : ضَعُوا للنّاس تاريخا يرجعون إليه ، فقال قائل منهم : اكتبُوا على تاريخ الرّوم ، فقيل : إنّه يطول ، وإنّه مكتوبٌ من عهد ذى القرنين . وقال قائل : بل اكتبُوا على تاريخ الفُرْس ، [فقيل إن الفرس][3] كلّما قام ملك طرحوا ما كان قبله . فقال علىّ عليه السلام : اكتبُوا تاريخكم منذ خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من دَار الشّرك إلى دار النُّصرة ، وهى دار الهجرة ، فقال عمر : نعم ما أشرت به ، فكتب للهجرة ، بعد مضىّ سنتين ونصف من خلافة عمر[4] .

(١) انتشرت الرعية : أى تفرقت فى شتى النواحى .

(٢) الصك : كتاب الإقرار بالمال . (٣) تكملة من تاريخ الطبرى .

(٤) الخبر فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٥٣ (الحسينية) ، وفيه : « فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فوجدوه عشر سنين ، فكتب التاريخ من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم » .

قال المؤرخون : إنّ عمر أوّل مَنْ سنّ قيام رمضان فى جماعة ، وكتب به إلى البلدان ، وأقام الحدّ فى الخمر ثمانين ، وأحرق بيت رُوَيشد الثقفىّ ، وكانَ نبّاذاً ، وأقام فى عمله بنفسه . وأوّل مَنْ حمل الدِّرّة وأدّب بها . وقيل بعده : كانت دِرّة عمر أهيب من سيف الحجاج .

وهو أوّل مَنْ فتح الفتوح ، فتح العراق كلّه : السّواد والجبال وأذربيجان، وكوَر البصرة ، وكوَر الكوفة والأهواز ، وفارس ، وفتح الشّام كلّها ماخلا أجنادين ، فإنها فُتِحت فى خلافة أبى بكر . وفتح كُور الجزيرة والموصل ومصر والإسكندرية ، وقتله أبو لؤلؤة وخيله على الرّىّ .

وهو أوّل مَنْ مَسَح السّواد ووضع الخراج على الأرض ، والجزْية على جماجم أهل الذّمة فيما فتحه من البلدان ، وبلغ خراجُ السّواد فى أيامه مائة ألف ألف درهم وعشرين ألف ألف درهم بالوافية ، وهى وزن الدّينار من الذهب . وهو أوّل مَنْ مصّر الأمصار ، وكوّف الكوفة[1] ، وبصّر البصرة ، وأنزلها العرب ، وأوّل مَن استقضى القُضاة فى الأمصار ، وأوّل مَنْ دوّن الدواوين ، وكتب النّاس على قبائلهم ، وفرضَ لهم الأعطية ، وهو أوّل مَنْ قاسم العمّال وشاطرهم أموالهم ، وكان يستعمل قوماً ويدَع أفضل منهم لبصرهم بالعمل ، وقال : أكره أن أدنّس هؤلاء بالعمل . وهو الّذِى هَدَم مسجد رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، وزاد فيه ، وأدخل دار العباس فيما زاد . وهو الّذِى أخرج اليهود من الحجاز ، وأجلاهم عن جزيرة العرب إلى الشام. وهو الّذِى فتح البيت المقدس، وحضَر الفتح بنفسه . وهو الذى أخّر المقام إلى موضعه اليوم ، وكان مُلصَقاً بالبيت. وحجّ بنفسه خلافتَه كلّها إلّا السّنَة الأولى ، فإنّه استخلف على الحجّ عبد الرحمن بن عوف. وهو

---

(١) فى اللسان عن المفضل : يقال : كوفوا هذا الرمل ، أى نحوه ، ومنه سميت الكوفة .

الذى جاء بالحصى من العقيق فبسطه فى مسجد المدينة ، وكان الناسُ إذا رفعوا رءوسهم من السجود نفضوا أيديَهم .

* * *

وروى أبو هريرة ، قال : قدِمتُ على عمر من عند أبى موسى بثمانمائة ألف درهم ، فقال لى : بماذا قدمت ؟ قلت : بثمانمائة ألف درهم ، فقال : ألم أقل لك إنك يمانٍ أحمق ، ويحك! إنما قدمتَ بثمانين ألف درهم ، فقلت : ياأمير المؤمنين إنما قدِمت بثمانمائة ألف درهم ، فجعل يعجَب ويكرّرها ، فقال : ويحك! وكم ثمانمائة ألف درهم ؟ فعدَدْتُ مائة ألف ، ومائة ألف حتى بلغت ثمانية ، فاستعظم ذلك ، وقال : أطيِّبٌ هو ويحَك ! قلت : نعم ، فبات عمر ليلته تلك أرِقًا حتى إذا نُودِىَ لصلاة الصبح ، قالت له امرأته : ما نمتَ هذه الليلة ، قال : وكيف أنام وقد جاء الناسَ مالم يأتهم مثله منذ قام الإسلام ، فظنّت المرأة أنّها داهية ، فسألته ، فقال : مالٌ جمٌ ، حمله أبو موسى ، قالت : فما بالك ؟ قال : مايؤمِّنني لو متّ وهذا المال عندى لم أضعه فى حقه ! فخرج يصلّى الصبح ، واجتمع الناسُ إليه ، فقال لهم : قد رأيتُ فى هذا المال رأيًا فأشيروا علىّ ، رأيت أن أكيله للناس بالمكيال ، قالوا : لا ياأمير المؤمنين ، قال : لا بل أبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأهله ، ثم الأقرب فالأقرب ، فبدأ ببنى هاشم ، ثم ببنى المطّلب ، ثم بعبد شمس ونوفل ، ثمّ بسائر بطون قريش .

* * *

قسم عمر مروطًا بين نساء المدينة فبقى مِرْطٌ[1] جيّد له فقال بعض من عنده : أعطِ هذا ياأمير المؤمنين ابنةَ رسول الله التى عندك — يعنون أمّ كلثوم ابنة علىّ عليه

---

(١) المرط ، بالكسر : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به ، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به .

السلام ـ فقال : أمّ سليط أحقّ به ، فإنها مِمّن بايع رسول الله صلى عليه وسلم ، وكانت تَزْفِر لنا[1] [القِرب][2] يوم أُحُد .

* * *

وروى زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : خرجتُ مع عمر إلى السوق ، فلحِقته امرأة شابة ، فقالت : ياأميرَ المؤمنين ، هلَكَ زوجي ، وترك صِبْيَةً صغارا لا يُنضِجون كُراعا[3] ، لا زرع لهم ولا ضَرْع ، وقد خَشِيت عليهم الضَّيعة ، وأنا ابنه خِفاف بن أيماء الغِفاريّ ، وقد شهد أبي الحديبيّة . فوقف عمر معها ولم يمضِ ، وقال : مرحبا بنسبٍ قريب ! ثم انصرف إلى بعير ظهير[4] كان مربوطا فى الدّار ، فحمل عليه غِرارتين ملأهما طعاما ، وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خِطامه وقال : اقتاديه فلن يفنَى هذا حتى يأتيكم الله بخير . فقال له رجل : لقد أكثرتَ لها ياأمير المؤمنين ! فقال : ثكلتك أمّك ! والله لكأنّى أرى أبا هذه وأخاها ، وقد حاصرا حصنا فافتتحاه ، فافترقنا ، ثم أصبحنا نستفرئ سُهمانَنا فيه .

* * *

وروى الأوزاعى أنّ طلحة تبع عمر ليلةً ، فرآه دخل بيتا ثم خرج ، فلمّا أصبح ذهب طلحة إلى ذلك البيت ، فرأى امرأةً عمياء مقعدة ، فقال لها : مابال رجُلٍ أتاكِ الليلة ؟ قالت : إنّه رجلٌ يتعاهدنى منذ كذا وكذا ، يأتينى بما يصلِحُنى ، فقال طلحة : ثكلتك أمّك ياطلحة ! تريد تتَبُّع عمر !

خرج عمر إلى الشام ، حتى إذا كان ببعض الطريق ، لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة ابن الجراح وأصحابُه ، فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بالشّام ، فقال لابن عباس : ادْعُ لى المهاجرين ، فدعاهم فسألهم ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : خرجتَ لأمرٍ ولا نرى أن

(١) تزفر القرب : أى تحمل القرب مملوءة بالماء لتسق الناس . نهاية ابن الأثير واللسان ــ زفر .
(٢) من اللسان والنهاية .
(٣) الكراع : مستدق الساق : ويقال للضعيف الدفاع عن نفسه : ما ينضج كراعاً .
(٤) بعير ظهير : قوى .

ترجعَ عنه. وقال بعضهم : معك بقيّة النّاس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدِمَهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عنّى ، ثم قال لابن عباس : ادعُ لى الأنصار ، فدعاهم فاستشارهم ، فاختلفوا عليه اختلافَ المهاجرين ، فقال لابن عباس : ادعُ لى مَنْ كان من مَشْيَخة قريش من مهاجِرة الفتح ، فدعاهم فقالوا بأجمعهم : نرى أن ترْجِع بالنّاس ولا تقدِمهم على هـذا الوباء ، فنادى عمر فى الناس : إنى مُصْبِحٌ على ظَهرٍ ، فأصبحوا عليه ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قَدَر الله تعالى ! فقال عمر : لو غيرُكَ قالها ياأبا عبيدة ! نعمْ نفِرّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله ، أرأيت لو كان لك إبلٌ هبطت واديًا له عُدْوتان ، إحداهما خِصْبة ، والأخرى جَدْبة ، أليس إنْ رعيتَ الخِصْبة رعيتَها بقدَر الله ، وإن رعيت الجَدْبة رعيتَها بقدر الله ! فجاء عبد الرحمن بن عوف ــ وكان متغيّبا فى بعض حاجته ــ فقال : إنّ عندى مِنْ هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تُقدِموا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . فحمد عمرُ اللهَ عزّ وجلّ وانصرف إلى المدينة .

* * *

وروى ابن عبّاس ، قال : خرجتُ مع عمر إلى الشّام فى إحـدى خرجاته ، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتّبعتهُ ، فقال لى : يابنَ عباس ، أشكو إليك ابنَ عمّك ، سألتُه أن يخرُج معى فلم يفعل ، ولم أزل أراه واجدا ، فيمَ تظنّ موجدته ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، إنّك لتعلم ، قال : أظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة[1] ، قلت : هو ذاك ، إنّه يزعُم أنّ رسول الله أراد الأمر له ، فقال : يابن عباس ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك ! إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أمراً[2] ، وأراد

---

(١) كذا فى ، وفى ا : « على الخلافة » .   (٢) ا : « ذلك » .

الله غيرَه ، فنفذ مراد الله تعالى ولم ينفذ مرادُ رسوله ، أوَكلَّما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كان ! إنّه أرادَ إسلامَ عمّه ولم يُرِدْه الله فلم يسلمْ !

وقد رُوِى معنى هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وهو قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يذكره للأمر فى مرَضِه ، فصددتُه عنه خوفاً من الفتنة ، وانتشار أمر الإسلام ، فعلم رسول الله مافى نفسى وأمسك ، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم .

* * *

وحدثنى الحسين بن محمد السِنِىّ ، قال : قرأتُ على ظهر كتاب ، أنّ عمر نزلت به نازلة ، فقام لها وقعد ، وترنّح لها وتقطّر[١] ، وقال لمن عنده : معشرَ الحاضرين ، ما تقولون فى هذا الأمر ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع ، فغضب وقال : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾[٢] ، ثم قال : أما والله إنى وإياكم لنعلم ابن بَجْدَتِها والخبيرَ بها ، قالوا : كأنك أردت ابن أبى طالب ! قال : وأنّى يعدَل بى عنه ، وهل طفحت حرّة مثله ! قالوا : فلو دعوتَ به يا أمير المؤمنين ! قال : هيهات ! إنّ هناك شمَخا من هاشم ، وأثرةً من علم ، ولحمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُؤتَى ولا يأتِى ، فامضو بنا إليه . فاقصَفُوا نحوه[٣] وأفضَوْا إليه ، فألفوه فى حائط له ، عليه تُبّان[٤] ، وهو يتركّل[٥] على مسحاته ، ويقرأ : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٦] إلى آخر السورة ، ودموعه تهمِى على خدّيه ، فأجهش النّاس لبكائه فبكوْا ، ثمّ سكت وسكتوا ، فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدرَ جوابها ، فقال عمر : أما

---

(١) تقطر : شمخ برأسه كبراً . (٢) سورة الأحزاب ٧٠ .

(٣) اقصفوا نحوه : اجتمعوا . (٤) التبان : سراويل صغير .

(٥) يتركل على مسحاته : أى يضربها برجله لتغيب فى الأرض . والمسحاة : ما يسحى به الطين عن الأرض ؛ أى يجرف .

(٦) سورة القيامة ٣٦ .

والله لقد أراداك الحقّ ، ولـكن أبى قومُك ، فقال : يا أبا حفص ، خَفِّضْ عليك من هنا ومن هنا ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [1] ، فوضع عمر إحدَى يديه على الأخرى ، وأطرق إلى الأرض ، وخرج كأنما ينظر فى رماد .

قلت : أجدر بهذا الخبر أن يـكون موضوعا ، وفيه ما يدلُّ على ذلك ، من كَوْنِ عمر أتى عليا يستفتيه فى المسألة ، والأخبار كثيرة بأنّه ما زال يدعوه إلى منزله وإلى المسجد ، وأيضاً فإنّ عليا لم يخاطب عمر منذ وَلِىَ الخلافة بالـكُنْية ، وإنما كان يخاطبه بإمرة المؤمنين ، هكذا تنطق كتب الحديث وكتب السِّيَر والتواريخ كلّها .

وأيضاً فإنّ هذا الخبر لم يُسْنَد إلى كتاب معيّن ، ولا إلى راوٍ معيّن ، بل ذكر ذلك أنه قرأه على ظهر كتاب ، فيكون مجهولا ، والحديث المجهول غيرُ الصحيح .

فأمّا ثناء عمر على أمير المؤمنين فصحيحٌ غيرُ منـكَرٍ ، وفى الروايات منه الـكثير الواسع ، ولـكنا أنـكرنا هذا الخبر بعينه خاصة ، وقد روى عن ابن عباس أيضاً ، قال : دخلتُ على عمرَ يوماً فقال : يابن العباس ، لقد أجهدَ هذا الرّجلُ نفسَه فى العبادة حتى نحلته ، رياء . قلت : مَنْ هو ؟ فقال : هذا ابنُ عمّك ـ يعنى عليا ـ قلت : وما يقصد بالرّياء أميرَ المؤمنين ؟ قال : يرشّح نفسَه بين الناس للخلافة ، قلت : ومايصنع بالتّرشيح ! قد رشّحه لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصُرِفَتْ عنه . قال : إنه كان شابًّا حَدَثًا ، فاستصغرتِ العرب سنَّهُ ، وقد كَمَل الآن ، ألم تعلم أنّ الله تعالى لم يبعث نبيًّا إلا بعد الأربعين ! قلت : يا أمير المؤمنين ، أمّا أهلُ الحجى والنُّهى فإنهم ما زالوا يعدُّونه كاملا منذ رفع الله منارَ الإسلام ، ولـكنّهم يعدونه محروماً مجدوداً ، فقال : أما إنه سيليها بعد هياط ومِياط [2] ، ثم تزلّ فيها قدمه ، ولا يقضى منها أرَبه ، ولتـكوننّ شاهدا ذلك يا عبد الله ، ثم يتبيّن الصّبح لذى عينين ، وتعلم العرب صحّة رأى المهاجرين الأوّلين

---

(١) سورة النبأ ١٧ .

(٢) فى اللسان ، عن اللحيانى : « الهياط : الإقبال ، والمياط الإدبار » . وقال غيره : « الهياط : اجتماع الناس للصلح ، والمياط : التفرق عن ذلك » .

الّذِينَ صرفوها عنه بادىَ بدء ؛ فليتنى أراكم بعدى يا عبد الله ! إنّ الحِرْص محرّمة ، وإنّ دُنياك كظلّك ، كلّما هممت به ازداد عنك بعدا .

نقلت هذا الخبر من " أمالى أبى جعفر محمد بن حبيب " ، رحمه الله .

ونقلتُ منه أيضًا ما رواه عن ابن عبّاس ، قال : تبرّم عمرُ بالخلافة فى آخر أيامه ، وخاف العجز ، وضجِر من سياسة الرعيّة ، فكان لا يزال يدعو الله بأن يتوفّاه . فقال لكعب الأحبار يوما وأنا عنده : إنّى قد أحببتُ أن أعهد إلى مَنْ يقوم بهذا الأمر ؛ وأظنّ وفاتى قد دنتْ ، فما تقول فى علىّ ؟ أشِرْ علىّ فى رأيك واذْكرْنى ما تجدونه عندكم ، فإنّكم تزعمون أنّ أمرَنا هذا مسطورٌ فى كتبكم ، فقال : أما من طريق الرأى فإنّه لا يصلح ؛ إنه رجل متين الدّين ، لا يُغضى على عَوْرة ، ولا يحلُم عن زلّة ، ولا يعمل باجتهاد رأيه ، وليس هذا من سياسة الرعيّة فى شىء ، وأمّا ما نجدُه فى كتبنا فنجده لا يلِى الأمر ولا ولدُه ، وإن وليَه كان هَرْجٌ شديد ، قال : كيف ذاك ؟ قال : لأنه أراق الدماء ، فحرمه الله الملك . إن داود لما أراد أن يبنى حيطان بيت المقدس أوحَى الله إليه : إنك لا تبنيه ، لأنك أرقت الدماء ، وإنما يبنيه سليمان . فقال عمر : أليس بحقٍّ أراقها ؟ قال كعب : وداود بحقٍّ أراقها يا أميرَ المؤمنين . قال : فإلى مَنْ يُفضى الأمر تجدونه عندكم ؟ قال : نجدُه ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه ، إلى أعدائه الّذِين حاربهم وحاربوه ، وحاربهم علَى الدّين . فاسترجع عمر مرارا ، وقال : أتسمع يابنَ عباس ! أما والله لقد سمعتُ من رسول الله ما يشابه هذا ، سمعته يقول : « ليصعدَنّ بنو أميّة على مِنبَرِى ، ولقد أُريتهم فى منامى ينزون عليه نَزْوَ القردة » وفيهم أنزل : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْآنِ ﴾[1]

***

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

وقد روى الزبير بن بكار فى "الموفقيات" ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة ، قال : قال لى عمر يوما : يا مغيرةُ ، هل أبصرتَ بهذه عينك العوراء منذ أُصيبتْ ؟ قلت : لا ، قال : أما والله لَيُعْوِرَنَّ بنو أمية الإسلام كما أُعْوِرَتْ عينك هذه ، ثم ليُعمينّه حتى لا يدرى أين يذهب ولا أين يجىء ؟ قلت : ثم ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال : ثم يبعث الله تعالى بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك ، طيّبة ريحهم ، يعيدون إلى الإسلام بصره وشبابه . قلت : مَنْ هم يا أمير المؤمنين ؟ قال : حجازىّ وعراقىّ ، وقليلا ما كان ، وقليلا ما دام .

* * *

وروى أبو بكر الأنبارىّ فى "أماليه" أنّ عليًّا عليه السلام جلس إلى عمر فى المسجد ، وعنده ناس ، فلمّا قام عرض واحد بذكره ، ونسبه إلى التّيه والعُجْب ، فقال عمر : حقّ لمثله أن يتيه ! والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعدُ أقضَى الأمّة وذو سابقتها وذو شرَفها ؛ فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أميرَ المؤمنين عنه ؟ قال : كرهناهُ على حداثة السّنّ وحبّه بنى عبد المطلب .

* * *

قلت : سألتُ النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد ــ وقد قرأت عليه هذه الأخبار ــ فقلت له : ما أراها إلّا تكاد تكون دالّةً على النصّ ، ولكنى أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه ، كما استبعدنا من الصحابة على رد نصّه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدّين ، فقال لى رحمه الله : أبيتَ إلّا ميلاً إلى المعتزلة ! ثم قال : إن القوم لم يكونوا يذهبون فى الخلافة إلى أنّها من معالم الدين ، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية ، كالصلاة والصوم ، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيويّة ، ويذهبون لهذا[1] ، مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعيّة ، وما كانوا يبالون فى أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة فى

---

(١) ا : « هذا » .

غيرها ؛ ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر فى جيش أسامة ، ولم يخرُجا لمّا رأيا أنّ فى مقامهما مصلحةً للدولة[١] وللملّة ، وحفظا للبيْضة، ودفعاً للفتنة، وقد كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يخالَف وهو حيّ فى أمثال ذلك فلا ينكره ، ولا يرى به بأسا. ألستَ تعلم أنّه نزَل فى غزاة بدرٍ منزلًا على أن يحارب قريشاً فيه ، فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرأىُ فى نزولك هذا المنزل فاتركه ،وانزل فى منزل كذا، فرجع إلى آرائهم! وهو الذى قال للأنصار عام قَدِم إلى المدينة : « لا تؤبِّروا النخل » ، فعملوا على قوله فحالت نخلهم فى تلك السنة ولم تُثمِر حتى قال لهم : « أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم »، وهو الذِى أخذ الفِدَاء من أسارى بدْر ، فخالفه عمر ، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلّص الأسرى ورجعوا إلى مكّة ،وهو الذى أراد أن يصالح الأحزاب على ثُلُث تمْر المدينة ليرجعوا عنه ، فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه ، فرجع إلى قولهما ، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرُج فناد فى الناس : « من قال لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة » ، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه فى صدره ،حتى وقع على الأرض،فقال: لا تقلها ، فإنّك إنْ تقلها يتّكلوا عليها ، ويدَعُوا العمل ، فأخبر أبو هريرة رسولَ الله صلى الله عليه وآله بذلك ، فقال : « لا تقلها وخلّهم يعملون » ، فرجع إلى قول عمر !

وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحدا على ترك كثير من النّصوص لمّا رأوا المصلحة فى ذلك ، كإسقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاط سهم المؤلّفة قلوبهم ، وهذان الأمران أدخلُ فى باب الدّين منهما فى باب الدنيا ،وقد عملوا بآرائهم أمورا لم يكن لها ذكرٌ فى الكتاب[٢] والسنّة ، كحدّ الخمر فإنّهم عملوه اجتهادا ، ولم يحدّ رسول الله صلى الله عليه وآله شاربى الخمر ، وقد شربها الجمّ الغفير فى زمانه بعد نزول آية التحريم ، ولقد كان أوصاهم فى مرضه

(١) كذا فى ا ، وفى ب : « لله » . (٢) ساقطة من : ب .

أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم ، حتى مضى صدرٌ من خلافة عمر ، وعملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلك باستصلاحهم ، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة ، وحوّلوا المقام بمكّة ، وعمِلوا بمقتضى مايغلب فى ظنونهم من المصلحة ، ولم يقفُوا مع موارد النصوص ، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعدُ ، فرجّح كثير منهم القياس على النصّ ، حتى استحالت الشريعة ، وصار أصحاب القياس أصحابَ شريعة جديدة .

قال النقيب : وأكثر مايعملون بآرائهم ، فيما يجرى مَجْرى الولاياتِ والتأمير والتدبير وتقرير قواعد الدّولة ، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيراته إذا رأوا المصلحة فى خلافها ، كأنّهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيْد غير مذكور لفظاً ، وكأنّهم كانوا يفهمونه من قرائن أحواله ، وتقدير ذلك القيد : « افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة » .

قال : وأمّا مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدّين ، وليس بمتعلّق بأمور الدنيا وتدبيراتها ، فإنه يقلّ جدًّا ، نحو أن يقول : « الوضوء شرط فى الصلاة » ، فيجمعوا على ردّ ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء ، أو يقول : « صوم شهر رمضان واجب » ، فيطبِقوا على مخالفة ذلك ويجعلوا شوّالًا عوضا عنه ، فإنه بعيد ، إذ لا غرض لهم فيه ، ولا يقدِرون على إظهار مصلحة عثروا عليها خَفِيَتْ عنه صلى الله عليه وآله . والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع عليًّا عليه السلام ، فبعضها للحسد ، وبعضها للوتر والثأر ، وبعضها لاستحداثهم سِنَّه ، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم ، وبعضها كراهة اجتماع النبوّة والخلافة فى بيت واحدٍ ، وبعضها للخوف من شدّة وطأته وشدّته فى دين الله ، وبعضها خوفا لرجاء تداوُلِ قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه ، فيكون رجاء كل حىّ لوصولهم إليها ثابتا مستمرًّا ، وبعضها ببغضه ، لبغضهم من قرابته

لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهم المنافقون من النّاس، ومَنْ في قلبه زيغٌ من أمر النبوة ـ فأصفق الكلّ إصفاقاً واحداً على صرف الأمر عنه لغيره، وقال رؤساؤهم: إنّا خفنا الفتنة، وعلمنا أنّ العربَ لا تطيعه ولا تتركه، وتأوّلوا عند أنفسهم النصّ، ولا ينكر النصّ، وقالوا: إنه النصّ، ولكنّ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، والغائب قد يُترك لأجل المصلحة الكليّة، وأعانهم على ذلك مسارعةُ الأنصار إلى ادّعائهم الأمرَ، وإخراجهم سعد بن عُبادة من بيته وهو مريض، لينصّبوه خليفة ـ فيما زعموا ـ واختلط الناس، وكثر الخبط، وكادت الفتنة أن تشتعل[1] نارُها، فوثب رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر وكانت فَلْتة ـ كما قال قائلهم ـ وزعموا أنّهم أطفئوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين، وأغضى ولم يتعرّض، فقد كفاهم أمرَ نفسه، ومن قال سرًّا أو جهرا: إنّ فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذكَره، أو نصّ عليه أو أشار إليه، أسكتوه في الجواب؛ بأنّا بادرنا إلى عَقْد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا عنده ببعض ما تقدّم، إمّا أنّه حديث السنّ أو تبغضه العرب، لأنه وترها وسفك دماءها، أو لأنه صاحب زَهْوٍ وتيهٍ، أو كيف تجتمع النبوّة والخلافة في مغرسٍ واحد! بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأوكد، قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه، لا سيما وعمر يعضُده ويساعده، والعرب تحبّ أبا بكر ويعجبها لينُه ورفقه، وهو شيخ مجرّب للأمور لا يحسده أحدٌ، ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذي شرف في النّسب فيشمَخ على النّاس بشرفه، ولا بذي قُربى من الرّسول صلى الله عليه وآله فيدِلّ بقربه، ودعْ ذا كلّه، فإنه فضل مستغنًى عنه. قالوا: لو نصبنا عليًّا عليه السلام، ارتد النّاس عن الإسلام وعادت الجاهليّة كما كانت، فأيّما أصلح في الدين؟ الوقوف مع النصّ المفضِي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهليّة أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدّين، وإن كان فيه مخالفة النصّ!

---

(١) ا: «يضطرم».

قال رحمه الله : وسكت الناس عن الإنكار ، فإنّهم كانوا متفرّقين ، فمنهم من هو مبغض شانئ لعليّ عليه السلام ، فالذى تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه ، وبَرْد فؤاده ، ومنهم ذو الدّين وصحّة اليقين ، إلّا أنه لمّا رأى كُبَراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه،ظنّ أنهم إنّما فعلوا ذلك لنصّ سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ينسخ ما قد كان سمعه من النصّ عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام ، لا سيّما مارواه أبو بكر من قول النبي صلى الله عليه وآله : « الأئمة من قريش » ، فإنّ كثيرا من الناس توهّموا أنّه ناسخٌ للنصّ الخاصّ ، وأنّ معنى الخبر أنّكم مباحون فى نصْب إمامٍ من قريش ، من أىّ بطون قريش كان ، فإنّه يكون إماما .

وأكّد أيضا فى نفوسهم رفضَ النصّ الخاصّ ماسمعوه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن »،وقوله عليه السلام : « سألت الله ألا يجمع أمّتى على ضلال ، فأعطانيها ، فأحسِنوا الظنّ بعاقدى البيعة » .

وقالوا : هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله صلى الله عليه وآله من كلّ أحدٍ ، فأمسكوا وكفّوا عن الإنكار،ومنهم فرقة أخرى–وهم الأكثرون–أعراب وجُفاة،وطَغام أتباعُ كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، فهؤلاء مقلّدون لا يسألون ولا ينكرون ، ولا يبحثون ، وهم مع أمرائهم وولاتهم،لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها،فلذلك أمحِق النصّ ، وخفِى ودَرَس،وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبى بكر ، وقوّاها زيادة على ذلك اشتغالُ علىّ وبنى هاشم برسول الله صلى الله عليه وآله ، وإغلاقُ بابهم عليهم ، وتخليتهم الناسَ يعملون ماشاءوا وأحبّوا ، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه،لكنّهم أرادوا استدراكَ ذلك بعد ما فات ، وهيهات الفائت لا رجعة له !

وأراد علىّ عليه السلام بعد ذلك نقضَ البيعة،فلم يتمّ له ذلك ، وكانت العرب لاترى

الغَدْر ، ولا تنقض البيعة صوابًا كانت أو خطأ ، وقد قالت له الأنصار وغيرها : أيّها الرجل ، لو دعوتنا إلى نفسك قبل البَيْعة لما عدلنا بك أحداً ، ولكنّا قد بايعنا ، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها !

* * *

قال النقيب : وممّا جرّأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن عليّ — مع ما كان يسمعه من الرسول صلى الله عليه وآله في أمره — أنّه أنكر مراراً عَلَى الرسول صلى الله عليه وآله أموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله إنكاره ، بل رجع في كثير منها إليه ، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته ، فأطمعه ذلك في الإقدام عَلَى اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة ، ممّا هي خلاف النصّ ، وذلك نحو إنكاره عليه في الصّلاة عَلَى عبد الله بن أُبيّ المنافق ، وإنكاره فداء أسارى بدْر ، وإنكاره عليه تبرّجَ نسائه للناس ، وإنكاره قضية الحديبيَة ، وإنكاره أمانَ العبّاس لأبي سفيان ابن حرب ، وإنكاره واقعة أبي حُذيفة بن عتبة ، وإنكاره أمره بالنداء : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » ، وإنكاره أمره بذبح النّواضح ، وإنكاره عَلَى النّساء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله هيبتهنّ له دون رسول الله صلى الله عليه وآله ... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمِلُ عليها كتبُ الحديث ، ولو لم يكن إلّا إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه : « ائتوني بدَواة وكَتِفٍ أكتبْ لكم مالا تضلّون بعدي » ، وقوله ماقال ، وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله عنه . وأعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم : حسبنا كتاب الله ، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدّار ، فبعضهم ، يقول : القول ماقال رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبعضهم يقول : القول ماقال عمر ، فقال رسول الله وقد كثر اللّغط ، وعلت الأصوات : « قوموا عنّي فما ينبغي لنبيّ أن يكون عنده هذا التنازع » ! فهل بقي للنبوّة مزيّة أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين ، وميل

المسلمون بينهما ، فرجّح قوم هذا ، وقوم هذا ! أفليس ذلك دالًّا على أن القوم سوّوا بينه وبين عمر ، وجعلوا القولين مسألة خلاف ، ذهب كلّ فريق إلى نصرة واحد منهما ، كما يختلف اثنان من عُرْض المسلمين فى بعض الأحكام ، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون ، فمن بلغت قوّته وهمّته إلى هذا ، كيف ينكر منه أنّه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ، ويعدل عن النصّ ! ومَن الذى كان ينكر عليه ذلك ، وهو فى القول الذى قاله للرسول صلى الله عليه وآله فى وجهه غير خائف من الأنصار ، ولا ينكر عليه أحدٌ ، لا رسول الله صلى الله عليه وآله ولا غيره ، وهو أشدّ من مخالفة النصّ فى الخلافة وأفظع وأشنع .

قال النقيب : على أنّ الرجل ما أهمل أمر نفسه ، بل أعدّ أعذاراً وأجوبة ، وذلك لأنه قال لقوم عرّضوا له بحديث النص : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر فى الصلاة مقامه ، وأوهمهم أنّ ذلك جارٍ مجرى النصّ عليه بالخلافة ، وقال يوم السقيفة : أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى الصلاة ! ثم أكّد ذلك بأن قال لأبى بكر ، وقد عرض عليه البيعة : أنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى المواطن كلها ، شدّتها ورخائها ، رضيَك لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا!

ثم عاب عليًّا بخطبته بنت أبى جهل ، فأوهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كرهه لذلك ووجَد عليه ، وأرضاه عمرو بن العاص ، فروى حديثا افتعله واختلقه على رسول الله ، قال سمعته يقول : « إنّ آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء ، إنّما وليّيَ الله وصالح المؤمنين » ، فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فهذا مولاه » .

قلت للنقيب : أيصح النّسخ فى مثل هذا ؟ أليس هذا نسخاً للشىء قبل تقضّى وقت فعله ؟ فقال: سبحان الله ! مِن أين تعرف العرب هذا ؟ وأنّى لها أن تتصوّره فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه ! فهل يفهم حُذّاق الأصوليين هذه المسألة ، فضلاً عن حمقى العرب ! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ، ويستمالون بأضعف[1] سبب ، وتُبنَى الأمور معهم على ظواهر

(١) ا : « بأدنى » .

النصوص وأوائل الأدلة ، وهم أصحاب جهل وتقليد ، لا أصحاب تفصيل ونظر !

قال : ثم أكّد حسنَ ظنّ الناس بهم أنّهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال،وزهدوا فى متاع الدنيا وزخرفها ، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها ، والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النّزر منها ، وأكلوا الخشن ، ولبسوا الكرابيس ، ولمّا ألقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها، وفرّقوا الأموال على الناس،وقسّموها بينهم،ولم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير،فمالت إليهم القلوب ، وأحبّتهم النفوس ، وحسُنت فيهم الظنون ، وقال من كان فى نفسه شبهة منهم، أو وقفة فى أمرهم : لو كان هؤلاء قد خالفوا النصّ لهوى أنفسهم لكانوا أهلَ الدنيا . ولظهر عليهم الميل إليها ، والرغبة فيها،والاستئثار بها . وكيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النصّ ، وترك لذات الدنيا ومآربها،فيخسروا الدنيا والآخرة ! وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو ألباب وآراء صحيحة ؛ فلم يبق عند أحدٍ شكٌّ فى أمرهم ولا ارتياب لفعلهم ، وثبتت العقائد على ولايتهم ، وتصويب أفعالهم ، ونسوا لذّة الرياسة ، وإن أصحاب الهمم العالية لا يلتفون إلى المأكل والمشرب والمنكح ، وإنما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر ، كما قال الشاعر :

وقد رغبتْ عن لذّة المال أنفسٌ   وما رغبت عن لذّة النّهى والأمرِ

قال رحمه الله : والفرق بين الرجلين وبين الثالث ، ما أصيب به الثالث ، وقُتل تلك القتلة،وخلعه الناس وحصروه ، وضيّقوا عليه،بعد أن توالى إنكارهم أفعاله ، وجبّهوه فى وجهه وفسّقوه ، وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال ، وانغمسوا فيها واستبدّوا بها ، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفةً لطريق الأولين ، فلم تصبر العرب على ذلك ، ولو كان عثمان سلك طريق عمر فى الزهد ، وجمع الناس،وردع الأمراء والولاة عن الأموال،وتجنب استعمال أهل بيته ، ووفّر أعراض الدّنيا وملاذّها وشهواتها على الناس ، زاهداً فيها،تاركاً لها ، معرضاً عنها ، لما ضرّه شىء قطّ ، ولا أنكر عليه أحد قطّ ، ولو حوّل الصلاة من

الكعبة إلى بيت المقدس ، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس ، واقتنع منهم بأربع ،وذلك لأنّ هم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال،فإذا وجدوها سكتوا،وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا ، ألست ترى رسول الله صلى الله عليه وآله كيفَ قسم غنائم هوازن على المنافقين ، وعلى أعدائه الذين يتمنّوْن قتله وموته،وزوال دولته ، فلمّا أعطاهم أحبُّوه، إمّا كلّهم أو أكثرهم،ومَنْ لم يحبّه منهم بقلبه جامله وداراه ، وكفَّ عن إظهار عداوته، والإجلاب عليه ولو أنّ عليا صانع أصحابه بالمال ، وأعطاه الوجوه والرؤساء ، لكان أمره إلى الانتظام والاطّراد أقربَ ، ولكنه رفض جانبَ التدبير الدنيوى ، وآثر لزومَ الدّين ، وتمسّك بأحكام الشريعة ، والملك أمر آخر غير الدين ، فاضطرب عليه أصحابه ، وهرب كثير منهم إلى عدوّه .

وقد ذكرت فى هذا الفصل خلاصة ماحفظته عن النقيب أبى جعفر ، ولم يكن إماميَّ المذهب ، ولا كان يبرأ من السلف،ولا يرتضى قول المسرفين من الشيعة ، ولكنه كلام أجراه على لسانه البحثُ والجدل بينى وبينه ، على أن العلوىّ لو كان كرّاميًّا ، لابدّ أن يكون عنده نوعٌ من تعصّب وميل على الصحابة وإن قلّ .

***

ولنرجع إلى ذكر كلام عمر من خطبته وسيرته .

كتب عمر إلى أبى موسى ، لمّا استعمله قاضياً ، وبعثه إلى العراق :

من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى عبد الله بن قَيْس . سلام عليك ، أمّا بعد ، فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنّة متبعة ، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك ، فإنه لا ينفع تكلُّم بحقٍّ لا نفاذَ له . آسِ [1] بين الناس فى وَجْهِك وعدلِك ومجلِسك ، حتى لا يطمع شريفٌ فى

(١) قال أبو العباس المبرد : « قوله : آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ؛ أى سو بينهم . وتقديره : اجعل بعضهم أسوة بعض » .

حيفك[١]، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك . البيّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر، والصُّلح جائزٌ بين المسلمين ، إلّا صُلحاً أحلّ حراما ، أو حرّم حلالًا . لا يمنعنّك قضاء قضيته اليومَ فراجعت فيه عقلك ، وهُديتَ فيه لرشدك ، أن ترجعَ إلى الحقّ ، فإنّ الحق قديم ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التمادى فى الباطل . الفهمَ الفهمَ فيما تلجلج[٢] فى صدرك ممّا ليس فى كتاب ولا سنّة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، وقِسِ الأمور عند ذلك، واعمِدْ إلى أقربها إلى الله عزّ وجلّ ، وأشبهها بالحقّ ، واجعل لمن ادّعى حقا غائبًا أو بيّنة أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه ، وإلا استحلَلْتَ عليه القضيّة ، فإنه أنفَى للشك وأجلَى للعمى . المسلمون عدولٌ بعضُهم على بعض ، إلا مجلوداً فى حدّ أو مجرّباً عليه شهادة زور ، أو ظنينا[٣] فى ولاء أو نسب ، فإنّ الله عزّ وجلّ تولّى منكم السرائر ، ودرأ عنكم[٤] بالبيّنات والأيمان الشُّبهات . إيّاك والقلقَ[٥] والضّجرَ والتأذّىَ بالخصوم ، والتنكّرَ عند الخصومات ، فإنّ الحقّ فى مواطن الحقّ يُعظِم الله به الأجر ، ويحسن به الذُّخر ، فمن صحّت نيّته ، وأقبلَ على نفسه كفاه الله مابينَهُ وبين الناس ، ومَن تخلّق للناس بما يعلم الله عزّ وجلّ منه أنّه ليس من نفسه ، شانَهُ الله ، فما ظنُّك بثواب الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ! والسلام .

ذكر هذه الرّسالة أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد فى كتاب " الكامل[٦] " وأطراها ، فقال : إنه جمع فيها جُمَل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتّخذونه ، إماما فلا يجد مُحقٌّ عنها مَعدِلا ، ولا ظالم عن حدودها محيصاً .

* * *

---

(١) حيفك : ميلك. (٢) تلجلج : تردد .
(٣) الظنين : المتهم . (٤) درأ بالبينات : دفع .
(٥) القلق : ضيق الصدر وقلة الصبر .
(٦) الكامل ١ : ١٢ — ١٤ (طبعة نهضة مصر) .

وكتب عمرُ إلى عمّاله يُوصيهم ، فقال في جملة الكتاب: ارتدُوا ، واتّزرُوا، وانتعلوا وألقوا الخفاف والسّراويلات والقوا الركب[1]، وانزُوا نزواً على الخيل، واخشوشنوا، وعليكم بالمعدّية ـ أو قال: وتمعددوا ـ وارموا الأغراض، وعلّموا فتيانكم العوم والرّماية، وذَرُوا التنعم وزىّ العجم، وإيّاكم والحريرَ ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عنه، وقال: « لاتلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا » ، وأشار بأصبعه .

* * *

وكتب إلى بعض عماله : إنّ أسعد الرُّعاة مَنْ سعدت به رعيّته ، وإنّ أشقى الرُّعاة من شَقِيتْ به رعيّته، فإياك أن تَزِيغ فتزيغ رعيّتك ، فيكون مَثَلُك عندَ الله مِثْلَ البهيمة رأت الخُضرة في الأرض فرعتْ فيها تبغي السِّمَن ، وحتفُها في سِمَنها .

* * *

وكتب إلى أبي موسى وهو بالبَصرة : بلغَنِي أنّك تأذَنُ للنّاس الجمّاء[2] الغفير، فإذا جاءك كتابي هذا فأْذَنْ لأهل الشرف وأهل القرآن والتّقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأْذَنْ للعامّة ، ولا تؤخّر عمل اليوم لغد ، فتتداكَّ عليك الأعمال فتضيع ، وإيّاك واتّباعَ الهوى ، فإنّ للناس أهواء متّبعة ، ودنيا مؤثرة ، وضغائن محمولة. وحاسب نفسَك في الرّخاء قبل حساب الشّدّة ، فإنّه مَنْ حاسب نفسَه في الرخاء قبل حساب الشدّة كان مرجعُه إلى الرضا والغِبطة ، ومن ألهته حياته ، وشغلته أهواؤه ، عاد أمرُه إلى النّدامة والحَسرة ، إنه لايقيم أمر الله في النّاس إلا حَصيف العُقْدة[3] بعيد القرارة لايحنق على جِرّة ، ولايطلع الناس منه على عورة، ولايخاف في الحق لومة لائم . الزم أربع خصال يسلم لك دينك وتحيط بأفضل حظّك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبيّنات العُدول والأيمان القاطعة، ثم ائذن

---

(١) الركب : جمع ركاب ؛ وهو للسرج كالغرز للرحل .
(٢) أى القوم مجتمعين .
(٣) أى الذى يحكم أمره .

للضعيف حتى ينبسط لسانه ، ويجترئ قلبه ، وتعاهد الغريب ، فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله ، واحرص على الصُّلح مالم يبن لك القضاء ، والسلام عليك .

* * *

وكان رجلٌ من الأنصار لا يزال يهدى لعمر فخِذَ جزور إلى أن جاء ذات يوم مع خَصم له ، فجعل فى أثناء الكلام يقول : ياأميرَ المؤمنين ، افصِل القضاء بينى وبينه كما يفصل فَخِذ الجزور .

قال عمر : فما زال يردّدها حتى خِفت على نفسى ، فقضيت عليه ، وكتبت إلى عمّالى : أمّا بعد فإيّاكم والهدايا ، فإنها من الرّشا . ثم لم أقبل له هديّة فيما بعد ، ولا لغيره .

* * *

وكان عمر يقول : اكتبوا عن الزاهدين فى الدنيا مايقولون ، فإنّ الله عزّ وجلّ وكّل بهم ملائكة ، واضعة أيديهم على أفواههم ، فلا يتكلّمون إلا بما هيّأه الله لهم .

* * *

وروى أبو جعفر الطبرىّ فى تاريخه ، قال : كان عمر يقولُ : جرّدُوا القرآن ولا تفسّروه ، وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم .

وقال أبو جعفر : وكان عمر إذا أراد أن ينهى النّاسَ عن شىء جمع أهله ، فقال : إنى عسيت أن أنْهَى النّاس عن كذا ، وإنّ الناس ينظرون إليكم نظر الطّير إلى اللحم ، وأقسم بالله لا أجدُ أحداً منكم يفعل إلا أضعفت عليه العقوبة .

قال أبو جعفر : وكان عمر شديداً على أهل الرّيَب ، وفى حقّ الله ، صليبا حتى يستخرجه ، ولينا سهلا فيما يلزمه حتى يؤدّيه ، وبالضعيف رحيما .

* * *

وروى زيد بن أسلم ، عن أبيه أنّ نفرا من المسلمين كلّموا عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : كلّمْ لنا عمر بن الخطاب ، فقد والله أخشانا حتى لانستطيع أن نديم إليه أبصارَنا ، فذكر عبدالرحمن له ذلك ، فقال : أو قد قالوا ذلك ! والله لقد لِنْتُ لهم حتى تخوّفت الله فى أمرهم ، وقد تشدّدت عليهم حتى خفت الله فى أمرهم ، وأنا والله أشدّ فرَقًا لله منهم لى !

* * *

وروى جابر بن عبدالله ، قال : قال رجلٌ لعمر : ياخليفةَ الله ،قال : خالف الله بك، قال : جعلنى الله فداك ! قال : إذن يهينك الله .

* * *

وروى أبو جعفر ، قال : استشار عمر فى أمر المال كيف يقسمه ، فقال له على بن أبى طالب عليه السلام:تقسِم كلّ سنة مااجتمع معك من المال،ولا تمسِكُ منه شيئًا،وقال عثمان ابن عفان : أرى مالًا كثيرا يسعُ الناس،وإن لم يُحْصَوْا حتى يعرفَ من أخذ ممّن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر . فقال الوليد بن هشام بن المغيرة : ياأميرَ المؤمنين ، قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديوانًا ، وجنّدوا جنودا ، وفرضوا لهم أرزاقا . فأخذ بقوله؛ فدعا عَقِيل بن أبى طالب ومَخْرمة بن نَوْفل وجُبير بن مطعِم —وكانوا نسّاب قريش— وقال: اكتبوا النّاس على منازلهم،فكتبوا فبدءوا ببنى هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه،ثم عمر وقومه،على ترتيب الخلافة ؛ فلما نظر إليه قال:وددت أنّه كان هكذا ، لكن أبدأ بقرابة النبي صلى الله عليه وآله ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمرَ حيث وضعه الله .

قال أبو جعفر : جاءت بنوعدىّ إلى عمر ، فقالوا له : ياعمر ، أنت خليفةُ رسول الله

صلى الله عليه وسلم . قال : أو خليفة أبى بكر ، وأبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وذاك ، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ! فقال : بخ بخ يا بنى عدىّ ! أردتم الأكلَ على ظهرى ، وأنْ أذهب حسناتى لكم ! لا والله ولو كتبتم آخر الناس ، إنّ لى صاحبيْن سلكا طريقا ، فإن أنا خالفتهما خُولف بى ، والله ما أدركنا الفضلَ فى الدنيا إلا بمحمد ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرفُ العربِ ثم الأقرب منه فالأقرب ، وما بيننا وبين أن نلقاه ثم لا نفارقه إلى آدم إلّا آباء يسيرة ، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عملٍ فإنّهم أولى بمحمد صلى الله عليه وآله منّا يوم القيامة . لا ينظرَنَّ رجلٌ إلى قَرابته ، وليعمل بما عند الله ؛ فإنّ مَنْ قصر به عمله لم يُسْرِع به نسبُه .

***

وروى السائب بن يزيد ، قال : سمعتُ عمر بن الخطاب ، يقول : واللهِ ما من أحدٍ إلا له فى هذا المال حقّ أعطيَه أو مُنِعه ، وما أحدٌ أحقّ به من أحدٍ إلا عبد مملوك ، وما أنا فيه إلّا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ، وقسْمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالرجل وبلاؤه فى الإسلام ، والرجل وغناؤه ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيتُ ليأتينّ الراعى بجبل صنْعاء ، حظُّه من المال وهو مكانه .

***

وروى نافع مولى آل الزُّبير ، قال : سمعتُ أبا هريرة يقول : رحم الله ابن حَنْتمة[1] ، لقد رأيته عامَ الرَّمادة ، وإنّه لَيحمِلُ على ظهره جِرابين ، وعُكّة زيت فى يده ، وإنه ليعتقِب[2] هو وأسلم ، فلما رآنى قال : مِن أين يا أبا هريرة ؟ قلت : قريبا . فأخذت

(١) حنتمة ، بفتح الحاء ، أم عمر بن الخطاب ، وبنت عبد الرحمن بن الحارث (القاموس) .
(٢) يعتقب ؛ أى يركب هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : النوبة .

أعقبُه ، فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صِرْم[1] من نحو عشرين بيتا من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد ، وأخرجوا لنا جِلْدَ الميتة مشويًّا كانوا يأكلونه ، ورِمّة العظام مسحوقة كانوا يستفّونها ، فرأيت عمر طرح رداءه ثم برز ، فما زال يطبخ لهم حتى شَبِعُوا ، وأرسل أسلم إلى المدينة ، فجاء بأبعرة فحملهم عليها ، ثم أنزلهم الجبّانة ، ثم كساهم ، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى كفى الله ذلك .

***

وروى راشد بن سعد أنّ عمر أُتِيَ بمال ، فجعل يقسم بين الناس ، فازدحموا عليه ، فاقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلَص إليه ، فعلاه عمر بالدِّرّة ، وقال : إنّك أقبلت ، لا تهابنّ سلطان الله في الأرض ، فأحببتُ بأن أعلمك أنّ سلطانَ الله لا يهابُك .

***

وقالت الشِّفاء ابنة عبد الله ـ ورأت فتيانا من النّساك يقتصدون في المشي ، ويتكلّمون رويدا : ما هؤلاء ؟ فقيل : نُسّاك ، فقالت كان عمرُ بن الخطّاب هو الناسك حقا ، وكان إذا تكلّم أسمَع ، وإذا مشى أسرَع ، وإذا ضرب أوجَع .

***

أعان عمرُ رجلاً على حَمْل شيء ، فدعا له الرّجل ، وقال : نفعك بنوك يا أمير المؤمنين ! قال : بل أغناني الله عنهم .

ومن كلامه : القوّة في العمل ألاّ يؤخّر عمل اليوم لغد ، والأمانة ألاّ تخالف سريرتك علانيتك ، والتقوى بالتوقّي ، ومن يتق الله يقِه .

---

[1] الصرم ، بالكسر : الجماعة .

وقال عمر : كنا نعد المُقرِض بخيلا ؛ إنما كانت المواساة .

* * *

أتى رهطٌ إلى عمر ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، كَثُر العيال ، واشتدّت المؤونة،فزدْنا فى أعطياتنا[1] ، فقال : فعلتموها ! جمعتم بين الضّرائر ،واتّخذتم الخدَم من مال الله! أما وددت أنّى وإياكم فى سفينتين فى لُجّة البحر ، تذهب بنا شرقًا وغربا ، فلن يعجز النّاسَ أن يولُّوا رجلًا منهم ، فإن استقام اتّبعوه ، وإن جَنَف قتلوه . فقال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن اعوجّ عزلوه ! فقال : القتلُ أرهبُ لمن بعده ، احذروا فتى قريش ، فإنه كريمها الذى لا ينام إلا على الرّضا ، ويضحك عند الغضب ، ويتناول مافوقه من تحته .

* * *

وكان يقول فى آخر أيامه عند تبرّمه بالأمر وضَجَره من الرعيّة : اللهمّ ملّونى وملِلتهُم ، وأحسستُ من نفسي وأحسّوا منّى ! ولاأدرى بأيّنا يكون اللّوْت[2] ، وقد أعلم أنّ لهم قتيلا منهم فاقبضنى إليك .

* * *

وذ كَرَ قومٌ من الصّحابة لعمر رجلا ، فقالوا : فاضلٌ لا يعرف الشرّ ، قال : ذاك أوقع له فيه .

* * *

وروى الطبرىّ فى التاريخ ، أن عمرَ استعملَ عُتْبة بن أبى سفيان على عملٍ[3] فقدِم منه بمال ، فقال له : ماهذا ياعتبة ؟ قال : مالٌ خرجت بهمى وتجرت فيه ، قال : ومالك تُخرج المال معك إلى هذا الوجه ؟ فأخذ المال منه فصيّره فى بيت المال، فلمّا قام عثمان قال لأبى سفيان :

---

(١) ب : « إعطائنا » (٢) اللوت : النقص .

(٣) الطبرى : « على كنانة » .

إنك إن طلبت ما أخذه عمر من عُتْبة رددتُه عليك(١) ، فقال له أبو سفيان : إياك وما هممتَ به ، إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأيُ الناس فيك . إياك أن تردّ على مَنْ كان قبلك فيردّ عليك من بعدك(٢) .

* * *

وروى الطبريّ أيضاً أنّ هندا بنت عتبة بن ربيعة قامت إلى عمر ، فسألته أن يُقرِضها من بيت المال أربعة آلاف درهم تتجر فيها وتضمنها . فخرجت بها إلى بلاد كلب ، فباعت واشترت ، وبلغها أنّ أبا سفيان قد أتى معاوية يستميحه ومعه ابنه عمرو بن أبي سفيان ، فعدلت إليه من بلاد كلْب ـ وكان أبو سفيان قد طلّقها ـ فقال معاوية : ما أقدَمكِ يا أمّه ؟ قالت : النظر إليك يا بنيّ ، إنه عمر ، وإنما يعمل لله ، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تُخرج إليه من كلّ شيء ، وأهلُ ذلك هو ! ولكن لا يعلم عمر من أين أعطيته ، فيؤنّبوك ويؤنّبك ، ولا تستقبلها أبدا . فبعث معاوية إلى أبيه وأخيه مائة دينار ، وكساهما وحملهما . فسخطها عمر ، فقال أبو سفيان : لا تسخطها ، فإنها عطاء لم تغب عنه هند ، ورجع هو وابنه إلى المدينة ، فسأله عمر : بكم أجازك معاوية ؟ فقال : بمائة دينار ، فنكت عمر(٣) .

* * *

وروى الأحنف ، قال : أتى عبد الله بن عمير عمرَ ، وهو يُقرض الناس ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أقرِضْ لى ، فلم يلتفت إليه ، فنخسه ، فقال عمر : حَسِّ(٤) ، وأقبل عليه ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال : عبد الله بن عمير ـ وكان أبوه استُشهِدَ يوم حُنين ـ فقال : يا يَرْفأ ، أعطه ستمائة ، فأعطاه ستمائة فلم يقبلها ، ورجع إلى عمر فأخبره فقال : يا يرفأ ، أعطه

---

(١) الطبرى : « عليه »

(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٢٧٦٦ (طبع أوربا)

(٣) تاريخ الطبرى ١ : ٢٧٦٧

(٤) حس : كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أمضه

ستمائة حُلّة ، فأعطاه ، فلبس الحُلّة التى كساه عمر ، ورمى ما كان عليه ، فقال له : خذ ثيابك هذه ، فلتكن فى مِهْنة أهلك ، وهذه لزينتك .

***

وروى إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : مرّ عمر فى السُّوق ، ومعه الدِّرّة ، فخفقنى خَفْقةً ، فأصاب طرف ثوبى ، وقال: أمِطْ[1] عن الطريق ، فلمّا كان فى العام المقبل لقينى ، فقال : ياسلمة ، أتريد الحجّ ؟ قلت : نعم ، فأخذ بيدى وانطلق بى إلى منزله ، فأعطانى ستمائة دِرْهم ، وقال : استعِنْ بها على حَجّك ، واعلم أنّها بالخفقة التى خَفَقْتُك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ماذكرتها ، قال : وأنا مانسيتُها .

***

وخطب عمرُ فقال : أيّتُها الرعيّة ، إنّ لنا عليكم حقًّا ، النّصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير . إنّه ليس مِن حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعا من حِلْم إمامٍ ورِفْقِه ، وليس من جهل أبغض إلى الله من جهل إمامٍ وخَرَقه[2] ؛ أيّتها الرعية إنّه مَنْ يأخذ بالعافية من بين ظهرانَيْه فوّته الله العافية من فوقه .

وروى الرّبيع بن زياد ، قال : قدِمتُ على عمر بمالٍ من البَحْرين ، فصلّيت معه العشاء ثم سلّمت عليه ، فقال : ماقدمت به ؟ قلت : خمسمائة ألف ، قال : ويحك ! إنما قدمت بخمسين ألفا ، قلت : بل خمسمائة ألف ، قال : كم يكون ذلك ؟ قلت : مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف ، حتى عددت خمساً ، فقال : إنك ناعس ؛ ارجع إلى بيتك ، ثم اغدُ علىّ ، فغدوت عليه . فقال : ما جئت به ؟ قلت : ما قلتُه لك ، قال : كم هو ؟ قلت : خمسمائة ألف ، قال : أطيّب هو ؟ قلت : نعم ، لا أعلم إلّا ذلك ، فاستشار الصّحابة فيه ، فأشير عليه بنصْب الديوان فنصبَه ، وقسم المالَ بين المسلمين ، ففضَلت عنده فَضْلة ،

---

(١) أمط : تنح .

(٢) الخرق : فساد العقل . وفى أ : « وخرقه » .

فأصبح تجمع المهاجرين والأنصار ، وفيهم علىّ بن أبى طالب ، وقال للناس: ماترون فى فَضْلٍ فَضَل عندنا من هذا المال ؟ فقال الناس . ياأمير المؤمنين ؟ إنا شغلناك بولاية أمورنا عن أهلك وتجارتك وصنعتك ، فهو لك . فالتفت إلى علىّ فقال : ماتقول أنت ؟ قال : قد أشاروا عليك ، قال : فقل أنت ، فقال له : لم تجعلُ يقينَك ظناً ؟ فلم يفهم عمر قوله ، فقال : لتخرُجَنّ مما قلت ، قال : أجل والله ، لأخرجنّ منه ، أتذكر حين بعثك رسول الله صلى الله عليه وآله ساعيا[1] ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ، فمنعك صدقته ، فكان بينكما شيء ، فجئتما إلىّ وقلتما : انطلق معنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجئنا إليه ، فوجدناه خاثرا[2] فرجعنا ، ثم غدونا عليه ، فوجدناه طيّب النفس ، فأخبرته بالذى صنع العباس ، فقال لك : ياعمر ، أما علمت أنّ عمّ الرجل صِنوُ أبيه ! فذكرنا له مارأينا ، من خُثوره فى اليوم الأول ، وطيب نفسه فى اليوم الثانى ، فقال : إنكم أتيتم فى اليوم الأول ، وقد بقى عندى من مال الصّدقة ديناران ، فكان مارأيتم من خُثورى لذلك ، وأتيتم فى اليوم الثانى وقد وجّهتهما ، فذاك الذى رأيتم من طِيب نفسى . أشيرُ عليك ألا تأخذ من هذا الفضل شيئا ، وأن تفضّه على فقراء المسلمين ، فقال : صدقت والله لأشكرنّ لك الأولى والأخيرة .

* * *

وروى أبو سعيد الخدرىّ قال : حججْنا مع عمر أوّل حجة حجّها فى خلافته ، فلمّا دخل المسجدَ الحرام ، دنا من الحجر الأسود فقبّله واستلمه ، وقال : إنى لأعلم أنك حجَر لا تضرّ ولا تنفعُ ، ولولا أنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبّلك واستلمك ، لما قبّلتك ولا استلمتُك ، فقال له علىّ : بلَى ياأمير المؤمنين ، إنه ليضرُّ وينفع ، ولو علمتَ تأويل ذلك من كتاب الله لعلمتَ أنّ الذى أقول لك كما أقول قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ

(١) الساعى : من يجمع الزكاة .

(٢) خاثراً : فاتراً .

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ (١) . فلمّا أشهدهم وأقرّوا له أنه الربّ عزّ وجلّ ، وأنهم العبيدُ ، كتبَ ميثاقهم فى رَقّ ، ثم ألقمه هـذا الحجر ، وإن له لعينين ولسانا وشفتين ، تشهد لمن وافاه بالموافاة،فهو أمين الله عزّ وجلّ فى هذا المكان.فقال عمر : لاأبقانى الله بأرض لستَ بها ياأبا الحسن .

قلت : قد وجدْنا فى الآثار والأخبار فى سِيرة عمر أشياء تناسب قوله فى هذا الحجر الأسود ، كما أمرَ بقطع الشّجرةالتى بويع رسولُ الله صلى الله عليه وآله تحتَها بيعة الرضوان فى عُمْرة الحديبيَة ، لأنّ المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كانُوا يأتونها ، فيَقِيلون تحتها ، فلمّا تكرّر ذلك أوعدهم عمر فيها ، ثم أمر بها فقطعت .

وروى المُغيرة بن سُوَيد ، قال : خرجْنا مع عمر فى حَجّة حجها ، فقرأ بنا فى الفجر : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (٢) ،و﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ (٣) ،فلمّا فرغ رأى الناس يبادِرُون إلى مسجدٍ هناك،فقال : مابالهم؟قالوا : مسجدٌ صلّى فيه النبى صلى الله عليه وسلّم والنّاس يبادرون إليه،فناداهم فقال:هكذا هَلَكَ أهلُ الكتاب قبلكم ! اتّخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً . مَنْ عَرَضَتْ له صلاة فى هـذا المسجد فليُصَلِّ ، ومَنْ لم تعرِضْ له صلاة فليمضِ .

* * *

وأتى رجل من المسلمين إلى عمر ، فقال : إنّا لما فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه علمٌ من علوم الفرس ، وكلام معجِب ، فدعا بالدِّرّة فجعل يضربه بها ، ثم قرأ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (٤) ،ويقول : ويلك!أقصصٌ أحسنُ من كتاب الله ! إنما هلك

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢ .
(٢) سورة الفيل : ١ .
(٣) سورة قريش : ٢
(٤) سورة يوسف ٣ .

مَنْ كان قبلكم ، لأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم ، وتركوا التوراة والإنجيل حتى دَرَسا ، وذهب مافيهما من العلم .

* * *

وجاء رجلٌ إلى عمر ، فقال : إن صُبَيغا التميميَّ لقينا ياأميرَ المؤمنين،فجعل يسألناعن تفسير حرُوف من القرآن ، فقال : اللهمّ أمكنّي منه ، فبينا عمر يوما جالس يغدّى الناس إذ جاءه الضُّبيع ، وعليه ثياب وعمامة،فتقدّم فأكل ، حتى إذا فرغ ، قال:ياأمير المؤمنين، مامعنى قوله تعالى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً * فَالْحَامِلاَتِ وِقْراً ﴾[1]؟قال : ويحك أنت هو! فقام إليه فحسَر عن ذراعيه ، فلم يزل يجلِدُه حتى سقطت عمامته ، فإذا له ضفيرتان ، فقال: والذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ، ثم أمر به فجعل فى بيت ، ثم كان يُخرجه كلَّ يوم فيضربه مائة ، فإذا برأ أخرجه فضربه مائة أخرى ، ثم حمله على قَتَبٍ وسيّره إلى البصرة . وكتب إلى أبى موسى يأمره أن يحرّم على الناس مجالسته،وأن يقوم فى الناس خَطيبا ، ثم يقول : إنّ صُبيغا قد ابتغى العلم فأخطأه ، فلم يزل وضيعا فى قومه وعند الناس حتى هلك ، وقد كان من قبل سيّد قومه .

وقال عمر على المنبر:ألَا إنّ أصحاب الرأى أعداء السنن،أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأفتوْا بآرائهم،فضلّوا وأضلّوا.ألَا إنّا نقتدى ولا نبتدى ، ونتّبع ولا نبتدع ، إنه ماضَلّ متمسّكٌ بالأثر .

* * *

وروى زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : سمعتُ عمر يقول فى الحجّ : فيم الرَّمَلاَن[2] الآنَ والكشْف عن المناكب ، وقد أظهر الله الإسلام ، ونفى الكفر وأهله ! ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

* * *

(١) سورة الذاريات : ١ ، ٢ .

(٢) الرملان : الهرولة حول البيت .

مرّ عمرُ برجل فسلّم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما اسمُك؟ قال : جمرة ، قال : أبو من؟ قال : أبو شهاب ، قال: مِمّن ؟ قال : من الحُرَقة، قال : وأين مسكنُك ؟ قال : بحرّة النار، قال: بأيّها ؟ قال : بذات لَظَى ، فقال : ويحك ! أدرِكْ أهلَك فقد احترقوا . فمضى عليهم فوجدهم قد احترقوا .

* * *

وروَى اللّيثُ بنُ سعد ، قال : أُتِيَ عمرُ بفتًى أمرَد ، قد وجِد قتيلا ملقًى على وجه الطريق ، فسأل عن أمره واجتهد ، فلم يقف له على خبر ، فشقّ عليه ، فكان يدعو ويقول : اللهمّ أظفِرْنى بقاتله ، حتى إذا كان رأسُ الحول أو قريبا من ذلك ، وُجِدطفلٌ مولود ملقًى فى موضع ذلك القتيل ، فأتِيَ به عمر ، فقال : ظفرت بدم القتيل ، إن شاء الله تعالى ! فدفع الطّفل إلى امرأة ، وقال لها : قومى بشأنه ، وخذى مِنّا نفقته، وانظرى مَنْ يأخذه منك ، فإذا وجدت امرأة تقبّله وتضمّه إلى صدرها فأعلِمِينى مكانَها ، فلمّا شبّ الصبىّ جاءت جارية ، فقالت للمرأة : إنّ سيدتى بعثتنى إليك لتبعثِي إليها بهذا الصبىّ ، فتراه وتردُّه إليك ، قالت : نعم ، اذهبي به إليها ، وأنا معك ، فذهبتْ بالصبىّ ، حتى دخلت على امرأة شابّة ، فأخذت الصبىّ ، فجعلت تقبّله وتُفَدّيه وتضمّه إليها ، وإذا هى بنت شَيْخٍ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت المرأة وأخبرت عمر ، فاشتمل على سيفه وأقبل إلى منزلها ، فوجد أباها متّكِئًا على الباب ، فقال له : ما الّذى تعلم من حال ابنتك ؟ قال : أعرَفُ النّاس بحق الله وحقّ أبيها ، مع حسن صلاتها وصِيامها والقيام بدينها ، فقال : إنّى أحبّ أن أدخل إليها وأزيدَها رغبة فى الخير، فدخل الشيخ ، ثم خرج فقال : ادخل ياأمير المؤمنين ، فدخل وأمر أن يخرُج كلُّ مَنْ فى الدار إلا أباها ، ثم سألها عن الصبىّ ، فلجلجَت ، فقال : لِتصدُقِينى ، ثم انتضى السيف ، فقالت : عَلَى رِسْلك ياأمير المؤمنين! فوالله لأصدقنك ! إنّ عجوزاً كانت تدخل علىّ فاتخذتها أمًّا ، وكانت تقوم فى أمرى بما تقوم به الوالدة ، وأنا لها بمنزلة البنت ،

فمكثت كذلك حينا ، ثم قالت : إنه قد عرض لى سفر ، ولى بنت أتخوّف عليها بعدى الضّيعة ، وأنا أحبّ أن أضمّها إليك حتى أرجعَ من سفرى ، ثم عمدت إلى ابنٍ لها أمْرد فهيّأته وزيّنته كما تزيّن المرأة وأتتنى به ، ولا أشك أنّه جارية ، فكان يرى منّى ماترى المرأة من المرأة ، فاغتفلنى يوما وأنا نائمة فما شعرت به حتى علّانى وخالطنى ، فمددت يدى إلى شَفْرَةٍ كانت عندى فقتلتُه ، ثم أمرت به فألقِىَ حيث رأيت ، فاشتملتُ منه على هذا الصبىّ ، فلمّا وضعته ألقيته فى موضع أبيه ، هذا والله خبرهما على ماأعلمتُك !

فقال عمر : صدقتِ ، بارك الله فيك ! ثم أوصاها ووعظها وخرج .

وكان عمر يقول : لوأدركت عُروة وعَفْراء لجمعت بينهما .

* * *

ذكر عمرو بن العاص يوما عمر فترحّم عليه ، وقال : مارأيتُ أحداً أتقى منه ، ولا أعملَ بالحقّ منه ،لايبالى عَلَى مَنْ وقع الحقّ ، من ولدٍ أو والدٍ ، إنّى لفى منزلى بمصر ضحًى ، إذ أتانى آتٍ ، فقال : قدم عبد الله وعبد الرحمن ابنا عمر غازيَيْن ، فقلت : أين نزلا ؟ قال : فى موضع كذا ــ لأقصى مصر ــ وقد كان عمر كتب إلىّ : إياك وأن يقدَم عليك أحدٌ من أهل بيتى فتجيزه أو تحْبُوَه بأمرٍ لاتصنعه بغيره ، فأفعلُ بك ماأنت أهلُه. فضقتُ ذَرْعاً بقدومهما ، ولا أستطيع أن أهدِىَ لهما ، ولا أن آتيهما فى منزلهما ، خوفاً من أبيهما ، فوالله إنّى لَعَلى ماأنا عليه ، وإذا قائلٌ يقول :هذا عبد الرحمن بن عمر بالباب وأبو سروعة يستأذنان عليك ، فقلت : يدخلان ، فدخلا وهما منكسِران ، فقالا : أقم علينا حدّ الله، فإنّا أصبنا اللّيلة شرابا فسكِرْنا ، فزبرتهما وطردتهما، وقلت :ابن أمير المؤمنين وآخر معه من أهل بدر ! فقال عبد الرحمن : إنْ لم تفعلْ أخبرتُ أبى إذا قدمت عليه أنك لم تفعل ، فعلمت أنى إن لم أقمْ عليهما الحدّ غضب عمر وعزلنى ،فنحن عَلَى مانحن عليه،

إذ دخل عبد الله بن عمر ، فقمت إليه ورحّبت به ، وأردت أن أجلسه فى صدر مجلسى ، فأبى علىّ وقال : إنّ أبى نهانى أن أدخُلَ عليك إلاّ ألاّ أجدَ من الدخول بُدًّا ، وإنى لم أجد من الدخول عليك بُدًّا ، إن أخى لا يحلَق عَلَى رءوس الناس أبدا ، فأمّا الضَّرب فاصنع ما بدا لك ـ قال : وكانوا يحلِقون مع الحدّ ـ فأخرجتُهما إلى صحن الدّار وضربتهما الحدّ ، ودخل عبد الله بن عمر بأخيه عبد الرحمن إلى بيت من الدارِ فحلَق رأسه ، وحلق أبا سروعة ، والله ما كتبتُ إلى عمر بحرفٍ ممّا كان ، وإذا كتابه قد ورد :

من عبد الله عمر أميرَ المؤمنين ، إلى العاصى ابن العاصى ، عجبتُ لك يابن العاصى ولجراءتك علىّ ومخالفتك عهدى ! أما إنى خالفت فيك أصحابَ بدر ومَنْ هو خير منك ، واخترتُك وأنت الخامِل ، وقدّمتُك وأنت المؤخّر ، وأخبرَنى الناس بجراءتك وخلافك ، وأراك كما أخبروا ، وما أرانى إلّا عازلك فمسىءٌ عزلَك . ويحك ! تضرب عبد الرحمن ابن عمر فى داخل بيتك ، وتحلق رأسَه فى داخل بيتك ، وقد عرفتَ أنّ فى هذا مخالفتى ! وإنما عبد الرحمن رجل من رعيّتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفتَ ألاّ هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب لله عز وجلّ ، فإذا جاءك كتابى هذا فابعث به فى عباءة عَلَى قَتَب ، حتى يعرف سوء ما صنع . قال : فبعثت به كما قال أبوه ، وأقرأت أخاه عبد الله كتاب أبيهما ، وكتبت إلى عمر كتابا أعتذر فيه وأخبرته أنى ضربته فى صَحْن الدار ، وحلفت بالله الّذى لا يُحْلَف بأعظم منه ، أنه الموضع الذى أقيم فيه الحدود على المسلم والذّمىّ ، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر . فذكر أسلم مولى عمر قال :

قدم عبدُ الله بأخيه عبد الرحمن على أبيهما ، فدخل عليه فى عَباءة ، وهو لا يقدِر على المشى من مَرْكبه ، فقال : يا عبد الرحمن ، فعلت وفعلت ! السِّياط السِّياط ! فكلّمه

عبد الرحمن بن عوف ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، قد أقيم عليه الحدّ مرة ، فلم يلتفت إليه وزبَره ، فأخذته السِّياط ، وجعل يصيح : أنا مريض وأنت والله قاتلى ! فلم يرق له ، حتى استوفى الحدّ وحبسه . ثم مرض شهرا ومات .

* * *

وروى الزبير بن بكار ، قال : خطب عمرُ أمّ كلثوم بنت علىّ عليه السلام ، فقال له: إنّها صغيرة ، فقال زوِّجْنيها يا أبا الحسن ، فإنى أرصد من كرامتها مالا يرصده أحد ، فقال: أنا أبعثها إليك ، فإنْ رضيتَها زوّجتكها . فبعثها إليه ببُرْد ، وقال لها قولى: هذا البُرْد الذى ذكرتهُ لك . فقالت له ذلك ، فقال : قولى له : قد رضيتهُ رضى الله عنك ـ ووضع يده على ساقها ـ فقالت له : أتفعل هذا ! لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفَك ، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر ، وقالت : بعثتنى إلى شيخ سوء ! قال : مهلا يا بنيّة ، إنه زوجك ، فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين فى الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فقال : رفِّئونى [1] ، رفئونى ، قالوا : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزوّجت أمّ كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « كلّ سببٍ ونسب وصهر ينقطعُ يوم القيامة إلا سَبَبى ونسبى وصهرى » .

* * *

وكتب عثمان إلى أبى موسى : إذا جاءك كتابى هذا فأعطِ النّاس أعطياتِهم ، واحمل ما بقى إلىّ . ففعل ، وجاء زيد بن ثابت بالمال ، فوضعه بين يدى عثمان ، فجاء ابنٌ لعثمان ، فأخذ منه أستاندانة من فضّة ، فمضى بها فبكى زيد ، قال عثمان : ما يبكيك ؟ قال : أتيت عمر مثل ما أتيتك به ، فجاء ابنٌ له فأخذ دِرهمًا فأمر به فانتزع منه ، حتى أبكى

---

(١) رفأه : إذا قال له : بالرفاء والبنين .

الغلام ، وإنّ ابنك قد أخذ هذه فلم أرَ أحداً قال شيئاً . فقال عثمان : إنّ عمر كان يمنعُ أهلَه وقرابته ابتغاء وجه الله ، وأنا أعطي أهلي وأقاربي ابتغاء وجه الله ، ولن تلقَ مثل عمر .

* * *

وروى إسماعيل بن خالد،قال : قيل لعثمان : ألّا تكون مثل عمر ! قال : لاأستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم .

* * *

ذكرت عائشة عمرَ ، فقالت : كان أجودَنا ؛ نَسيجَ وحْدِه ، قد أعَدَّ للأمور أقرانها .

* * *

جاء عبد الله بن سَلاَم بعد أن صلّى النّاس على عمر، فقال : إن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه فلا تسبقوني بالثناء عليه ، ثم قال : نعم أخو الإسلام كنتَ ياعمر ! جواداً بالحقّ بخيلاً بالباطل ، ترضَى حين الرّضا ، وتسخَط حين السّخط ؛ لم تكن مدّاحاً ولا مِغياباً ، طيّب الطّرَف ، عفيفَ الطّرْف .

* * *

وروى جُويرِية بن قُدامة ، قال : دخلتُ مع أهل العراق على عمرَ حين أصيب ، فرأيتُه قد عَصَب بطنَه بعمامة سوداء ، والدّم يسيل ، فقال له الناس : أوصِنا ، فقال عليكم بكتاب الله ، فإنّكم لن تضلّوا ما اتّبعتموه . فأعدنا القول عليه ثانية:أوْصِنا، قال : أوصيكم بالمهاجرين ، فإنّ الناس سيكثُرون ويقلّون ، وأوصيكم بالأنصار ، فإنهم شِعْب الإسلام الذى لجأ إليه ، وأوصيكم بالأعراب ، فإنهم أصلكم الذى لجأتم إليه ومأواكم .وأوصيكم بأهل الذمّة ، فإنّهم عهد نبيّكم ورزق عيالكم ؛ قوموا عنّي .

فلم أحفظ من كلامه إلا هذه الكلمات .

* * *

وروى عمرو بن ميمون، قال : سمعتُ عمر وهو يقول–وقد أشار إلى الستّة،ولم يكلم أحدا منهم إلّا علىّ بن أبى طالب وعثمان ، ثم أمرهم بالخروج ، فقال لمن كان عنده : إذا اجتمعوا عَلَى رجل فمن خالف فلتضربَ رقبته ، ثم قال : إن يولّوها الأجلح[1] يسلك بهم الطريق ، فقال له قائل : فما يمنعك من العهد إليه ؟ قال : أكره أن أتحمّلها حيًّا وميتا .

* * *

[خطب عمرَ الطّوال]

وقال الجاحظ فى كتاب " البيان والتبيين " : لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال، وكان كلامه قصيرا ، وإنما صاحب الخطب الطوال علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

وقد وجدتُ أنا لعمر خطبا فيها بعض الطُّول ، ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرىّ فى التاريخ .

* * *

فمنها خطبة خَطب بها حين ولِىَ الخلافة ، وهى بعد حَمد الله والثّناء عليه وعَلَى رسوله :

أيّها الناس، إنّى ولّيتُ عليكم،ولولا رجاء أن أكون خيرَكم لكم ، وأقواكم عليكم، وأشدّكم استضلاعا بما ينوب من مهمّ أموركم ، ماتولّيت ذلك منكم ، ولكفى عمر فيها عجزى[2] العطاء موافقة الحساب ، بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها ،

(١) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس ، ويريد بالأجلح على بن أبى طالب .
(٢) الطبرى : « ولكنى مهما عزنا انتظار موافقة الحساب » .

وبالسَّيْر فيكم كيف أسير ! فربّى المستعان ، فإنّ عُمَر لم يصبح يثق بقوة ولا حيلة ، إنْ لم يتداركه الله برحمته وعونه[1] .

أيّها الناس إن الله قد ولّانى أمرَكم ، وقد علمت أنفع مالكم ، وأسأل الله أن يعيننى عليه ، وأن يحرسنى عنده ، كما حرسنى عند غيره ، وأن يلهمنى العدل فى قَسْمكم كالذى أمر به ، فإنى امرؤ مسلم ، وعبد ضعيف إلّا ما أعان الله ، ولن يغيّر الذى وليت من خلافتكم من خُلُقى شيئاً إن شاء الله . إنما العظمةُ لله ، وليس للعباد منها شىء ، فلا يقولنّ أحدُكم إن عمر تغيّر منذ وَلِىَ ، وإنّى أعقِلُ الحقّ من نفسى ، وأتقدّم وأبيّن لكم أمرى ، فأيّما رجل كانت له حاجة أو ظُلِمَ مظلمة أو عتب علينا فى خلق ، فليُؤذِنّى ، فإنّما أنا رجلٌ منكم . فعليكم بتقوى الله فى سرّكم وعلانيتكم وحُرُماتكم وأعراضكم ، وأعطُوا الحقّ من أنفسكم ، ولا يحمِلْ بعضُكم بعضاً علىّ ألّا تتحاكموا إلىّ ، فإنّه ليس بينى وبين أحد هَوادة ، وأنا حبيب إلىّ صلاحكم ، عزيز علىّ عَنَتُكم ، وأنتم أناس عامّتكم حضَر فى بلاد الله وأهل بلدٍ لا زرع فيه ولا ضَرْع إلّا ما جاء الله به إليه ، وإنّ الله عزّ وجلّ قد وعدكم كرامة كبيرة ، وأنا مسئول عن أمانتى وما أنا فيه ، ومطّلع عَلَى مايحضرنى بنفسى إن شاء الله ، لا أكِلُه إلى أحدٍ ، ولا أستطيع مابَعُدَ منه إلّا بالأمناء وأهل النّصح منكم للعامة ، ولست أحمل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله[2] .

***

وخطب عمر مرة أخرى ، فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله :

---

(١) الطبرى ٥ : ٢٥ ، وهى آخر الخطبة هنا ، وما يليها خطبة أخرى .
(٢) تاريخ الطبرى ٥ : ٢٥ ، ٢٦ .

أيها النّاس ، إنّ [بعض][1] الطّمع فَقْر ، وإنّ بَعْض اليأس غِنًى ، وإنكم تجمعون مالا تأكلون ، وتؤمّلون مالا تدركون ،وأنتم مؤجّلون فى دار غرور ، وقد كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله تؤخذون بالوحْى ،ومن أسرّ شيئاً أُخِذ بسريرته ،ومَنْ أعلن شيئاً أُخِذ بعلانيته ، فأظهرُوا لنا حسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه مَنْ أظهر لنا قبيحاً ، وزعم أن سريرته حسنة لم نصدّقه ،ومن أظهر لنا علانيةحسنة ظننّا [بهحسنا][1].

واعلموا أنّ بعض الشحّ شُعبة من النّفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومَنْ يوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون .

أيّها الناس ، أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقّوا الله ربّكم ، ولا تُلبِسُوا نساءكم القُباطىّ[2]، فإنّه إنْ لم يشفّ[3] فإنه يَصِف .

أيّها الناس ، إنى لوددت أن أنجوَ كَفافا لالى ولا علىّ ، إنّى لأرجو إن عُمِّرت فيكم يسيرا أو كثيرا ، أن أعمل فيكم بالحق إن شاء الله ، وألّا يبقى أحدٌ من المسلمين — وإن كان فى بيته — إلا أتاه حقّه ونصيبه من مال الله ، وإن لم يعمِل إليه نفسَه ، ولم ينصِبْ إليه بدَنه ، فأصلِحوا أموالكم التى رزقكم الله ، فقليلٌ فى رفق خير من كثير فى عنف .

واعلموا أنّ القتلَ حتْفٌ من الحتوف يصيب البَرّ والفاجر — والشهيد من احتَسب نفسَه ، وإذا أراد أحدُكم بعيراً فليعمِدْ إلى الطّويل العظيم فليضربه بعصاه ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره[4].

* * *

وخطب عمر مرّة أخرى فقال :

---

(١) تكملة من تاريخ الطبرى

(٢) القباطى : ثياب كتان بيض رقاق كانت تعمل فى مصر .

(٣) يشف : يرق حتى يحكى ما تحته .

(٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٢٦ .

إنّ الله سبحانه قد استوجبَ عليكم الشكر ، واتّخذ عليكم الحجج فيما أتاكم من كرامة الدنيا والآخرة من غير مسألة منكم ، ولا رغبةٍ منكم فيه إليه ، فخلقكم — تبارك وتعالى — ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعلكم عامّة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسخّر لكم ما في السّموات والأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة ، وحملكم في البرّ والبحر ، ورزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون . ثم جعل لكم سمعاً وبصراً . ومِنْ نعم الله عليكم نِعَمٌ عَمّ بها بني آدم ومنها نعمٌ اختصّ بها أهلَ دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصُّها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النّعم نعمةٌ وصلت إلى امرىء خاصّة إلا لو قسمتم ما وصل منها بين الناس كلّهم أتعبهم شكرُها ، وفدحهم حقّها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مستخلَفون في الأرض قاهرون لأهلها ، قد نصرَ الله دينكم فلم تصبح أمّة مخالفة لدينكم ، إلاّ أمتين أمّة مستعبدة للإسلام وأهله ، يتّجرون لكم ، تستصفون[1] معايشهم وكدائحهم ، ورشح جباههم ، عليهم المؤنة ، ولكم المنفعة ، وأمّة تنتظر وقائع الله وسطواته في كلّ يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رُعباً ، فليس لهم معقل يلجئون إليه ، ولا مهرب يتقون به ، قد دهمتهم جنودُ الله ونزلت بساحتهم ، مع رفاغة[2] العيش واستفاضة المال ، وتتابع البعوث وسدّ الثغور بإذن الله ، في العافية الجليلة العامّة التي لم تكن الأمّة على أحسن منها منذ كان الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كلّ بلد ، فما عسى أن يبلغ شكر الشاكرين ، وذكر الذاكرين ، واجتهاد المجتهدين ، مع هذه النّعم التي لا يُحصَى عددُها ، ولا يقدر قدرُها ، ولا يستطاع أداء حقّها إلا بعون الله ورحمته ولطفه ! فنسأل الله الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العملَ بطاعته ، والمسارعةَ إلى مرضاته . واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم ، واستتمّوا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنَى وفرادى ؛ فإنّ الله تعالى قال لموسى :

---

(١) استصفى الشيء : أخذ منه صفوه .   (٢) الرفاغة : سعة العيش وطيبه .

﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾[1] وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾[2] فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون إليها ، مع المعرفة بالله وبدينه ، وترجون الخير فيما بعد الموت ؛ ولكنكم كنتم أشدَّ الناس عيشة وأعظم الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذى ابتلاكم به لم يكن معه حظٌّ فى دنياكم غير أنه ثقةٌ لكمْ فى آخرتكم التى إليها المعادُ والمنقلَب ، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه كنتم أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه ، ون تظاهروه على غيره فَبَلْهَ[3]. أما إنه قد جمع لكم فضيلة الدّنيا وكرامة الآخرة ، أو لمن شاء أن يجمع ذلك منكم ، فأذكّركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم إلّا ماعرفتم حقّ الله وعملتم له ، وسيّرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعتم مع السرور بالنّعم خوفاً لزوالها وانتقالها ، ووجلا من تحويلها ، فإنه لاشىء أسلبُ للنعمة مِنْ كفرانها ، وإنّ الشكر أمنٌ للغيَر ، ونماء للنّعمة ، واستجلاب للزّيادة ، وهذا علىّ فى أمركم ونهيكم واجب إن شاء الله .

***

وروى أبو عبيدة معمر بن المثنّى فى كتاب " مقاتل الفرسان " قال: كتب عمر إلى سلْمان بن ربيعة الباهلىّ — أو إلى النّعمان بن مقرّن :

إنّ فى جندك رجلين من العرب : عمرو بن معد يكرب وطُلَيحة بن خويلد ، فأحضِرْهما النّاس وأدْنِهما وشاوِرْهما فى الحرب ، وابعثهما فى الطّلائع ، ولاتولّهما عملا من أعمال المسلمين ، وإذا وضعت الحرب أوزارها ، فضمهما حيث وضعا أنفسهما. قال : وكان عمرو ارتدّ ، وطليحة تنبأ .

***

(١) سورة إبراهيم : ٥ (٢) سورة الأنفال : ٢٦ (٣) بله : اسم فعل بمعنى دع واترك .

وروى أبو عُبيدة أيضاً فى هذا الكتاب ، قال : قدِم عمرو بن معد يكرب والأجْلَح بن وقّاص الفهمىّ على عمر ، فأتياه وبين يديْه مالٌ يوزَنُ ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس ، قال : فما حَبَسكما عنّى ؟ قالا : شغلنا المنزل يوم قدِمْنا ، ثم كانت الجمعة ، ثم غدوْنا عليك اليوم . فلمّا فرَغ من وزن المال نحّاه ، وأقبل عليهما ، فقال : هيهِ ! فقال عمرو بن معد يكرب : ياأميرَ المؤمنين ، هـذا الأجلح بن وقّاص ، الشديد المِرّة ، البعيد الغرّة ، الوشيك الكرّة ؛ والله مارأيت مثله حين الرجال صارعٌ ومصروع ! والله لكأنّه لايموت . فقال عمر للأجلح ـ وأقبل عليه ، وقد عرف الغضب فى وجهه : هِيهِ ياأجْلح ! فقال الأجلح : ياأميرَ المؤمنين ، تركتُ الناس خلفى صالحين ، كثيراً نسلُهم ، دارّة أرزاقهم ، خِصْبةً بلادهم ، أجرياء على عدوّهم ، فاكلأْ عدوّهم عنهم ، فسيمتّع الله بك ، فما رأينا مثلك إلّا مَنْ سبقك ، فقال : مامنعك أن تقول فى صاحبك مثل ماقال فيك ؟ قال : ما رأيتُ من وجهك ، قال : أصبت ، أما إنّك لو قلت فيه مثل الذى قال فيك لأوجعتُكما ضرباً وعقوبة ، فإذ تركتك لنفسك فسأتركه لك ، والله لوددت لو سَلِمَتْ لكم حالكم ، ودامت عليكم أمورُكم . أما إنّه سيأتى عليك يوم تعضّه وينهشك ، وتهرّه وينبحُك ، ولستَ له يومئذ وليس لك ، فإن لا يكن بعهدكم ، فما أقربَه منكم !

* * *

لما أُسِرَ الهُرْمُزان صاحب الأهواز وتُسْتَر وحُمِل إلى عمرَ ، حُمل ومعه رجال من المسلمين ، فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك ، فأدخلوه فى المدينة فى هيئته ، وعليه تاجُه الذهب وكسوته ، فوجدوا عمر نائماً فى جانب المسجد ، فجلسوا عنده ينتظرون انتباهَه ، فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا ، قال : وأين حُرّاسه وحُجّابه ؟ قالوا : لا حارس له ولا حاجب ، قال : فينبغى أن يكون هذا نبيّاً ! قالوا : إنّه يعمل عمل الأنبياء .

فاستيقظ عمر ، فقال : الهرمزان ! قالوا : نعم ، قال : لا أكلّمه حتى لا يبقى عليه من حليته شيء ، فرمَوْا بالحلية وألبسوه ثوباً ضيقاً ، فقال عمر : ياهرمزان ! كيف رأيتَ وبال الغدر ؟ — وقد كان صالح المسلمين مرة ثم نكث — فقال : ياعمر ، إنا وإياكم في الجاهلية كنا نغلبكم إذ لم يكن الله معكم ولا معنا ، فلما كان الله معكم غلبتمونا ، قال : فاعذرك في انتقاضك مرة بعد مرة ؟ قال : أخاف إن قلتُ أن تقتلني ، قال : لا بأس عليك ! فأخبرني ، فاستسقى ماء ، فأخذه وجعلتْ يده ترْعَد ، قال : مالك ؟ قال: أخاف أن تقتلني وأنا أشرب ، قال : لا بأس عليك حتى تشرَبه، فألقاه من يده ، فقال : مابالك ! أعيدوا عليه الماء ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، قال : كيف تقتلني وقد أمّنتني ؟ قال : كذبت ! قال : لم أكذب ، فقال أنس : صدق ياأمير المؤمنين ، قال : ويحك ياأنس ! أنا أؤمّن قاتل مَجْزأة بن ثور والبَراء بن مالك ! والله لتأتيني بالمخرج أو لأعاقبنّك ! قال : إنك قلت : « لا بأس عليك حتى تخبرَني ولا بأس عليك حتى تشرَب »! وقال له ناس من المسلمين مثل قول أنس ، فأقبل على الهُرمزان ، فقال : تخدعني ! والله لا تخدعني إلا أن تسلم ، فأسلم ، ففرَض له ألفين ، وأنزله المدينة .

* * *

بعث عمرُ عميرَ بن سعيد الأنصاريّ عاملًا على حِمْص ، فمكث حولًا لا يأتيه خبره ، ثم كتب إليه بعد حول : إذا أتاك كتابي هذا فأقبِلْ واحمل ماجبيْتَ من مال المسلمين ، فأخذ عمير جرابه ، وجعل فيه زاده وقَصْعته ، وعلّق أداته ، وأخذ عَنَزته[1] ، وأقبل ماشياً من حِمْص حتى دخل المدينة ، وقد شحَب لونُه ، واغبرّ وجهُه ، وطال شعره . فدخل على عمر فسلّم ، فقال عمر : ماشأنك ياعمير ؟ قال : ماترى من شأني ، ألستَ تراني صحيح البدن ، ظاهر الدّم ، معي الدنيا أجرّها بقرنَيْها ؟ قال : ومامعك — فظنّ عمر أنه قد جاء

(١) العنزة : عصا مثل الحربة .

بمالٍ ، قال : معى جرابى أجعل فيه زادى،وقَصْعَتى آكل فيها وأغسل منها رأسى وثيابى، وأداتى أحمل فيها وَضوئى وشرابى،وعنزَتى أتوكّأ عليها وأجاهد بها عدوًّا إن عرَض لى .

قال عمر:أفجئت ماشيا ؟ قال : نعم ، لم يكن لى دابّة ، قال : أفما كان فى رعيّتك أحد يتبرّع لك بدابّة تركبها ؟ قال : مافعلوا،ولا سألتُهم ذلك ، قال عمر : بئس المسلمون خرجتَ من عندهم ! قال عمير : اتّق الله ياعمر،ولا تقُلْ إلّا خيراً ، قد نهاك الله عن الغيبة،وقد رأيتُهم يصلّون ! قال عمر:فماذا صنعت فى إمارتك ؟ قال : وماسؤالك ؟ قال : سبحان الله ! قال : أما إنّى لولا أخشى أن أغمّك ما أخبرتك.أتيت البلد ، فجمعت صُلَحاء أهله فولّيتهم جبايته، ووضَعه فى مواضعه،ولو أصابك منه شىء لأتاك،قال : أفما جئت بشىء ؟ قال : لا ، فقال: جدِّدُوا لعمير عهدا،قال : إنّ ذلك لشىء لا أعمله بَعْدُ لك،ولا لأحد بعدك،والله ما كدت أسْلَمَ — بل لم أسلَم،قلت لنصرانىّ معاهَد : أخزاكَ الله ، فهذا ماعرّضتنى له ياعمر ! إنّ أشقى أيّامى ليوم صحبتُك ! ثم استأذنه فى الانصراف ، فأذن له ، ومنزله بقُباء بعيداً عن المدينة، فأمهله عمر أياما ثمّ بعث رجلا يقال له الحارث ، فقال : انطلق إلى عمير بن سعد وهذه مائة دينار ، فإنْ وجدتَ عليه أثرا فأقبل علىّ بها،وإن رأيت حالًا شديدة فادفع إليه هذه المائة،فانطلق الحارث فوجد عُميراً جالساً يفلّى قميصاً له إلى جانب حائط،فسلم عليه،فقال عمير: انزل رحمك الله ! فنزل فقال:مِن أين جئت؟قال:من المدينة،قال : كيف تركتَ أمير المؤمنين؟ قال : صالحا ، قال : كيف تركت المسلمين ؟ قال : صالحين ، قال : أليس عمرُ يقيم الحدود؟ قال : بلَى ، ضرب ابنًا له على فاحشة فمات من ضَرْبه ، فقال عمير : اللهمّ أعِنْ عمر ، فإنى لا أعلمُه إلّا شديداً حبُّه لك ! قال : فنزل به ثلاثة أيام ، وليس لهم إلا قرصٌ من شعير كانوا يخصّونه كلّ يوم به ويطوون ، حتى نالهم الجهد ، فقال له عمير : إنّك قد أجعتنا ، فإن رأيت أن تتحوّل عنّا فافعل ، فأخرج الحارث الدنانير فدفعها إليه ، وقال : بعث بها أمير المؤمنين ، فاستغْنِ بها ، فصاحَ وقال : ردّها ، لاحاجة لى فيها ، فقالت المرأة : خذها

ثم ضمها فى موضعها ، فقال : مالى شىء أجعلها فيه ! فشقّت أسفلَ درعها[1] فأعطته خِرْقة فشدّها فيها، ثم خرج فقسّمها كلّها بين أبناء الشهداء والفقراء، فجاء الحارث إلى عمر فأخبره، فقال : رحم الله عميرا ! ثم لم يلبث أن هَلَك ، فعظم مهلكه على عمر، وخرج مع رهط من أصحابه ماشين إلى بقيع الغَرْقد، فقال لأصحابه : ليتمنّينّ كلّ واحد منا أمنيته، فكلّ واحد تمنى شيئاً، وانتهت الأمنيّة إلى عمر ؛ فقال: وددت أن لى رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به على أمور المسلمين !

* * *

[نُبذ من كلام عمر]

ومن كلام عمر : إيّاكم وهذه المجازِرَ ، فإنّ لها ضَراوةً كضراوة الخمر .

وقال : إيّاكم والراحةَ فإنها غفلة .

وقال : السِّمَن غفلة .

وقال : لا تُسكِنوا نساءكم الغُرَف، ولا تعلّموهنّ الكتابة، واستعينوا عليهنّ بالعُرْى، وعوّدوهنّ قول « لا » ، فإنّ « نعم » تجرّئهنّ على المسألة .

وقال : تبيّنْ عقلَ المرءِ فى كلّ شىء ، حتى فى عِلّته، فإذا رأيته يتوقّى على نفسه الصبر عن شهوته ، ويحتمى من مطعمه ومشربه ، عرفتَ ذلك فى عقله ؛ وما سألنى رجلٌ عن شىء قطّ إلا تبيّن لى عقله فى ذلك .

وقال : إنّ للناس حدوداً ومنازل، فأنزلوا كلّ رجلٍ منزلته ، وضعوا كلّ إنسان فى حدّه ، واحملوا كلّ امرئٍ بفعله على قدره .

وقال : اعتبروا عزيمة الرَّجُل بحميّته ، وعقله بمتاع بيته . قال أبو عثمان الجاحظ: لأنه

(١) الدرع : القميص .

ليس من العقل أن يكون فرشه لِبْدا ومرقعته طَبَرِيّة .

وقال : مَنْ يئِسَ من شيء استغنى عنه ، وعزُّ المؤمن استغناؤه عن النّاس .

وقال : لايقوم بأمر الله إلّا مَنْ لا يصانع ، ولا يصارع ، ولا يتبع المطامع .

وقال : لا تُضْعِفُوا هِمّتكم ، فإنّى لم أر شيئاً أقعدَ برجل عن مكرُمةٍ مِنْ ضعف هِمّته .

ووعظ رجلاً فقال : لا تلهِكَ النّاس عن نفسك ، فإنّ الأمور إليك تصلُ دونهم ، ولا تقطع النّهارَ سادِراً ، فإنه محفوظ عليك ، فإذا أسأت فأحسِنْ ، فإنى لم أرَ شيئا أشدّ طلبا ، ولا أسرع إدراكا من حسنةٍ حديثة لذنب قديم .

وقال : احذَر من فَلَتَاتِ السّباب ، وكلِّ ما أورثك النّبْز[1] ، وأعلَقك اللقب ، فإنه إن يعظم بعده شأنك يشتدّ على ذلك ندمك .

وقال : كلّ عمل كرهتَ من أجله الموت فاتركه ، ثم لا يضرّك متى مِتّ .

وقال : أقلِلْ من الدَّيْن تعِش حرًّا ، وأقلل من الذّنوب يهُنْ عليك الموت ، وانظر فى أىّ نصاب تضع ولدك ، فإنّ العِرْق دسّاس .

وقال : تركُ الخطيئة أسهلُ من معالجة التوبة .

وقال : احذروا النّعمةحذرَكم المعصيةَ ، وهىأخوفُهما عليكم عندى .

وقال : احذروا عاقبة الفَراغ ، فإنه أجمع لأبواب المكروه من السّكر .

وقال : أجودُ النّاس مَنْ يجود عَلى من لا يرجو ثوابه ، وأحلمُهم مَنْ عفا بعد القدرة ، وأبخلهم مَنْ بخل بالسّلام ، وأعجزهم من عجز فى دعائه .

وقال : ربَّ نظرة زرعت شهوة ، ورب شهوة أورثت حزنا دائما .

---

(١) النبز : اللقب المعيب ؛ ومنه قوله تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » .

وقال : ثلاث خصالٍ مَنْ لم تَـكنْ فيه لم ينفعه الإيمان : حِلْمٍ يردّ به جهل الجاهل ، وورَعٌ يَحجُزه عن المحارم ، وخُلُق يدارِي به الناس .

***

[أخبار عمر مع عمرو بن معديكرب]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب " مقاتل الفرسان " أنّ سعد بن أبى وقاص أوفَد عمرو بن معديكرب بعد فتح القادسيّة إلى عمر ، فسأله عمر عن سعد: كيف تركتَه ، وكيف رضا الناس عنه ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هو لهم كالأب يجمع لهم جَمْع الذّرّة ، أعرابى فى نَمِرته[١] ، أسد فى تامورته[٢] ، نَبَطِىٌّ فى جِبايته ، يقسِم بالسويّة ، ويعدل فى القضيّة ، وينفِر فى السريّة .

وكان سعد كتب يُثنِى على عمرو ، فقال عمر : لكأنما تقاوضْتما الثناء ! كتبَ يُثنِى عليك ، وقدِمْتَ تثنى عليه ! فقال : لم أُثْنِ إلّا بما رأيت ، قال : دَعْ عنك سعدا ، وأخبرنى عن مَذْحِج قومك .

قال : فى كلٍّ فضلٌ وخيْر ، قال : ما قولُك فى عُلَة بن خالد ؟ قال : أولئك فوارس أعراضنا ، أحثّنا طلبا ، وأقلّنا هرَبا ، قال : فسعد العشيرة ؟ قال : أعظمنا خَمِيساً[٣] ، وأكبرنا رئيسا ، وأشدّنا شَرِيساً[٤] . قال : فالحارث بن كعب ؟ قال : حَسَكَةٌ لا ترام ، قال : فمراد ؟ قال : الأتقياء البررَة ، والمساعير الفجَرة ، ألزمُنا قرارا ، وأبعدنا آثارا .

---

(١) النمِرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

(٢) قال فى اللسان : «وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال : أسد فى تامورته ، أى فى عرينه ، وهو بيت الأسد الذى يكون فيه، وهى فى الأصل الصومعة . فاستعارها للأسد»

(٣) الخميس : الجيش . (٤) شريساً ، أى شراسة .

قال : فأخبرنى عن الحرب ، قال : مرّة المذاق ، إذا قلّصت عن ساق ، مَنْ صبر فيها عرف ، ومن ضعف عنها تلِف ، وإنّها لـكما قال الشاعر :

الحَرْبُ أوّل ما تكونُ فتيّـةً   تسْعَى بزينتها لـكلّ جَهُولِ[1]

حتى إذا استعرَتْ وشبّ ضِرامها   عادتْ عجوزاً غير ذاتِ حليلِ

شَمْطاء جزّتْ رأسها وتنكّرتْ   مكْرُوهةً للشمّ والتقبيـــل

قال : فأخبرنى عن السّلاح ، قال : سلْ عمّا شئت منه ، قال : الرّمح ؟ قال : أخوك وربما خانك ، قال النّبل ؟ قال : منايا تُخْطِئُ وتصيب ، قال : التُّرس ؟ قال : ذاك المِجنّ ، وعليه تدور الدوائر ، قال : الدرع ؟ قال : مشغَلةٌ للراكب[2] ، متعبةٌ للراجل ، وإنها لحِصْنٌ حصين . قال : السيف ؟ قال : هناك قارعت أمّك الهَبَل ، قال : بل أمّك ، قال : بل أمّى ، والحمّى أضرعتنى[3] لك[4] .

***

عرض سليمان بن ربيعة الباهلىّ جنده بأرمينيّة ، فـكان لا يقبل من الخيل إلّا عتيقا ، فمرّ عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ ، فردّه وقال : هذا هجين ، قال عمرو : إنه ليس بهجين ، ولـكنه غليظ ، قال : بل هو هجين ، فقال عمرو : إنّ الهجين ليَعرِفُ الهجين ، فـكتب بكلمته إلى عمر ، فـكتب إليه : أمّا بعد يابن معد يكرب ، فإنّك القائل لأميرك ما قلت ، فإنه بلغنى أنّ عندك سيفا تسمّيه الصّمصامة ، وأنّ عندى سيفا أسمّيه مصمّما ، وأقسم بالله لئن وضعتُه بين أذنيك لا يقلع حتى يبلغ قحفَك .

---

(١) تنسب هذه الأبيات لامرئ القيس ، ديوانه ٣٥٣ .

(٢) فى العقد : « مثقلة للراكب متعبة للفارس » .

(٣) أراد أن الإسلام قيده ، ولو كان فى الجاهلية ما استطاع عمر أن يكلمه بهذا الـكلام .

(٤) الخبر فى العقد ١ : ٢١٠ ، عيون الأخبار ١ : ١٣٠ .

وكتب إلى سلمان بن ربيعة يلومُه فى حِلمه عنه ، فلما قرأ عمرو الكتاب ، قال : مَنْ ترونه يعنى ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : هدّدنى بعلىّ والله ، وقد كان صَلِىَ بناره مرّةً فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأفلت من يده بجُرَيْعة[1] الذَّقَن ، وذلك حين ارتدّت مذحِج ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أمّر عليها فَرْوة بن مسيك المرادىّ ، فأساء السيرة ، ونابذ عمرو بن معد يكرب ففارقه فى كثير من قبائل مَذْحِج ، فاستجاش فَرْوة عليه وعليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأرسل خالد بن سعيد بن العاص فى سريّة وخالد بن الوليد بعده فى سريّة ثانية ، وعلىّ بن أبى طالب عليه السلام فى سريّة ثالثة ، وكتب إليهم : كلّ واحد منكم أمير من معه ، فإذا اجتمعتم فعلىٌّ أميرٌ على الكلّ ، فاجتمعوا بموضع من أرض اليمن يقال له « كسر » ، فاقتتلوا هناك ، وصَمَد عمرو بن معديكرب لعلىّ عليه السلام — وكان يظنّ أن لا يثبت له أحدٌ من شجعان العرب — فثبت له ، فعلا عليه ، وعاين منه ما لم يكن يحتسبه ، ففرّ من بين يديه هاربا ناجياً بحُشاشة نفسه ، بعد أن كاد يقتله ، وفرّ معه رؤساء مذحِج وفرسانهم ، وغَنِم المسلمون أموالَهم ، وسُبِيت ذلك اليوم ريحانة بنت معد يكرب أخت عمرو ، فأدّى خالد بن سعيد بن العاص فِداءها من ماله ، فأصابه عمرو أخوها الصَّمْصامةَ ، فلم يزل ينتقل فى بنى أميّة ويتداولونه واحداً بعد واحدٍ حتى صار إلى بنى العباس فى أيام المهدىّ محمد بن المنصور أبى جعفر .

* * *

[فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات الغريبة]

فأما ما نقل عن عمر من الألفاظ الغريبة اللّغوية التى شرحها المفسرون ، فنحن نذكر من ذلك ما يليق بهذا الكتاب .

---

(١) أى قرب الموت منه كقرب الجريعة من الذقن ، وذلك إذا أشرف على التلف ثم نجا ، وهذا مثل يضرب فى إفلات الجبان . والجريعة : بقية الروح . وانظر الميدانى ٢ : ٦٩ .

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ في تاريخه : روى عبد الرحمن بن أبي زيد ، عن عمران بن سودة الليثيّ ، قال : صلّيت الصبح مع عمر ، فقرأ « سبحان » وسورة معها، ثم انصرف ، فقمت معه ، فقال : أحاجة ؟ قلت : حاجة ، قال : فالحق ، فلحقت ، فلمّا دخل أذِن ، فإذا هو على رمال[1] سرير ، ليس فوقه شيء ، فقلت : نصيحة ! قال : مرحباً بالناصح غدوًّا وعشيًّا ، قلت : عابت أمّتك - أو قال رعيّتك - عليك أربعا ، قال : فوضع عود الدرّة ثم ذقن عليها - هكذا روى ابن قتيبة - وقال أبو جعفر : « فوضع رأس درّته في ذقنه » ووضع أسفلها على فخذه ، وقال : هات - قال : ذكروا أنك حرّمت المتعة في أشهر الحج - وزاد أبو جعفر : « وهي حلال » - ولم يحرّمها[2] رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر ، فقال: أجل ! إنّكم إذا اعتمرتم في أشهر حجّكم رأيتموها مجزئة عن حجّكم ، فقرع حجّكم ، وكانت قابية قوب عامها والحجّ بهاء من بهاء الله ، وقد أصبتَ . قال : وذكروا أنك حرّمت متعة النساء ، وقد كان رخصة من الله نستمتع بقبضة ، ونفارق عن ثلاث ، قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحلّها في زمان ضرورة ، ورجع الناس إلى السعة ، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عاد إليها ، ولا عمل بها ، فالآن مَنْ شاء نكح بقُبضة ، وفارق عن ثلاثٍ بطلاق وقد أصبت .

وقال: ذكروا أنك أعتقتَ الأمَة إذا وضعتْ ذا بطنها بغير عتاقة سيّدها . قال: ألحقتُ حرمة بحرمة ، وما أردت إلا الخير ، واستغفر الله .

قال : وشكَوْا منك عُنف السّياق ، ونَهْرَ الرعية . قال : فنزَعَ الدِّرّة ثم مسحَها حتى أتى على سُيورها ، وقال : وأنا زميل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة قرقرة

---

(١) ساقطة من تاريخ الطبري . (٢) الطبري : «ولم يفعل ذلك» .

الكدر ، فوالله إنى لأرتع فأشبع ، وأسق فأروى ، وإنى لأضرب العَرُوضَ ، وأزجر العَجُول ، وأؤدّب قَذِرِى ، وأسوق خَطُوتى ، وأردّ اللَّفوت ، وأضمّ العنود ، وأكثر الضّجر ، وأقلّ الضرب ، وأشهر بالعصا ، وأدفع باليد ، ولولا ذلك لأعذرت .

قال أبو جعفر : فكان معاوية إذا حدّث بهذا الحديث يقول : كان والله عالما برعيّته[1] .

قال ابن قتيبة : رَمَلْت السرير وأرملته ، إذا نسجته بشريط من خُوص أوليف .

وذقّن عليها ، أى وضع عليها ذقنه يستمع الحديث .

وقوله : فقَرِع حَجُّكم ، أى خلَتْ أيّام الحجّ من الناس ، وكانوا يتعوذون من قَرَع الفِناء ، وذلك ألّا يكون عليه غاشية وزوّار ، ومِن قَرَع المراح ، وذلك ألّا يكون فيه إبل

والقابية : قشر البيضة إذا خرج منها الفرخ .

والقُوبُ : الفرْخ ، قال الكميت :

لهنّ وللمشيب ومَنْ علاه من الأمثال قابيةٌ وقُوبُ

أراد أنّ النساء ينفرنَ من ذى الشيب ويفارقنه كما يفارق الفرخ البيضة ، فلا يعود إليها بعد خُروجِه منها أبدا . وروى عن عمر : إنكم إذا رأيتم العُمرة فى أشهر الحجّ كافية من الحجّ خلت مكة من الحجّاج ، فكانت كبيضةٍ فارقها فرخها .

قوله : « إنّى لأرتعُ فأشبع ، وأسق فأروى » مثلٌ مستعار من رعيت الإبل ، أى إذا أرتعت الإبل ، أى أرسلتها ترعى تركتها حتى تشبع ، وإذا سقيتها تركتها حتى تروى .

وقوله : « أضرب العَرُوض » ، العروض : النّاقة تأخذ يمينا وشمالا ، ولا تلزم المحجّة ، يقول : أضربها حتى تعود إلى الطريق . ومثله قوله : « وأضمّ العنود » .

والعجول : البعير يندّ عن الإبل ، يركب رأسه عجلا ويستقبلها .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢٥ (طبعة المعارف) .

قوله : « وأؤدِّب قَدْرِى » ، أى قدر طاقتى .

وقوله : « وأسوق خَطْوتى » أى قدر خَطْوتى .

واللَّفُوت : البعير يلتفت يميناً وشمالا ويروغ ،

وقوله : وأ كثِر الزَّجْر وأقلّ الضرب » أى أنه يقتصر من التأديب فى السياسة على مايكتفى به ، حتى يضطر إلى ماهو أشدّ منه وأغلظ .

وقوله : « وأشهر بالعصا وأدفع باليد» ، يريد أنّه يرفع العصا يُرْهب بها ولا يستعملها، ولكنّه يدفع بيده .

قوله : « ولولا ذلك لأغذَرْت » أى لولا هذا التدبير وهذه السياسة لخلفت بعض ما أسوق ، ويقال : أغذَر الرّاعى الشاة والناقة إذا تركها ، والشاة الغذيرة وغذرتْ هى ، إذا تخلّفتْ عن الغنم .

قال ابن قتيبة ، وهذه أمثال ضربها ، وأصلها فى رِعْية الإبل وسوقها ، وإنّما يريد بها حُسْن سياسته للناس فى الغزاة التى ذكرها ، يقول : فإذا كنتُ أفعل كذا فى أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله مع طاعةِ الناس له ، وتعظيمهم إياه ، فكيفَ لا أفعله بعده!

وعندى أنّ ابنَ قتيبة غالطٌ فى هذا التأويل ، وليس فى كلام عمر ما يدلّ على ذلك وليس عمر فى غزاة قرقرة الكُدْر يسوسُ الناس ولا يأمرهم ولا ينهاهم ، وكيف ورسول الله صلى الله عليه وآله حاضرٌ بينهم ! ولا كان فى غزاة قرقرة الكدر حرب ، ولا مايُحتاج فيه إلى السّياسة ، وهل كان لعمر أو لغير عمر ورسول الله صلى الله عليه وآله حىّ أن يُرْتِع فيشبع، ويسقى فيروِى ! وهل تكون هذه الصّفات وما بعدها إلا للرئيس الأعظم ! والذى أراده عمر ذكر حاله فى خلافته رادًّا على عمران بن سوادة فى قوله : « إنّ الرعيّة يشكون منك عُنْف السِّياقِ وشدة النّهر » ، فقال : لَيشكون ! فوالله إنّى لرفيق بهم ، ومستقصٍ فى سياستهم،

ولا ناهك لهم عقوبة ، وإنى لأقنع بالهيبة والتهويل عليهم ، ولا أُعمِلُ العصا حيث يمكننى الاكتفاء باليد ، وإنى أردّ الشارد منهم وأعدل المائل . . . ، إلى غير ذلك من الأمور ، التى عدّدها وأحسن فى تعديدها .

وإنما ذكر قوله : « أنا زميل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزاة قرقرة الكدر » ، على عادة العرب فى الافتخار وقت المنافرة وعندما تجيش النفس ويحمى القلب ، كما كان على عليه السلام يقول وقت الحاجة : « أنا عبد الله وأخو رسوله » ، فيذكر أشرف أحواله ، والمزية التى اختص بها عن غيره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله فى غزاة قَرْقَرة الكدر أردَفَ عمر معه على بعيره ، فكان عمر يفخرُ بها ويذكرها وقت الحاجة إليها .

* * *

وفى حديث عمر أنّه خرج من الخلاء ، فدعا بطعام فقيل له : ألا تتوضّأ ؟ فقال : لولا التَّنطُّس ما باليت ألا أغسل يدى[1] .

قال أبو عبيد القاسم بن سلّام : قال ابن عُلَيَّة : التنطّس التقذُّر . وقال الأصمعىّ : هو المبالغة فى التطهر ، فكلّ من أدقّ النظر فى الأمور فاستقصى علمها فهو متنطّس ، ومنه قيل للطبيب : النِّطاسىّ والنِّطِّيس لدقّة علمه بالطب .

* * *

وفى حديث عمر حين سأل الأسقفّ عن الخلفاء ، فحدّثه ، حتى إذا انتهى إلى الرابع ، فقال : صَدَعٌ من حديد ، وقال عمر : وادفراه[2] !

قال أبو عبيدة ، قال الأصمعىّ : كان حمّاد بن سلمة يقول : « صدأ من حديد » ، وهذا أشبه بالمعنى ، لأنّ الصّدأ له دَفَرٌ وهو النتن ، والصّدع لا دَفَر له ، وقيل للدنيا أمّ دَفْر ، لما فيها من الدواهى والآفات ، فأمّا الذَّفَر بالذّال المعجمة وفتح الفاء فهو الريح الذكيّة من طيب أو نتن .

---

(١) الفائق ٣ : ١٠٤   (٢) نهاية ابن الأثير ٢ : ٢٦ .

وعندى فى هذا الحديث كلام ، والأظهر أن الرواية المشهورة هى الصحيحة، وهى قوله: « صدَع من حــديد » ، ولــكن بفتح الدال ، وهو ما كان من الوعول ؛ بين العَظِيم والشَّخْت ، فإن ثبتت الرواية بتسكين الدّال فغير ممتنع أيضاً ، يقال : رجل صَدْع ، إذا كان ضَرْباً من الرّجال ، ليس برَهْلٍ ولا غليظ .

ورابع الخلفاء هو علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وأراد بالأسقُفّ مدحه .

وقول عمر : «وادَفْراه!» إشارة إلى نفسه ، كأنه استصغر نفسَه وعابها بالنسبة إلى ماوصفه الأسقُفّ من مدح الرابع وإطرائه .

فأمّا تأويلُ أبى عُبيدة فإنه ظنّ أنّ الرابع عثمان، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله معدودا من الجملة ليصحّ كون عثمان رابعاً، وجعل الدَّفْر والنتن له، وصرف اللفظ عن الرواية المشهورة إلى غيرها ، فقال : «صَدَأ حديد»، ليطابق لفظة النَّتْن على مايليق بها، فغير خاف مافيه من التعسّف ، ورفض الرواية المشهورة .

وأيضاً فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز إدخالُه فى لفظ الخلفاء ، لأنه ليس بخليفــة ، لأن الخليفة من يخلفُ غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله مستخلِف الناس كلهم وليس بخليفة لأحد .

* * *

وفى حديث عمر ، قال عنــد موته : « لو أنّ لى مافى الأرض جميعاً لافتــديتُ به من هول المُطَّلَع » [(١)] .

قال أبو عُبيد: هو موضع الاطّلاع من إشراف إلى انحدار، أو من انحدار إلى إشراف، وهو من الأضداد ، فشبّه ما أشرف عليه من أمر الآخرة .

* * *

(١) الفائق ٢ : ٨٨ .

وفى حـديث عمر ، حين بعث حذيفـة وابن حُنَيف إلى السّواد ففلَجا الجزْية على أهله [١].

قال أبو عبيد : فلجا أى قسما بالفِلْج ، وأصله من الفِلْج،وهو المـكيال الذى يقال له الفِلْج لأنّ خراجهم كان طعاماً .

***

وفى حديث عمر حين قال له حذيفة:إنّك تستعين بالرّجُل الذى فيه ـ وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ، فقال : « استعمله لأستعين بقوته ، ثم أكون على قُفّانه » [٢] .

قال أبوعبيد عن الأصمعىّ: قُفّان كلّ شىء جُمّاعه واستقصاء معرفته،يقول : أكونُ على تتبّع أمره حتى أستقصِىَ علمه وأعرفه .

قال : أبو عُبيد : ولا أحسِب هذه الـكلمة عربية ، وإنما أصلها «قبّان»،ومنه قول العامة : فلان قبّان على فلان ، إذا كان بمنزلة الأمين عليـه والرئيس الذى يتتبّع أمره ويحاسبه ، وبه سمّىَ هذا الميزان الذى يقال له القبّان .

***

وفى حديث عمر حين قال لابن عباس وقد شاوره فى شىء فأعجبه كلامه: نِشْنشة [أعرفها] من أخشن ، هكذا الرواية ، وأما أهل العلم فيقولون : « شنشنة أعرفها من أخزم » [٣] .

والشّنشنة فى بعض الأحوال قد تـكون بمعنى المُضْغة أو القطعة تُقطع من اللحم،والقول المشهور أنّ الشّنشنة مثل الطبيعة والسجيّة ، فأراد عمر إنى أعرف فيك مشابه من أبيك فى رأيه ، ويقال : إنه لم يكن لقرشىّ مثل رأى العباس .

قال : وقد قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يجوز « شنشنة » و « نشنشة » ، وغيره ينـكر « نشنشة » .

***

(١) الفائق ٢ : ٢٦٩ .

(٢) النهاية ٣ : ٢٩٦ . والفائق ٢ : ٣٦٥

(٣) النهاية ٢ : ٢٣٨ .

وفى حديث عمر يوم السقيفة ، قال : « وقد كنت زوّرت فى نفسى قالةً ، أقومُ بها بين يدى أبى بكر ، فلم يترك أبو بكر شيئاً مما زوّرته إلّا تكلَّم به » .

قال أبو عُبيد : التزوير إصلاح الكلام وتهيئته كالتزويق [١] .

***

وفى حديث عمر حين ضرب الرجل الذى أقسم على أمّ سلمة ثلاثين سوطا كلّها تَبْضَع وتَحْدُر [٢] .

قال أبو عبيد : أى تشق وتورم ، حَدَر الجلد يحدُره وأحدره غيرُه .

***

وفى حديثه أنه قال لمؤذّن بيت المقدس: «إذا أذّنت فترسّلْ» ، وإذا أقمت فاحذم [٣] .

قال أبو عُبيدة: الحذْم بالحاء المهملة الحدر فى الإقامة ، وقطع التطويل، وأصله فى المشى، وهو الإسراع فيه ، وأن يكون مع هذا كأنه يهوى بيده إلى خلفه ، والجذْم بالجيم أيضاً القطع ، وكذلك الخذْم بالخاء المعجمة .

***

وفى حديثه أنّه قال : « لا يقرّ رجل أنه كان يطأ جاريتَــه إلا ألحقتُ به ولدها ، فمن شاء فليُمسكها ومن شاء فليُرسلها » .

قال أبو عبيد: هكذا الرواية بالسين المهملة والمعروف أنه : «الإرشال» بالشين المعجمة، ولعله حوّل الشين إلى السين كما يقال سَمّتُّ العاطش ، أى شمّتّه :

***

وفى حديثه : « كذب عليكم الحجّ ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد، ثلاثة أسفار ، كذبتْ عليكم [٤] » .

(١) النهاية ٢ : ١٣٤ (٢) النهاية ٢ : ٨٣ (٣) النهاية ١ : ٢١٠ .

(٤) الفائق ٢ : ٤٠١ ، نهاية ابن الأثير ٤ : ١٢ ، اللسان (كذب) .

قال أبو عبيد : معنى كذب عليكم الإغراء ، أى عليكم به ، وكان الأصل فى هـذا أن يـكون نصباً ، ولـكنه جاء عنهم بالرفع شاذا على غير قياس ، ومما يحقق أنه مرفوع قول الشاعر :

كذبت عليك لا تَزالُ تَقُوفنِي ... كما قاف آثار الوثيقـــة قائِفُ

فقوله : « كذبت عليك » ، إنما أغراه بنفسه ، أى عليك بى ؛ فجعل « نفسه » فى موضع رفع ، ألا تراه قد جاء بالباء فجعلها اسمه .

وقال معقّر بن حمار البارقىّ :

وَذُبيـانيّة وصّتْ بنيهـــا ... بأنْ كذبَ القراطفُ والقُروفُ[1]

فرفع ، والشعر مرفوع ، ومعناه عليـكم بالقراطف والقروف ، والقراطف : القطف واحدها قُرْطُف . والقروف : الأوعية .

ومما يحقّق الرفع أيضاً قول عمر « كذبت عليكم » ، قال أبو عبيد : ولم أسمع النّصب فى هذا إلّا حرفا ، كان أبو عبيد يحكيه عن أعرابىّ نظر إلى ناقةٍ نضو[2] لرجل ، فقال : كذب عليك البزرُ والنوى[3] لم أسمع فى هذا نصبا غير هذا الحرف .

قال : والعربُ تقول للمريض : كذبَ عليك العسلُ[4] ، بالرفع ، أى عليك به .

* * *

وفى حديثه : « مايمنعكم إذا رأيتم الرّجُلَ يخرق أعراض النّاس ألا تعرّبوا عليه » ؟ قالوا : نخاف لسانه ، قال : « ذاك ألّا تـكونوا شهداء »[5] .

قال أبو عبيد : « ألّا تعرّبوا » ، أى ألّا تفْسِدوا عليه كلامه وتُقَبِّحوه له .

* * *

وفى حديثه : أنّه نهى عن الفَرْس فى الذبيحة[6]

---

(١) الفائق ٢ : ٤٠١ ، اللسان ٢ : ٢٠٥

(٢) نضو : هزيلة .

(٣) اللسان (كذب) .

(٤) اللسان (كذب) .

(٥) الفائق ٢ : ١٣٤

(٦) الفائق ٢ : ٢٦٥ .

قال أبو عُبيد : قيل فى تفسيره : أن ينتهىَ بالذّبح إلى النّخاع وهو عَظم فى الرقبة ، وربّما فسّر النّخاع بأنّه المخّ الذى فى فقَار الصُّلب متّصلا بالقفا ، فنَهى أن ينتهىَ بالذبح إلى ذلك .

وقيل فى تفسيره أيضا : أن يكسر رقبة الذّبيحة قبل أن تبرد ، ويؤكّدهذا التفسير قوله فى تمام الحديث : « ولا تعجلوا الأنفس حتى تَزْهَق » .

***

وفى حديثه حين أتاه رجلٌ يسأله أيام الحَمْل ، فقال له : هَلَكْتُ وأهلكتُ ، فقال عمر : « أهلكْتَ وأنت تَنِثّ نَثيثَ الحَميت ؛ أعطوه رُبَعة من الصّدقة » ، فخرجت يتبعها ظئراها[1].

قال أبو عبيد : قد روى : « تَمُثّ » بالميم[2] والمحفوظ بالنون . وتنِثّ ، أى ترشَح وتعرق من سِمَنِك وكثرة لحمك .

والحَميت : النِّحْى وفيه الرُّبّ أو السّمْن أو نحوها . والرُّبَعة : ماولد فى أول النِّتاج ، والذّكر رُبَع .

***

وفى حديثه أنّه خرّج إلى المسجد للاستسقاء فصعِد المنبر ، فلم يزدْ على الاستغفار حتى نزل فقيل : إنك لم تَسْتَسْقِ ، فقال : « لقد استسقيتُ بمجاديح السماء »[3] .

قال أبو عبيد : جعل الاستغفار استسقاء ، تأوّل فيه قوله تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾[4] . والمجاديح : جمع مِجْدَح وهو النجم الذى كانت العرب تزعم أنها تُمطَر به ، ويقال : مُجْدَح بضم الميم ، وإنّما قال عمر ذلك ، على أنّها كلمةٌ جارية على ألسنة العرب ، ليس على تحقيق الأنواء ، ولاالتصديق بها

(١) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٢٥ ، الفائق ٣ : ٢١٠ (٢) النهاية لابن الأثير ٤ : ٧٧ .
(٣) نهاية ابن الأثير ١ : ١٤٦ (٤) سورة نوح ١٠ ، ١١ .

وهـذا شبيهٌ بقول ابن عبّاس فى رجل جعل أمرَ امرأته بيدها ، فقالت له : أنتَ طالق ثلاثا ، فقال : خطّأ الله نوءها ! ألا طلّقت نفسها ثلاثا ! ليس هـذا دُعاء منه ألا تُمطِر ، إنّما ذلك على الكلام المقُول .

ومما يبيّن أنّ عمر أراد إبطالَ الأنواء والتّكذيب بها قوله: «لقد استسقيتُ بمجاديح السماء » ؛ التى يستسقى بها الغيث ، فجعل الاستغفار هو المجاديح لا الأنواء.

* * *

وفى حـديثه ، وهو يذكر حال صباه فى الجاهليّة : لقد رأيتُنى مرةً وأختًا لى نرعى على أبوينا ناضحاً لنا ، قد ألبستنا أمّنا نُقبتها ، وزوّدتنا يُمَيْنَتَيها من الهَبيدِ ، فنخرجُ بناضحنا ، فإذا طلعت الشمس ، ألقيتُ النُّقْبة إلى أختى ، وخرجت أسعى عُريان فنرجع إلى أمّنا ، وقد جعلتْ لنا لفيتةً من ذلك الهبيد ؛ فياخِصْباه ![١] .

قال أبو عُبَيد : النّاضِح: البعير الذى يُسْنَى عليه فيسقى به الأرض ،والأنثى ناضحة، وهى السانية أيضاً ، والجمع سوانٍ ، وقد سَنَتْ تَسْنُو ، ولا يقال : ناضحٌ لغير المستقى.

والنُّقْبة أن تُؤخذ القطعة من الثوب قدْرالسراويل فيجعل لها حُجْزة مخيطة من غير نَيْفَق[٢]، وتُشَدُّ كما تشدّ حَجْزة السراويل ، فإن كان لها نَيْفَق وساقان ، فهى سراويل .

وقال : والذى وَرَدَتْ به الرّواية « زَوّدتْنَا يُمَيْنَتَيهَا » ، والوجه فى الكلام أن يكون «يُمَيِّنَتَيهَا » بالتشديد ، لأنه تصغير « يمين » بلا هاء؛ وإنما قال : « يمينتيها» ولم يقل : يديها ولا كفيها لأنه لم يرد أنها جمعت كفّيها ثم أعطتنا بهما ، وإنما أراد أنها أعطت كلّ واحدٍ كفًّا كفًّا بيمينها ، فهاتان يمينان .

الهَبيد : حبّ الحنظل ، زعموا أنه يعالج حتّى يمكن أكله ويطيب .

---

(١) الفائق ٣ : ٢١١ . (٢) نيفق السراويل : المتسع منها .

واللَّفِيتة : ضرب من الطَّبيخ كالحُساء .

* * *

وفى حديثه : « إذا مرَّ أحدكم بحائط فليأكل منه ، ولا يتخذ ثِبانا »[١] .

قال أبو عبيد : هُو الوعاء الّذِى يحمَل فيه الشىء ؛ فإن حملتَه بين يديك فهو ثِبان ، وإن جعلتَه فى حُضْنك فهى خُبْنة .

* * *

وفى حديثه : « لو أشاء لدعوت بصِلَاء وصِنَاب وصلائق وكراكرة وأسنِمة وأفلاذ »[٢] .

قال أبو عبيد : الصِّلاء : الشّواء . والصِّناب : الخردل بالزبيب . والصَّلائق : الخبز الرقيق ، ومن رواه « سلائق » بالسين أراد ما يسلَق من البقول وغيرها . والكراكر ، كراكر الإبل . والأفلاذ : جمع فِلذ وهو القطعة من الكبد .

* * *

وفى حديثه : « لو شئتُ أن يُدَهمَق لى لفعلت »[٣] .

قال أبو عبيد : دهمقتُ الطعام ، إذا ليَّنتَه ورققته وطيَّبته .

* * *

وفى حديثه : « لئن بقيتُ لأُسَوِّيَنّ بين الناس ، حتى يأتىَ الرّاعىَ حقُّه فى صُفْنه لم يعرق جبينه »[٤] .

الصُّفْن : خريطةٌ للرّاعى فيها طعامُه وما يحتاج إليه . وروى بفتح الصّاد ، ويقال أيضا « فى صَفِينه » .

* * *

(١) الفائق ١ : ١٤٢   (٢) الفائق ٢ : ٣٤   (٣) الفائق ١ : ٤٢١   (٤) النهاية ٢ : ٢٦٨

وفى حديثه: « لئن بقيتُ إلى قابل ، ليأتينَّ كلَّ مسلمٍ حقُّه ، حتى يأتىَ الراعىَ بسَرْوِ حِمْير ، لم يعرق جبينه[1] ».

السَّرو مثل الخَيْف ، وهو ما انحدرَ عن الجبل وارتفع عن المسيل .

***

وفى حديثه : « لئِنْ عشتُ إلى قابل ، لأُلحقنَّ آخِرَ الناس بأوّلهم ، حتى يكونوا بيّانًا واحداً[2] » .

قال أبو عبيد: قال ابنُ مهدىَ : يعنى شيئاً واحداً ، ولا أحسب هذه الكلمة عربيّة ، ولم أسمعها فى غير هذا الحديث .

***

وفى حديثه : أنه خطب، فقال : « ألا إنّ الأُسَيْفِعَ[2] ـ أُسَيْفِع جُهينة[3] ـ رضىَ من دينه وأمانتِه بأن يقال : سابق الحاجّ ـ أو قال : سَبَق الحاجّ ـ فادّان مُعرِضاً فأصبح قدْ رِينَ به ؛ فمن كان له عليه دَيْنٌ فليغدُ بالغداة ، فلنقسم ماله بينهم بالحصص »[4] .

قوله : « فادّان مُعْرِضاً » أى استدان مُعرِضاً ، وهو الّذى يعترض الناس فيستدين ممّن أمكنه، وكلّ شىء أمكنك من عرضِه فهو معرِض لك ، كقوله : « وَالْبَحْرَ مُعْرِضاً والسَّدِير »[5] .

ورِين بالرّجل ، إذا وقع فيما لا يمكنه الخروج منه .

***

(١) النهاية لابن الأثير ؛ والخبر هناك : « لولا أن أترك الناس بيّاناً واحداً ما فتحت على قرية إلا قسمتها » ؛ أى أتركهم شيئاً واحداً .

(٢) قال الزمخشرى : « الأسيفع تصغير الأسفع ، صفة وعلما » .

(٣) جهينة : من بطون قضاعة . (٤) الفائق ١ : ٦٠٠ .

(٥) قطعة من بيت لعدى بن زيد ، والبيت بتمامه :

سَرَّهُ مالُهُ وَكَثْرَةُ ما يَمْـــلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّدِيرُ

وفى حديثه : أنه قال لمولاه أسلم — ورآه يحمل متاعه على بعير من إبل الصدقة — فقال : « فهلاَّ ناقة شَصُوصاً أو ابنَ لبون بوّالًا ! »[١] .

الشَّصُوص : التى قد ذهب لبنُها ، ووصف ابن اللَّبون بالبول ، وإن كانت كلُّها تبولُ ، إنما أرادَ : ليس عنده سوى البول ، أى ليس عنده ممّا ينتفع به من ظَهْرٍ ولا له ضَرْعٌ فيحلب، لا يزيد على أنه بوّال فقط .

* * *

وفى حديثه حين قيل له : إنّ النساء قد اجتمعنَ يبكين على خالد بن الوليد ، فقال : « وما على نساء بنى المغيرة أن يسْفِكن من دموعهنّ على أبى سليمان ، ما لم يكن نَقْع ولا لَقْلَقَة ! »[٢] .

قيل : النقع ها هنا طعام المأتم ، والأشبه أنّ النَّقْع رفع الصوت ، واللَّقلقة مثله .

* * *

وفى حديثه : أنّ سلْمان بن ربيعة الباهلىّ شكا إليه عاملاً من عماله ، فضربه بالدّرّة حتى أنهج[٣] .

قال أبو عبيد : أى أصابه النَّفَس والبُهْر من الإعياء .

* * *

وفى حديثه حين قَدِم عليه أحدُ بنى ثَوْر ، فقال له : هلْ مِنْ مغرّبَةِ خبرٍ ؟ فقال : نعم أخذنا رجلا من العرب ، كَفَر بعد إسلامه فقدّمناه فضرّبنا عنقه ، فقال : « فهلا أدخلتموه جَوْفَ بيتٍ فألقيتُم إليه كل يوم رغيفاً ثلاثة أيام ، لعله يتوب أو يراجع ! اللهمّ لم أشهد ولم آمر ، ولم أرض إذ بلغنى »[٤] .

---

(١) الفائق ١ : ٦٥٨ . (٢) نهاية ابن الأثير ٤ : ٦٤ ، ١٧٢ .

(٣) نهاية ابن الأثير ٤ : ١٨٥ ، وقال فى شرحه : « أى وقع عليه الربو — يعنى عمر » .

(٤) الفائق ٢ : ٢٢١ .

يقال : هل من مغرِّبةِ خبرٍ بكسر الراء ، ويروى بفتحها ، وأصله البُعْد ، ومنه شأوٌ مُغرِّب .

* * *

وفى حديثه أنه قال : آللهِ ليضربنّ أحدكم أخاه بمثل آكلة اللحم ، ثم يرى أنه لا أُقيدُه ، واللهِ[1] لأُقيدنه[2] » .

قال أبو عبيد : آكلة اللحم : عصا محدّدة .

* * *

وفى حديثه : « أعضَل بى[3] أهلُ الكوفة ، مايرضوْن بأمير ، ولايرْضاهم أمير[4] » . هو من العُضَال ، وهو الدّاء والأمر الشديد الذى لا يقوم له صاحبه[3] .

* * *

وفى حديثه : أنه خطب فذكر الربا ، فقال : « إنّ منه أبوابًا لاتخفى على أحد ، منها السَّلَمَ فى السّنّ ، وأن تباع الثمرة وهى مغضِفة ولمّا تطب ، وأن يباع الذهب بالورِق نَسَاءً[5] » .

قال أبو عبيد : السَّلَمَ فى السّنّ أن يسلف الرجل فى الرّقيق والدّواب وغيرها من الحيوان ، لأنه ليس له حدّ معلوم .

والمغضِفة : المتدلّية فى شجَرها ، وكلّ مسترخٍ أغضَف ، أى تكون غير مدرِكة .

* * *

وفى حديثه : أنه خطب ، فقال : ألا لاتغالُوا فى صَدَاق النّساء ، فإنّ الرجل يغالى بصداق امرأته ، حتى يكون ذلك لها فى قلبه عداوة ، تقول : جشِمت إليك عرَق القربة[6] .

---

(١) فى الفائق : « تقِد » بالجر ، قال : وأصله : « أبالله » ، فأضمر الباء .

(٢) الفائق ١ : ٣٨ .

(٣) وفى رواية نقلها الزمخشرى : « غلبنى أهل الكوفة » .

(٤) الفائق ٢ : ١٦٣ ، وتمام الرواية : « أستعمل عليهم المؤمن فيضعف ، وأستعمل عليهم الفاجر فيفجر » .

(٥) نهاية ابن الأثير ٣ : ١٦٤ ، والفائق ١ : ٦١٨ .

(٦) الفائق ٢ : ١٣٥ .

قال : معناه تـكلّفت لك حتى عرِقتَ عَرَقَ القربة ، وعرقُها : سَيَلان مائها .

***

وفى حديثه : أنه رفِـع إليه غلام ابتهر جارية فى شِعْره ، فقال : « انظروا إليه ، فلم يوجد أنبت ، فدرأ عنه الحدّ[1] .

قال أبو عبيد : ابتهرها ، أى قذفها بنفسه ، فقال : فعلت بها .

***

وفى حديثه : أنه قضَى فى الأرنب بحُـلّانٍ إذا قتلها المحرم[2] .

قال : الُحلّان : الجدى .

***

وفى حديثه : أنه قال : « حَجّةً هاهنا ، ثم احْدِجْ هاهنا حتى تَفْنى »[3] .

قال : يأمر بحجة الإسلام لا غير ، ثم بعدها الغزو فى سبيل الله .

حتى تفنى أى حتّى تهرم .

***

وفى حديثه : أنه سافر فى عَقِب رمضـان ، وقال : « إنّ الشهر قد تـسَـعْسَعَ ، فلو صمنا بقيته »[4] .

قال أبو عبيد : السين مكرّرة مهملة ، والعين مهملة ، أى أدبر وفَنِى .

وفى حديثه ـ وقد سمع رجلا خطب فأكثر ـ فقال : « إنّ كثيراً من الخطب من شَقاشِق الشيطان »[5] .

الواحدة شِقْشِقة ، وهو مايخرج من شِدْقِ الفحل عندرُغائه، شبيهةبالرئة . والشيطان

(١) النهاية ١ : ١٠٠ .
(٢) الفائق ١ : ٢٨٦ .
(٣) النهاية ١ : ٢٠٨ .
(٤) الفائق ٢ : ١٧٥ .
(٥) الفائق ١ : ٦٧١ .

لا شقشقة له ، إنما هذا مثل لما يدخل فى الخطب من الكلام المكذوب وتزوير الباطل.

* * *

وفى حديثه : أنه قدم مكة ، فأذّن أبو محذورة ، فرفع صوته فقال له : « أما خشيت يا أبا محذورة أن ينشقّ مُرَيْطاؤك[1] ! » .

قال : المُرَيطاء : مابين السرّة إلى العانة ، ويروى بالقصر .

* * *

وفى حديثه : أنه سئل عن المذى ، فقال هو الفَطْر ، وفيه الوضوء[2] .

قال : سماه فَطرا[3] من قولهم : فَطرت الناقة فَطْرا ، إذا حلبتها بأطراف الأصابع فلا يخرج اللبن إلا قليلا ، وكذلك المَذْى ، وليس المَنِىّ كذلك ، لأنه يخرج منه مقدار كثير .

* * *

وفى حديثه : أنه سئل عن حدّ الأمة الزانية ، فقال : « إنّ الأمة ألقت فَرْوة رأسها من وراء الدّار[4] » .

قال : الفَرْوة : جلدة الرأس ، وهذا مثل ، إنما أراد أنها ألقت القناع وتركت الحجاب ، وخرجت إلى حيث لا يمكنها أن تمتنع من الفجور ، نحو رعاية الغنم ؛ فكأنه يرى أن لا حدّ عليها .

* * *

وفى حديثه ، أنه أُتِىَ بشارب ، فقال لأبعثنّك إلى رجل لا تأخذه فيك هَوادة ، فبعث به إلى مطيع بن الأسْوَد العَدَوِى[5] ، فقال : إذا أصبحتَ غداً فاضربه الحدّ ، فجاء عمر

---

(١) الفائق ٣ : ٢٠ (٢) الفائق ٢ : ٢٨٦.

(٣) قال الزمخشرى : وروى « الفطر » بالضم (٤) الفائق ٢ : ٢٦٥.

(٥) الفائق : « العبدى » .

وهو يضربه ضرباً شديدا ، فقال : قتلتَ الرجل ! كم ضربته ؟ قال : ستين ، قال : « أقِصّ عنه بعشرين [١] » .

قال : معناه اجعل شِدّة هـذا الضرب قِصاصاً بالعشرين التى بقيَت من الحـدّ فلا تضربه إياها .

* * *

وفى حديثه أنّ رجلا أتاه فذكر له أنّ شهادة الزور قد كثُرت فى أرضهم ، فقال : « لا يؤسَرُ أحدٌ فى الإسلام بشهادة [٢] الزور ، فإنّا لانقبل إلاّ العدول » [٣] .

قال : لا يؤسَرُ : لايحبس ، ومنه الأسير : المسجون .

* * *

وفى حديثه : أنه جَدَبَ السّمر بعدَ عَتمة [٤] .

جَدَبه [٥] ، أى عابه ووَصمه .

ومثل هذا الحديث فى كراهيته السّمر حديثـه الآخر ؛ أنّه كان ينُشّ الناس بعـد العشاء بالدِّرّة ، ويقول : انصرفو إلى بيوتـكم [٦] .

قال : هكذا روى بالشين المعجمة ، وقيل : إنّ الصحيح « ينُسّ » بالسين المهملة ، والأظهر أنه ينُوش النّاس بالواو ، من التّناوش ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ﴾ [٧] .

* * *

وفى حديثه : « هاجروا ولا تَهَجَّروا ، واتقوا الأرنب أن يحذِفها أحدُكم بالعصا ، ولـكن ليذكَ لـكُم الأسلُ ؛ الرماحُ والنَّبْل » [٨] .

---

(١) الفائق ٣ : ٢٢٩

(٢) الفائق : « لشهداء السوء » .

(٣) الفائق ١ : ٣١

(٤) الفائق : « العتمة » .

(٥) الفائق ١ : ١٦٤

(٦) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٤٥ .

(٧) سورة سبأ ٥٢

(٨) الفائق ٢ : ٤٤٥ .

قال : رواه زِرّ بن حُبيش ، قال : قدمت المدينة ، فخرجت في يوم عيد ، فإذا رجل متلبِّب أعسرُ أيْسَر ، يمشي مع النّاس كأنه راكب ، وهو يقول : كذا وكذا ، فإذا هو عمر ، يقول : هاجِروا وأخلصوا الهِجْرة ولا تَهَجَّرُوا .

ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم ، كقولك : تحلَّم الرجل ، وليس بحليم ، وتشجّع وليس بشجاع .

والذَّكاة : الذبح . والأسَلُ أعمّ من الرماح ، وأكثر مايستعمل في الرّماح خاصّة .

والمتلبِّب : المتحزّم بثيابه .

وفلان أعسر يَسَر : يعمل بكلتا يديه ، والذى جاء في الرواية « أيسر » بالهمزة .

***

وفي حديثه : أنّه أفطر في رمضان ، وهو يرى أن الشمس قد غربت ، ثم نظر فإذا الشمس طالعة ، فقال : « لانقضيه ؛ ماتجانفنا فيه الإثم »[١] .

يقول : لم نتعمّد فيه الإثم ، ولا مِلْنا إليه ، والجَنَف : الميل .

***

وفي حديثه : أنّه قال لما مات عثمان بن مَظْعون على فراشه : « هَبَتَه الموتُ عندي منزلة حين[٢] لم يمت شهيدا ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراشه وأبو بكر ، علمت أنّ موت الأخيار على فُرُشهم[٣] .

هَبَتَه ، أي طأطأه وحطّ من قدره .

***

وفي حديثه : أنّ رجلاً من الجنّ لقيَه ، فقال : هل لك أن تصارِعَني ، فإن صرعتني

---

(١) الفائق ١ : ٢١٨ (٢) اللسان : « حيث لم يمت شهيدا » .
(٣) الفائق : ٣ : ١٨٩ .

علّمتك آيةً إذا قرأتَها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان . فصارعه فصرعه عمر، وقال له : إنّى أراك ضئيلا شَخِيتاً ، كأنّ ذراعيك ذراعا كلب ، أفهكذا أنتم كلُّكم أيها الجنّ، أم أنت من بينهم ؟ فقال: إنّى من بينهم لضَلِيع ، فعاوِدْنى ، فصارعه فصرعه الإنسىّ، فقال: أتقرأ آية الكرسىّ ؟ فإنّه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلّا خرج الشيطان منه، وله خَبَجٌ كخَبَجِ الحمار [1] .

قال : رواه عبدُ الله بن مسعود ، وقال : خرج رجلٌ من الإنس ، فلقيه رجلٌ من الجنّ . . . ثم ذكر الحديث ، فقيل له : هو عمر ، فقال : ومَنْ عسى أن يكون إلا عُمَر!

الشَّخِيت : النحيف الجسم ، ومثله الشَّخْت .

والضَّلِيع : العظيم [2] الخلْق .

والخَبَج : الضّراط .

***

وفى حديثه : أنّه كان يطوف بالبيت ، وهو يقول: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [3] ؛ ماله هِجِّيرَى غيرها [4] .

قال : هِجّيرَى الرجل : دأبُه ودَيْدَنه وشأنه [5] .

ومثلها من قول عمر : لو أطيقُ الأذانَ مع الخِلِّيفَى لأذنت .

ومثلها من قول عمر بن عبد العزيز : لا رِدِّيدَى فى الصدقة [6] ، أى لا تردّ .

ومثلها قول العرب : كانت بينهم رِمِّيا، أى مراماة ، ثم حجزت بينهم حِجّيزى، أى محاجزة .

***

(١) الفائق ٢ : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) فى الفائق : « والضليع : الجفر الجنبين الوافر الأضلاع » ، وقد ضلع ضلاعة .

(٣) سورة البقرة ٢٠١ .

(٤) الفائق ٣ : ١٩٥

(٥) ٣ : ١٩٤ .

(٦) الفائق ١ : ٤٧٥ .

وفى حديثه حين قال للرجل الذى وُجِد منبوذاً فأتاه به ، فقال : عسى الغوير أبؤسا[١] ! قال عريفه : ياأمير المؤمنين، إنّه وإنه...[٢] فأثنى عليه خيرا ، وقال:فهو حُرٌّ ، ولاؤه لك[٣] .

الأبؤس: جمع بأس[٤] والمثل قديم مشهور ، ومراد عمر : لعلك أنت صاحب هذا المنبوذ ! كأنّه اتّهمه وساء ظنّه فيه،فلمّا أثنى عليه عَرِيفه ـ أى كفيله ـ قال له : هذا المنبوذ حُرٌّ وولاؤه لك ، لأنّه بإنقاذه إيّاه من الهلكة كأنه أعتقه .

***

وفى حديثه : إنّ قريشا تريد أن تكونَ مُغْوِياتٍ لمال الله[٥] .

هكذا يروى بالتخفيف والكسر، والمعروف «مغويّاتٌ» بتشديد الياء وفتحها، واحدتها مُغَوّاة ، وهى حُفرة كالزُّبية تحفر للذئب ، ويجعل فيها جَدْىٌ ؛ فإذا نظر إليها الذئب سقط يريده فيُصاد ، ولهذا قيل : لكلّ مَهْلَكة مُغَوّاة .

***

وفى حديثه : « فرّقوا عن المنيّة ، واجعلوا الرأس رأسين ، ولا تُلِثّوا بدار مَعْجَزة، وأصلحوا مثاوِيَكم ، وأخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم ، واخشوشنوا ، واخشوشبوا وتمعددوا[٦] » .

---

(١) الفائق : « الغوير : ماء لكلب ؛ وهذا مثل ، أول من تكلم به الزباء الملكة حين رأت الإبل عليها الصناديق ، فاستنكرت شأن قصير إذ أخذ على غير الطريق ؛ أرادت : عسى أن يأتى ذلك الطريق بشر ، ومراد عمر رضى الله عنه اتهام الرجل بأن يكون صاحب المنبوذ ، حتى أثنى عليه عريفه خيراً » .

(٢) قال فى الفائق : « إنه إنه ؛ أراد أنه أمين وعفيف ؛ وما أشبه ذلك فحذف .

(٣) الفائق ٢ : ٢٣٩

(٤) الفائق : « وانتصابه بعسى على أنه خبره على ما عليه أصل القياس » .

(٥) الفائق ٢ : ٢٤٠

(٦) الفائق ٢ : ٢٦٥ .

قال: «فرّقوا عن المنيّة، واجعلوا الرأس رأسين»، أى إذا أراد أحدكم أن يشترىَ شيئا من الحيوان كمملوك أو دابّة فلا يغالينّ به، فإنّه لايدرى مايحدث فيه، ولكن ليجعل ثمنه فى رأسين، وإن كان كلٌّ واحد منهما دون الأول، فإن مات أحدهما بقى الآخر.

وقوله: «ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزة»، فالإلثاث الإقامة، أى لاتقيموا ببلد يعجزكم فيه الرّزق، ولكن اضطرِبُوا فى البلاد للكَسْب.

وهذا شبيه بحديثه الآخر: «إذا اتّجر أحدُكم فى شىء ثلاث مرّات فلم يرزَق منه فليَدَعْه».

والمثاوِى: المنازل، جمع مَثْوَى.

وأخيفوا الهوامّ، أى اقتلوا مايظهر فى دورِكم من الحيّات والعقارب لتخافكم، فلا تظهر.

واخشوشنوا: أمر بالخشونة فى العَيْش، ومثله «اخشوشبوا» بالباء؛ أراد ابتِذَال النّفس فى العمل والاحتفاء فى المشى ليغلظ الجلد، ويجسو.

وتمعددوا، قيل إنه من الغِلَظ أيضا، يقال للغلام إذا أنبت وغلُظ: قد تمعدد.

وقيل: أراد تشبّهوا بمعدّ بن عدنان، وكانوا أهل تقشّف وغِلَظٍ فى المعاش، أى دعوا التنعُّم وزىّ العجم.

وقد جاء عنه فى حديث آخر مثله: «عليكم باللُّبسة المعدّيّة».

* * *

وفى حديثه: أنّه كتب إلى خالد بن الوليد: «إنّه بلغنى أنّك دخلت حمّاما بالشام، وأنّ مَنْ بها من الأعاجم أعدُّوا لكم دَلُوكا عُجِن بخمر، وإنّى أظنّكم آل المغيرة ذَرْوُ النار»[1].

---

(١) الفائق ١ : ٢٠٤.

الدَّلُوك : مايتدلّك به كالسُّحُور والفَطُور ونحوهما .

وذَرْو النار : خلق النار . ويروى : « ذرء النار » بالهمزة ، من ذرأ الله الناس ، أى صوَّرَهم وأوْجَدهم .

* * *

وفى حديثه : « املـكوا العجين ؛ فإنّه أحد الرَّيْعين »[1] .

ملـكت العَجين : أجدت عَجْنه .

والرَّيع : الزيادة ، والريع الثانى مايزيدُ عند خَبْزه فى التَّنُّور .

* * *

وفى حديثه حين طُعِن ، فدخل عليه ابن عباس فرآه مغتمًّا بمن يستخلف بعده ، فذكر عثمان فقال : كَلِفٌ بأقاربه[2] ، قال : فعلىّ ؟ قال : فيه دُعَابة ، قال : فطلحة ؟ قال : لولا بَأْوٌ فيه[3] ، قال : فالزبير ؟ قال : وَعْقَة لَقِس[4] . قال : فعبد الرحمن ؟ قال : أوّه ! ذكرت رجلا صالحاً ولـكنه ضعيف ، وهـذا الأمر لايصلح له إلّا اللّين من غير ضَعْف ، والقوىّ من غير عنف[5] ، قال : فسعْد[6] ؟ قال : ذاك يكون فى مِقْنَب من مقانبكم[7] .

قوله : « كَلِف بأقاربه » أى شديد الحبّ لهم .

والدّعابة : المزاح .

---

(١) الفائق ١ : ٥١٨ .

(٢) الفائق : « وروى أخشى حفده وأثرته » .

(٣) الفائق : وروى أنه قال : « الأكنع لما إن فيه بأوا أو نخوة » .

(٤) الفائق : « وروى ضرس ضبيس أو قال : ضميس » .

(٥) الفائق : وروى لا يصلح أن يلى هذا الأمر إلا حصيف العقـدة ، قليـل الغرة ، الشديد فى غير عنف ، اللين فى غير ضعف ، الجواد فى غير سرف ، البخيل فى غير وكف » .

(٦) ابن أبى وقاص .

(٧) الفائق ٤ : ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

والبأو : الكِبْر والعظمة .

وقوله : « وعُقة لِقِس » ويروى « ضبِيس » ، ومعناه كلّه الشراسة : وشدّ الخلق وخُبث النفس .

والمِقْنب : جماعة من الفرسان .

***

وفى حديثه : أنه قال عامَ الرمادة : لقد هممتُ أن أجعلَ مع كلّ أهل بيت من المسلمين مثلَهم ، فإنّ الإنسان لا يهلك على نِصْف شِبَعه ، فقال له رجل : لو فعلتَ ياأمير المؤمنين ما كنتَ فيها ابن ثأداء .

قال : يريد أنّ الإنسان إذا اقتصر على نصفِ شبعه ، لم يهلِكْ جوعا . وابن ثأداء[1] بفتح الهمزة : ابن الأمَة[2] .

***

وفى حديثه : أنه قرأ فى صلاة الفجر بالناس سورة يوسف ، فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] ، بكى حتى سُمع نشيجُه[4] .

النّشيج : صوت البكاء ، يردّده الصبى فى صَدْره ولا يخرجه .

***

وفى حديثه أنه أُتى فى نِساء ـ أو إماء ـ ساعياتٍ[5] فى الجاهليّة ، فأمر بأولادهن أن يقوّموا على آبائهم ، فلا يُستَرَقُّوا[6] .

---

(١) فى الفائق بسكون الهمزة ، وقال : الثأداة : الأمة ؛ سميت بذلك لفسادها لوما ومهانة ، من قولهم ثئد المبرك على البعير ، إذا ابتل وفسد حتى لم يستقر عليه .

(٢) الفائق ١ : ١٤١ ، وفيه رواية أخرى : « إن رجلا قال له عام الرمادة : لقد انكشفت وما كنت فيها ابن ثأداء ، فقال : ذلك لو أنفقت عليهم من مال الخطاب » .

(٣) سورة يوسف : ٨٦

(٤) النهاية لابن الأثير ٤ : ١٤٣ .

(٥) الفائق : « ساعيين » .

(٦) الفائق ١ : ٥٩٥ .

المساعاة : زنا الإماء خاصّة[١] . فقضى عمر فى أولادهنّ فى الجاهليّة أن يقوَّمن على آبائهم ، بدفع الآباء قيمتهم إلى سادات الإماء ، ويصير الأولاد أحراراً لاحق النسب بآبائهم .

* * *

وفى حديثه : «ليس على عربىّ مِلْك ، ولسنا بنازعين من يد رجلٍ شيئا أسلمَ عليهم، ولكنا نقوّمهم المِلّة خَمْساً من الإبل »[٢] .

قال : كانت العرب تَسبي بعضُها بعضاً فى الجاهلية ، فيأتى الإسلام والمسبىّ فى يدِ الإنسان كالمملوك له ؛ فقضى عمر فى مثل هذا أن يردّ حُرّاً إلى نسبه ، وتكون قيمته على نفسه يؤدّيها إلى الذى سباه ، لأنه أسلم وهو فى يده ، وقيمته كائناً ما كان خمسٌ من الإبل[٣] .

قوله : « والمِلّة » أى تقوم ملّة الإنسان وشرعها .

* * *

وفى حديثه لمّا ادّعى الأشعث بن قيس رقابَ أهلِ نجران ، لأنه كان سباهم فى الجاهليّة واستعبدهم تغلّبا فصاروا كمماليكه ، فلما أسلموا أبوْا عليه، فخاصموه عند عمر فى رقابهم، فقالوا: ياأميرَ المؤمنين ، إنّما كنّا له عبيدَ مملكة ، ولم نكن عبيد قِنّ . فتغيّظ عمر عليه ، وقال: « أردت أن تَتَغفَّلني ! »[٤] .

يعنى أردت غَفْلتى .

(١) الفائق : « ساعاها فلان ، إذا فجر بها ، وهو من السعى ، كأن كل واحد منهما يسعى لصاحبه » .

(٢) النهاية : ٤ : ١٩ .

(٣) فى النهاية عن الأزهرى : « كان أهل الجاهلية يطئون الإماء ويلدن لهم ، فكانوا ينسبون إلى آبائهم ، وهم عرب ، فرأى عمر أن يردهم على آبائهم ، فيعتقون ، ويأخذ من آبائهم لمواليهم عن كل واحد خمساً من الإبل » .

(٤) الفائق ٢ : ٢٨٠ ، وقال : « وروى أن تعنتني » ، والتعنت طلب العنت .

وعبدٌ قِنّ مُلِكَ ومُلِكَ أبواه ، وعبد مملَكة بفتح اللام وضمها : من غُلِب عليه واستعبِد ، وكان فى الأصل حُرًّا ، فقضى عمر فيهم أن صيَّرهم أحراراً بلا عِوَض ، لأنه ليس بسِباء على [1] الحقيقة .

***

وفى حديثه : أنه قضى فى ولد المغرور بغُرّة [2] .

قال : هو الرجل يزوّج رجلا آخر مملوكةً لإنسان آخر على أنَّها حُرّة ، فقضى عمر أن يغرّم الزوج لمولى الأمَة غُرّة ، أى عبدا أو أمة ، ويكون ولده حُرًّا ، ثم يرجع الرجل الزوج على مَنْ غرّه بما غرِم .

***

وفى حديثه : أنه رأى جارية متكَمْكِمة ، فسأل عنها فقالوا : أمَة آل فلان ، فضربَها بالدِّرّة ضربات ، وقال : يالكعاء ! أتشبَّهين بالحرائر [3] !

قال : متكَمْكِمة : لابسة قِناع ، أصله من الكُمّة ، وهى كالقلنسوة ، والأصل مكمَّمة ، فأعاد الكاف ، كما قالوا : كفكف فلان عن كذا ، وتصرصر الباب .

ولكعاء ولَكاعِ بالكسر والبناء : شتْم للأمَة ، وللرجل يقال : يالُكَع .

***

وفى حديثه : « وَرِّع اللّص ولا تُراعه » [4] .

يقول : ادفعه إذا رأيته فى منزلك واكْفُفْه بما استطعت ، ولا تنتظر فيه شيئا ، وكلُّ

---

(١) ا : « فى الحقيقة » .
(٢) النهاية لابن الأثير ٣ : ١٥٦
(٣) الفائق ٢ : ٤٢٩
(٤) نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٠٥

شيء كفَفْتَه فقد ورّعته ، وكلُّ ماتنتظره فأنت تراعيه ؛ والمعنى أنه رخّص فى الإقدام على اللصّ بالسلاح ، ونهى أن يمسك عنه نائما .

* * *

وفى حديثه : أنّ رجلا أتاه ، فقال : إنّ ابنَ عمّى شُجّ مُوضِحة ، فقال : أمن أهل القُرى أم من أهل البادية ؟ قال : من أهل البادية ، فقال عمر : إنالا نتعاقل المُضَّغ بيننا[1] .

قال : سمّاها مُضَغًا ، استصغاراً لها ولأمثالها كالسنّ والإصبع .

قال: ومثل ذلك لاتحمله العاقلة عند كثير من الفقهاء ، وكذلك كلّ ما كان دون الثُّلث .

* * *

وفى حديثه : أنه لّما حَصّب المسجد ، قال له فلان : لِمَ فعلت ؟ قال: هو أغفر للنُّخامة ، وألينُ فى الموطىء[2] .

أغفر لها : أستَرُ لها .

وحَصّب المسجد: فَرَشه بالحصْباء ؛ وهى رمل فيه حصًى صغار .

* * *

وفى حديثه : أنّ الحارث بن أوْس سأله عن المرأة تطوف بالبيت ، ثم تنفِر من غير أن تطوفَ طوَافَ الصَّدَر إذا كانت حائضا ، فنهاه عمر عن ذلك ، فقال الحارث : كذلك أفتانى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال عمر : أرِبْتَ بداك ! أتسألنى ؛ وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كى أخالفَه[3] !

قال : دعا عليه بقطع اليدين ؛ من قولك : قطعت الشاة إرْبا إرْبا[4] .

* * *

(١) الفائق ٣ : ١٦٨ ، ومضغ الأمور ـ كصُرد ـ صغارها.
(٢) الفائق ٢ : ٢٦٥ .
(٣) الفائق ١ : ٢٣ .
(٤) الإرب : العضو .

وفى حديثه أنّه سمع رجلا يتعوَّذ من الفِتَن ، فقال عمر : اللهمّ إنّى أعوذ بك من الضَّفَاطة ، أتسأل ربّك ألّا يرزقك مالا وولدا[1] !

قال : أراد قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2] . والضَّفَاطة : الحمق وضَعْف العقل ، رجل ضَفِيط ، أى أحمق .

* * *

وفى حديثه : « مابالُ رجالٍ لايزال أحدُهم كاسراً وسادة عند امرأة مُغْزِية ، يتحدّث إليها وتتحدّث إليه ! عليكم بالجَنَبة فإنّها عَفَاف ، إنّما النساء لَحمٌ على وَضَم إلا ماذُبّ عنه[3] » .

قال : مُغْزِية ، قد غزا زوجها ، فهو غائب عنها ، أغزَت المرأة ، إذا كان بعلها غازيا ، وكذلك أغابَتْ فهى مُغيبة .

وعليكم بالجَنَبة ، أى الناحية ، يقول : تنحَّوْا عنهنّ وكلّموهن من خارج المنزِل .

والوضَم : الخشبة أو البارِيّة يُجعل عليها اللحم .

قال : وهذا مثل حديثه الآخر : « ألاَ لايدخلنّ رجلٌ على امرأة وإن قيل حَمُوها ، ألاَ حَمُوها الموت »[4] .

قال : دعا عليها . فإذا كان هذا رأيه فى أبى الزوج وهو مَحْرَمٌ لها فكيف بالغريب !

* * *

وفى حديثه : « إنّ بيعة أبى بكر كانت فَلْتة وَقَى الله شرّها ، فلابيعة إلّا عن مشورة ؛ وأيُّما رجل بايع رجلا عن غير مشورة فلا يؤمَّر واحدٌ منهما تَغِرّة أن يُقتلا[5] » .

قال : التغرّة : التغرير ، غرّرت بالقوم تَغْرِيرا وتغرّة ، كقولك : حلّلت اليمين تحليلاً

---

(١) النهاية ٣ : ٢٢

(٢) سورة التغابن : ١٥ .

(٣) الفائق ٢ : ٤١١

(٤) الفائق ١ : ٦٩٥

(٥) الفائق ٢ : ٢٩٧ .

وتحِلّة ، ومثله فى المضاعف كثير ، أى أنّ فى ذلك تغريرا بأنفسهما وتعريضا لهما أن يُقتلا .

* * *

وفى حديثه : « إنّ العبد إذا تواضع لله رفع اللهُ حكَمَتَه ، وقال : انتعش نَعَشك الله ، وإذا تكبّر وعَدا طورَه وَهَصه الله إلى الأرض »[1] .

قال : وهَصه أى كسره . وعدَا طورَه ، أى قدْره .

* * *

وفى حديثه : « حجّوا بالذّرّية ، لاتأكلوا أرزاقَها ، وتَذَروا أرْباقها فى أعناقها »[2] .

قال : أراد بالذُّرِّيّة هنا النساء ولم يرد الصبيان ، لأنه لاحجّ عليهم .

والأرباق : جمع رِبْق ، وهو الحبل .

* * *

وفى حديثه : أنّه وقف بين الحرّتين ــ وهما داران لفلان ــ فقال: « شوّى[3] أخُوك ، حتى إذا أنضج رَمّد »[4] .

هذا مثل يضرَب للرجل يصنع معروفا ثم يفسده .

* * *

وفى حديثه : « السائبة والصّدقة ليومهما »[5] .

قال : السّائبة : المعتَق .

---

(١) الفائق ١ : ٢٧٩ ، وقال : « الحكَمة من الإنسان : أسفل وجهه ، ورفع الحكَمة ، كناية عن الإعزاز ، لأن من صفة الذليل أن ينكس ويضرب بذقنه وصدره . وقيل : الحكَمة : القدر والمنزلة من قولهم : لا يقدر على هذا من هو أعظم حكَمة منك » .

(٢) الفائق ١ : ٤٢٨ .

(٣) فى الأصول : « نوى » ، وما أثبته من الفائق ، وشوى ، أى ألقى الشواء فى النار ، قال الزمخشرى : « وهذا مثل ، نحوه قولهم : « المنّة تهدم الصنيعة » .

(٤) رمد : ألقاه فى الرماد ، والخبر فى الفائق ١ : ٥٠٧ . (٥) الفائق ١ : ٦٣٠ .

وليومهما : ليوم القيامة الذى فعل مافعله لأجله .

***

وفى حديثه : « لاتشتروا رقيقَ أهلِ الذمّة ، فإنّهم أهل خراج يؤدّى بعضهم عن بعض : وأرضَهم فلا تتنازعوها ، ولا يقرّنّ أحدكم بالصَّغار بعد إذ نجّاه الله » .

قال : كره أن يشترىَ أرضَهم المسلمون وعليها خراج ، فيصير الخراج منتقلا إلى المسلم ، وإنّما منع من شراء رقيقهم ، لأنّ جزيتهم تكثر على حسب كثرة رقيقهم ، فإذا ابتيع رقيقُهم قلّت جزيتهم ، وإذا أقلّت جزيتهم يقلّ بيت المال .

***

وفى حديثه فى قنوت الفجر : « وإليك نسعى ونحفِد ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، إنّ عذابك بالكفار ملحِق »(١) .

قال : حَفَد العبد مولاه يحفِد أى خدم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾(٢) أى خدماً .

وملحِق : اسم فاعل بمعنى لاحق من ألحق ، وهو لغة فى لحِق ، يقال : لحقت زيداً ، وألحقته بمعنى .

***

وفى حديثه : « لاتشتروا الذّهب بالفضّة إلّا يداً بيد ، هاء وهاء ، إنّى أخاف عليكم الرَّماء »(٣) .

قال : الرَّماء : الزيادة وهو بمعنى الرّبا ، يقال : أرميتُ على الخمسين ، أى زدت عليها .

***

---

(١) النهاية ١ : ٢٣٩ . (٢) سورة النحل ٧٢ .

(٣) النهاية ٢ : ١٠٧ هاء وهاء : صوت بمعنى خذ .

وفى حديثه : مَنْ لَبّدَ أو عقص أو ضَفّر ، فعليه الحلق »[١] .

قال : التلبيد أن تجعل فى رأسك شيئاً من صَمْغ أو عَسَل يمنع من أن يقمل .

والعَقْص والضّفْر : فَتْل الشعر ونَسْجُه .

* * *

وفى حديثه : « ماتصعّدتْنِي خِطْبة[٢] كما تصعّدتْنِي خِطْبة النـكاح »[٣] .

قال : معناه ماشقّ علىّ ، وأصلُه من الصّعود ، وهى العقبة المنـكرة ، قال تعـالى : ﴿ سأُرْهِقُهُ صَعُوداً ﴾[٤] .

* * *

وفى حديثه أنه قال لمالك بن أوس : « يامالك ، إنّه قد دفّت علينا من قومك دافّة ، وقد أمرنا لهم برضخ فاقسمه فيهم »[٥] .

قال : الدافّة : جماعة تسير سيراً ليس بالشديد .

* * *

وفى حديثه : أنه سأل جيشاً ، فقال : « هل ثبت لـكم العدوّ قدرَ حلب شاة بكيئة[٦] ؟ »

قال : البَـكيئة : القليلة اللّبن .

* * *

وفى حديثه أنه قال فى مُتْعة الحجّ : « قد علمت أن رسول الله صلى الله عليـه وسلّم فعلها وأصحابه ، ولـكن كرهت أن يظلّوا بهنّ مُعرِسين تحت الأراك ، ثم يلبُّون بالحجّ تقطر رءوسهم »[٧] .

---

(١) الفائق ٢ : ٤٤٦ .

(٢) الفائق : « شىء » ، وفى اللسان : « ما تـكاءدنى شىء ما تـكاءدتنى خطبة النكاح » .

(٣) الفائق ٢ : ٢٤

(٤) سورة المدثر ١٧ .

(٥) الفائق ١ : ٤٠٢

(٦) نهاية ابن الأثير ١ : ٩٠ .

(٧) الفائق ٢ : ١٣٦ .

قال : المعرّس : الذى يَغشى امرأته . قال : كره أن يحلّ الرجل من عُمرته ، ثم يأتى النّساء ، ثم يهلّ بالحج .

***

وفى حديثه : « نعم المرء صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه » .

قال : المعنى أنّه لا يتركُ المعصية خوفَ العقاب ، بل يتركها لقبحها، فلو كان لا يخاف عقوبة الله لترك المعصية .

***

وفى حديثه : أنّه أُتِىَ بسكران فى شهر رمضان، فقال : للمنخرَين للمنخرين، أصبياننا صيام وأنت مفطر ! .

قال : معناه الدعاء عليه ، كقولك : كبّه الله للمنخرَين ! وكقولهم : لليدين والفم !

***

وفى حديثه أنه قال لما توفّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، قام أبو بكر فتلا هذه الآية فى خطبته : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[1] . قال عمر : فعقِرْتُ حتى وقَعْتُ إلى الأرض[2] .

قال : يقال للرجل : إذا بُهِتَ وبقىَ متحيّرا دهشا : قد عقر ، ومثله بعِل وخرِق .

***

وفى حديثه أنّه كتَب إلى أبى عبيدة وهو بالشام حين وقع بها الطاعون : « إنّ الأردنّ أرض غَمِقة ، وإنّ الجابية أرض نزِهة ، فأظهِرْ بمن معك من المسلمين إلى الجابية »[3] .

---

(١) سورة الزمر ٣٠

(٢) النهاية ٣ : ١١٤

(٣) الفائق ٢ : ٢٣٦ .

قال : الغَمِقة : الكثيرة الأنداء والوباء ، والنَّزِهة : البعيدة من ذلك .

* * *

وفى حديثه : أنه قال لبعضهم فى كلام كلّمه به : « بل تَحُوسُك فتنة »[١] .

قال : معناه تخالطك وتحثُّك على ركوبها . قال : وتحُوس مثل : تجوس،بالجيم ؛ قال تعالى : ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾[٢] .

* * *

وفى حديثه حين ذكر الجراد ، فقال : « وددت أن عندنا منه قَفْعة أو قَفْعَتَين »[٣] .

قال : القفعة : شيء شبيه بالزّنبيل ، ليس بالكبير،يعمل من خُوصٍ ليس له عُرًى ؛ وهو الذى يسمّى القُفّة .

* * *

وفى حديثه:أن أذينة العبدى أتاه يسأله ، فقال:إنّى حَجَجْت من رأس هزا وخارِك ، أو بعض هذه المزالف ، فن أين أعتمر ؟ فقال : ائت عليا ، فاسأله ، فسألته ، فقال : من حيث ابتدأت[٤] .

قال : رأس هزا وخارِك موضعان من ساحل فارس ، والمزالف : كلّ قرية تكون بين البرّ وبلاد الريف ، وهى المزارع أيضا ، كالأنبار وعين التمر والحيرة .

* * *

وفى حديثه : أنّه نَهى عن المكايلة[٥] .

قال : معناه مكافأة الفعل القبيح بمثله !

* * *

---

(١) النهاية ١ : ١٧٠ .
(٢) سورة الإسراء ٥ .
(٣) النهاية لابن الأثير ١ : ٢٦٨ .
(٤) الفائق ١ : ٤٤٣ .
(٥) النهاية لابن الأثير ٤ : ٤٢ .

وفى حديثه : « ليس الفقير الذى لامال له ، إنما الفقير الأخلق الكسب »[١] .

قال : أراد الرجل الذى لا يُرزأ فى ماله ، ولا يصاب بالمصائب ، وأصله أن يقال للجبل المصمت الذى لا يؤثر فيه شىء : أخلق . وصخرة خلقاء ، إذا كانت كذلك ، فأراد عمر أنّ الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، لمن لم يقدّم من ماله لنفسه شيئاً يثاب عليه هناك . وهذا نحو قول النبى صلى الله عليه وآله : « ليس الرّقوب[٢] الذى لايبقى له ولد ، إنما الرّقوب الذى لم يقدم من ولده أحداً » .

فهذا مالخصته من غريب كلام عمر من كتاب أبى عبيد .

* * *

فأمّا ما ذكره ابن قتيبة من غريب حديثه فى كتابه ، فأنا ألخّص منه ما أنا ذاكره .

قال ابنُ قُتيبة : فمن غريب حديث عمر أنه خطب ، فقال : إنّ أخوف ما أخاف عليكم أن يؤخذ الرّجل المسلم البرىء عند الله فيدسر كما يدسر الجزور ، ويشاط لحمه كما يُشاط لحم الجزور ، يقال : عاصٍ وليس بعاص . فقال علىٌّ عليه السلام : فكيف ذاك ولمّا تشتدّ البليّة ، وتظهر الحميّة ، وتسبى الذرّية ، وتدقّهم الفتن دقّ الرحى بثفالها[٣] !

قال ابن قتيبة : يُدْسَر أى يُدْفع ، ومنه حديث ابن عباس : ليس فى العنبر زكاة ، إنما هو شىء يدسُره البحر[٤] .

ويُشاط لحمه ، أى يقطع ويُبَضّع ، والأصل فى الإشاطة الإحراق ، فاستعير ، وفى الحديث : « إنّ زيد بن حارثة قاتل يوم مُؤتة حتى شاط فى رماح القوم » .

والثّفَال : جلدة تبسط تحت الرّحى فيقع عليها الدقيق .

* * *

---

(١) الفائق ١ : ٣٦٦ . (٢) نهاية ابن الأثير ٢ : ٩٥ .

(٣) الفائق ١ : ٣٩٧ . (٤) الفائق ١ : ٣٩٧ وفيه : « سره البحر » .

وفى حديث عمر : « القَسامة[1] تُوجِب العَقْل ، ولا تُشِيط الدم »[2].

قال ابن قتيبة : العَقْل : الدية ، يقول: إذا حلفتْ فإنما تجب الدِّية لا القَوَد ، وقد روى عن ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز أنّهما أقادا بالقَسامة .

***

وفى حديثه : « لا تفطروا حتى تروا الليل يغسق على الظِّراب »[3].

قال : يغسِق ، أى يظلم .

والظِّراب : جمع ظَرِب ، وهو ما كان دون الجبل ، وإنما خَصّ الظِّراب بالذِّكر لقصرها ، أراد أنّ ظلمة الليل تقربُ من الأرض .

***

وفى حديثه : أنّ رجلا كُسِرَ منه عظم فأتى عمر يطلب القَوَد ، فأبى أن يقتصّ له ، فقال الرجل : فكاسِرُ عظمى إذن كالأرقم ، إن يقتل يَنْقَم ، وإن يترك يَلْقَم ، فقال عمر : « هو كالأرقم »[4].

قال : كانت الجاهلية تزعم أنّ الجن يتصوّر بعضهم فى صُورة الحيّات ، وأنّ من قتل حيّة منها طلبت الحيّة بالثأر ، فربّما مات أو أصابه خبَل ، فهذا معنى قوله : « إن يقتل ينقم » . ومعنى « يلقم » يقول : إن تركته أكلك ، وهذا مثل يضرب للرجل يجتمع عليه أمران من الشرّ لا يدرى كيف يصنع فيهما ، ونحوه قولهم : هو كالأشقر إن تقدّم عَقَر وإن تأخر نحر .

---

(١) فى الفائق : « القسامة مخرجة على بناء الغرامة والحمالة لما يلزم أهل المحلة إذا وجد قتيل فيها لا يعلم قاتله من الحكومة بأن يقسم خمسون منهم ، ليس فيهم صبي ولا مجنون ولا امرأة ولا عبد ؛ يتخيرهم الوالى وقسمهم أن يقولوا : بالله ما قتلنا ولا علمنا له قاتلا ، فإذا أقسموا قضى على أهل المحلة بالدية ، وإن لم يكملوا خمسين كررت عليهم الأيمان حتى تبلغ خمسين يمينا » .

(٢) الفائق ٢ : ٣٤٥ (٣) الفائق ٢ : ٢٢٦ .

(٤) النهاية ٤ : ٦٤ ، ١٧٣ .

قال : وإنما لم يقده لأنه يخاف من القصاص فى العظم الموتَ ، ولـكن فيه الدِّيَة .

***

وفى حديثه : أنه أتى مسجد قُباء ، فرأى فيه شيئاً من غُبار وعنكبوت،فقال لرجل: « ائتنى بجريدة واتق العواهِن » ، قال : فجئته بها، فربط كُمّيه بوذَمة ، ثم أخذالجريدة، فجعل يتتبع بها الغبار [(١)] .

قال : الجريدة : السَّعفة ، وجمعها جريد .

والعواهن : السعفات التى يلينَ القِلَبة ، والقِلَبة جمع قُلْب ، وأهل نجد يسمّون العواهن الخَوافِى ، وإنما نهاه عنها إشفاقا على القلْب أن يضرَّ به قطعُها.

والوَذَمة : سيرٌ من سيور الدلو يكون بين آذان الدلو والعَراقى .

***

وفى حديثه : « ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفّروهم ، ولا تجمِّروهم فتفتنوهم » [(٢)] .

قال : التجمير : ترك الجيش فى مغازيهم لا يقفُلون .

***

وفى حديثه : أنه أُتِىَ بمُروط ، فقسّمها بين نساء المسلمين ، ورفع مِرْطاً بقِىَ إلى أمّ سَليط الأنصارية ، وقال : « إنها كانت تَزْفِر القِرَب يوم أحُد تسقى المسلمين » .

قال : تزْفِرها : تحملها ، ومنه زُفَر ، اسم رجل كان يحمل الأثقال .

***

(١) الفائق ١ : ١٨٥ .
(٢) نهاية ابن الأثير ٢ : ١٢٧ .

وفى حديثه أنه قال : « أعطُوا من الصَّدَقة مَنْ أبقت له السَّنة غنما ، ولا تعطوا مَنْ أبقت له السَّنة غنمين » [١] .

قال : السنة : هاهنا الأزمنــة ، ومنه قوله تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ [٢] .

قال : وكان عمر لايجيز نــكاحا فى عام سنة ، يقول : « لعلّ الضَّيعة تحمِلُهم على أن ينــكحوا غيرَ الأ كفاء » .

وكان أيضاً لايقطع سارقاً فى عام سنة .

وقوله : « غنما » أى قطعة من الغنم ، يقال لفلان : غَنَمان ، أى قطعتــان من الغنم ، وأراد عمر أنّ مَنْ له قطعتان غَنِيّ لايعطَى من الصدقة شيئاً ؛ لأنها لم تــكن قطعتــين إلا لــكثرتها .

* * *

وفى حديثــه أنه انــكفأ لونُه فى عام الرّمادة حين قال : « لا آ كل سمناً ولا سميناً ، وأنه اتّخذ أيامَ كان يطعِم النَّاسَ قِدْحاً فيه فرْض ، فــكان يطوف على القِصاَع فيغمز القِدْح ، فإن لم تبلغ الثريدة الفَرْض قال : فانظر ماذا يفعل [٣] بصاحب الطعام [٤] .

قال : انــكفأ : تغيّر عن حاله ، وأصله الانقلاب ، من كفأتُ الإناء .

وسُمّيَ عام الرّمادة من قولهم : أرمَد الناس ، إذا جُهدوا ، والرمد : الهلاك .

والقِدْح : السّهم . والفَرْض : الحزّ ، جعــل عمر هــذا الحزّ علامة لِعُمْق الثّريد فى الصّحفة .

* * *

---

(١) الفائق ١ : ٦١٧ .

(٢) سورة الأعراف ١٣٠ .

(٣) الفائق : « بالذى ولى الطعام » .

(٤) الفائق ٢ : ٤١٧ ، ٤١٨ .

وفى حديثه : أنّ عطاء بن يسار ، قال : قلت للوليد بن عبد الملك : رُوِى لى أنّ عمر بن الخطاب قال : وددتُ أنّى سلمت من الخلافة كَفافًا لا علىّ ولالى ، فقال : كذبت[1] ! الخليفة يقول هذا ! فقلت : أو كُذِبتُ ؟ فأفلتُّ منه بجُرَيعة الذَّقَن[2] .

قال يقال خلص من خصمه كَفافا ، أى كفّ كلّ واحد منهما عن صاحبه ، فلم ينل أحدهما من الآخر شيئاً[3] .

وأفلتَ فلان بجُرَيعة ذَقَن ، أى أنّ نفسه قد صارت فى فيه . وجُرَيْعة : تصغير جُرْعة .

قلت : وإنما استعظم الوليد ذلك ، لأن بنى أميّة كانوا يرون أنّ مَنْ وَلِىَ الخلافة فقد وجبت له الجنّة ، ولهذا خاطب هشام يوم ولِىَ ، فقال : الحمد لله الذى أنقذنى من النّار بهذا المقام .

* * *

وفى حديثه : أنّ سِماك بن حَرْب ، قال : رأيت عمر ، فرأيت رجلا أرْوَح كأنه راكبٌ ، والنّاس يمشون كأنه من رجال بنى سَدُوس[4] .

قال : الأرْوَح الذى تتدانى عقِباه ، وتتباعد صدورُ قدميْه ، يقال : أروح : بيّن الرَّوح ، والأفحج : الذى تتدانى صدور قدميْه ، وتتباعد عَقِباه وتتفحّج ساقاه ، والأوْكع : الذى يميل إبهام رجله على أصابعه حتى يزول ، فيرى شخص أصلها خارجا ، وهو الوكع ، ومنه أمةٌ وَكْعاء .

وبنو سَدُوس : فخِذ من بنى شيبان ، والطُّول أغلب عليهم .

* * *

(١) الأصول : « كذب » ، وصوابه ما فى الفائق .

(٢) الفائق ٢ : ٢١ .

(٣) فسره صاحب الفائق ، وقال : « أى رأساً برأس لا أرزأ منك ولا ترزأ منى وحقيقته ، أكف عنك وتكف عنى » .

(٤) النهاية لابن الأثير ٢ : ١١٠ .

وفى حديثه عن ابن عبّاس ، قال : دعانى فإذا حصير بين يديه ، عليه الذهب منثور نثر الحَثا ، فأمرنى بقسمه [1] .

قال : الحثا : التِّبن [2] مقصور ، قال الراجز يهجو رجلا :

ويأكل التمر ولا يلقى النَّوَى ولا يوارى فَرْجَه إذا اصطَلَى

* كأنّه غرارةٌ ملأى حَثا *

* * *

وفى حديثه أنه قال : « النّساء ثلاث ، فهيِّنة ليِّنة عفيفة مسلمة ، تعين أهلَها على العيش ، ولا تعينُ العيشَ على أهلها ، وأخرى وعاء للولَد ، وأخرى غُلٌّ قَمِل يضعهُ الله فى عنق من يشاء ، ويفكّهُ عمّن يشاء . والرجال ثلاثة : رجل ذو رأى وعقل ، ورجل إذا حَزَبهُ أمر أتى ذَا رأيٍ فاستشاره ، ورجل حائر بائر ، لا يأتمر رَشَدا ، ولا يطيع مرشدا » [4] .

قال البائر : الهالك ، قال تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾ [5] . والأصل فى قوله : « غُلّ قَمِل » ، أنهم كانوا يغلّون بالقِدّ وعليه الشعر ، فيقمَل على الرّجال .

ولا يأتمر رشدا ، أى لا يأتى برشدٍ من ذات نفسه ، يقال لمن فعل الشيء من غير مشاورة : قد ائتمر ، وبئس ما ائتمرت لنفسك ، قال النَّمر بن تَوْلب :

واعلمنْ أنّ كلّ مؤتمرٍ مخطئٌ فى الرأى أحيانا

* * *

وفى حديثه أنه خرج ليلةً فى شهر رمضان ، والنّاس أوزاع ، فقال : « إنى لأظنّ لو جمعتهم على قارئ واحد كان أفضلَ » ، فأمر أُبىّ بن كعب فأمّهم ، ثم خرج ليلة وهم

---

(١) النهاية ١ : ٢٠١ .

(٢) النهاية : « دقاق التبن » .

(٣) اللسان ١٨ : ١٧٩ ، وذكر قبله :

تَسْأَلُنِي عَنْ زَوْجِها أىَّ فَتَى خبٌّ جروزٌ وإذا جاعَ بَكَى

(٤) الفائق ٣ : ٢٢٤ .

(٥) سورة الفتح ١٢ .

يصلّون بصلاته ، فقال : «نعم البدعة هذه ! والتى ينامون عنهاأفضلُ من التى يقومون»[١] .

قال : الأوزاع : الفِرَق ، يريد أنهم كانوا يصلّون فرادى[٢] ، يقال وزعتُ المال بينهم ، أى فرّقته .

وقوله : « والتى ينـامون عنها أفضل » ، يريد صلاة آخر الليل ، فإنها خير من صلاة أوّله .

* * *

وفى حديثه أنّ أصحابَ محمّد صلى الله عليه وآله تذاكروا الوِتْر ، فقال أبو بكر : أمّا أنا فأبدأ بالوِتْر ، وقال عمر : لـكنّى أوتِر حين ينام الضَّفَطَى[٣] .

قال : هو جمع ضَفِيط ، وهو الرّجُل الجاهل الضعيف الرأى .

ومنه ماروِى عن ابن عباس ، أنه قال : لو لم يطلب النّاس بدم عثمان لرُمُوا بالحجارة من السماء ، فقيل : أتقول هذا وأنت عامل لفلان ؟ فقال: إن فىّ ضَفَطات ، وهذه إحدى ضَفَطاتى[٤] .

* * *

وفى حديثه أنه قال فى وصيته : « إن تُوُفّيت وفى يدى صِرْمة ابن الأكوع ؛ فسنّتُها سنّةُ ثَمْغ[٥] .

---

(١) الفائق ٣ : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) فى الفائق : « يريد أنهم كانوا يتنفلون بعد صلاة العشاء فرقاً ، قال المسيب بن علس :

أحَلَلْتَ بيتَك بالجميع وبعضُهُمْ   متفرّق لَيَحُلَّ فى الأوزاعِ

(٣) الفائق ٣ : ٦٧ (٤) الفائق ٣ : ٦٧ .

(٥) الفائق ٢ : ٢١

قال : الصِّرْمة هاهنا : قطعة من النخل ، ويقال للقطعة الخفيفة من الإبل : صِرْمة ، ويقال لصاحبها مُصْرِم ، ولعله قيل المقلّ ، مُصْرِم من هذا .

وثَمَغ : مال كان لعمر ، ووقفه .

* * *

وفى حديثه : أنه لما قدم الشام تفحّل له أمراء الشام(١) .

قال : أى اخشوشنوا له فى الزّى واللباس والمطعم تشبّها به ، وأصله من الفحْل ، لأنّ التصنّع فى اللباس والقيام على النفس ، إنما هو عندهم للإناث لا للفحول .

* * *

وفى حديثه : أنه قدم مكّة ، فسأل من يعلم موضع المقام ـ وكان السَّيل احتمله من مكانه ـ فقال المطّلب بن أبى ودَاعة السهمىّ : يا أميرَ المؤمنين ، قد كنت قدّرته وذرعته بِمِقاطٍ عندى(٢) .

قال : المِقاط : الحبل ، وجمعه مُقْط .

* * *

وفى حديثه أنه قال للذى قتل الظبى وهو محرِم : « خذ شاةً من الغَنَم فتصدّق بلحمها ، وأسق إهابها »(٣) .

قال : الإهاب : الجلد .

وأسقه ، أى اجعله سِقَاء لغيرك ، كما تقول : أسقِنى عسلا ، أى اجعله لى سِقاء وأَقِدْ بى خيلًا ، أى أعطنى خيلا أقودها ، وأسقنى إبلا : أعطنى إبلا أسوقها .

---

(١) الفائق ٢ : ٢٥٠ (٢) الفائق ٣ : ٤١ .
(٣) النهاية ٢ : ١٧٠ .

وقالت بنو تميم للحجاج : أقبِرْنا صالحاً ، يعنون صالح بن عبد الرحمن ، وكان قتله وصلبه ، فسألوه أن يمكّنهم من دفنه .

***

وفي حديثه : أنّه ذُكِر عنده التمر والزبيب : أيّهما أفضل ؟ ويروى أنه قال لرجل من أهل الطائف : الحَبَلة أفضل أم النخلة ؟ فأرسل إلى أبي حَثْمة الأنصاريّ،فقال: إن هؤلاء اختلفوا في التّمر والزبيب أيّهما أفضل .

وفي رواية أخرى : وجاء أبو عمرة عبد الرحمن بن محصن الأنصاريّ،فقال أبو حَثْمة: ليس الصَّقْر في رءوس الرّقْل ، الراسخات في الوحْل ، المطعمات في المحْل ، تعلّة الصبيّ ، وقِرَى الضيف ، وبه يُحترَش الضبّ في الأرض الصلعاء ، كزبيب إن أكلته ضرست ، وإن تركته غرِثت .

وفي الرواية الأخرى : فقال أبو عَمْرة : الزّبيب إن آكله أضرَس ، وإن أتركه أغرث ، ليس كالصقر في رءوس الرّقل ، الراسخات في الوحْل ، والمطعمات في المحْل ، خُرفة الصائم ، وتحفة الكبير ، وصُمْتة الصغير ، وخُرْسة مريم ، ويُحْتَرش به الضِّباب من الصّلعاء [١] .

قال: الحَبَلة ، بفتح الحاء وتسكين الباء : الأصل من الكَرْم،وفي الحديث:إنّ نوحا لما خرج من السفينة غرَس الحَبَلة ، وكانت لأنس بن مالك حَبَلة تحمل كذا ، وكان يسمّيها أمّ العيال ، فأما الحُبْلة بالضم فثمر العضاه ، ومنه الحديث : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومالنا طعام إلا الحُبْلة ، وورق السَّمُر . والحبلة بالضم أيضاً : ضرب من الحَلْي يجعل في القلائد ، شبّه بورق العضاه ، لأنه يصاغ على صورته .

وأغرث : أجوع ، والغرَث : الجوع .

---

(١) الفائق ١ : ٢٣١ .

والصَّقْر : عسل الرُّطَب .

والرَّقْل : جمع رَقْلة ، وهى النخلة الطويلة .

وقوله : « خرْفة الصائم » اسم لما يُختَرف ، أى يُجتنَى ، ونسبها إلى الصائم ، لأنهم كانوا يحبُّون أن يفطروا على التمر .

وقوله : « وصُمْتة الصغير » ؛ لأنّ الصغير كان إذا بكى عندهم سكّتُوه به . وتعلّة الصبيّ نحوه ، من التعليل .

وخُرْسة مريم ، الخُرْسة ما تطعَمه النُّفَساء عند ولادتها ، أشار إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1]، فأما الخُرْس بغيرها فهو الطعام الذى يصنع لأجل الولادة ، كالإعذار للختان ، والنَّقِيعة للقادم ، والوكِيرة للبناء .

ويُحترَش به الضَّبّ أى يصطاد ، يقال إنّ الضبّ يعجب بالتمر ، والحارش : صائد الضباب .

والصَّلْعاء : الصحراء التى لانبات بها كرأس الأصلع .

***

وفى حديثه أنه قال للسائب : « ورِّع عنِّى بالدرهم والدرهمين »[2] .

قال : أى كفّ الخصوم عنّى فى قدر الدرهم والدرهمين بأن تنظر فى ذلك ، وتقضىَ فيه بينهم ، وتنوب عنّى . وكلّ مَنْ كففتَه فقد ورّعته ، ومنه الوَرَع فى الدين ، إنما هو الكفّ عن المعاصى . ومنه حديث عمر : لاتنظروا إلى صلاة الرَّجُل وصيامه ، ولكن من إذا حدّث صدق ، وإذا ائتُمن أدّى ، وإذا أشفى ورِع ، أى إذا أشرف على المعصية كفّ عنها .

***

(١) سورة مريم : ٢٥

(٢) الفائق ٣ : ١٥٦

وفى حديثه أنّه خطب الناس ، فقال : « أيّها النّاس ؛ لينكح الرّجل منكم لُمَته من النّساء ، ولتنكح المرأة لُمَتها من الرجال » (١) .

قال : لُمَة الرجل من النساء مثله فى السنّ ، ومنه ماروىَ أنّ فاطمة عليها السلام خرجت فى لُمَة من نسائها [تتوطأ ذيلها] (٢) ، حتى دخلت على أبى بكر (٣) .

وأراد عمر بن الخطاب : لاتنكح الشابّة الشيخ الكبير ، ولا ينكح الشابّ العجوزَ ، وكان سبب هذه الخطبة أنّ شابّة زوّجها أهلُها شيخاً فقتلته .

* * *

وفى حديثه: أنّ رجلًا أتاه يشكو إليه النّقرِس، فقال : كذبتك الظهائر (٤) .

قال : الظهائِر : جمع ظَهِيرة ، وهى الهاجرة ، ووقت زوال الشمس .

وكذبتك ، أى عليك بها ، وهى كلمة معناها الإغراء ، يقولون : كذبك كذا ، أى عليك به .

ومنه الحديث المرفوع : [الحجامة على الريق فيها شفاء وبركة] ، فمن احتجم فى يوم الخميس ويوم الأحد ، كذباك ! (٥)

أى عليك بهما ، وإنما أمر عمر صاحب النقرس أن يبرز للحرّ فى الهاجرة ويمشى حافياً ، ويبتذل نفسه ، لأن ذلك يُذهب النّقرس .

* * *

وفى حديثه أنه قال : « مَنْ يدلّنى على نسيج وحده ؟ » ، فقال أبو موسى : مانعلمه غيرك ، فقال : ماهى إلا إبل مُوَقَّعٌ ظهورها (٦) .

قال : معنى قولهم : « نسيج وحده » أى لاعيب فيه ، ولا نظير له . أصله من الثوب النّفيس ، لاينسج على منواله غيره .

---

(١) الفائق ٢ : ١٥٦
(٢) من الفائق .
(٣) الفائق ٢ : ٤٧٦
(٤) الفائق ٢ : ٤٠٠ .
(٥) النهاية لابن الأثير ٣ : ١٢ والتكملة من هناك .
(٦) الفائق ٣ : ٨٦ .

والبعير الموقّع الذى يكثر آثار الدَّبَر بظهره ، لكثرة ما يركب ، وأراد عمر أنّا كلّنا مثل ذلك فى العيب .

* * *

وفى حديثه : إن الطبيب الأنصاريّ سقاه لبنا حين طُعِن ، فخرج من الطعنة أبيضَ يصلِد [1] .

قال : أى يبرق ولم يتغيّر لونه .

* * *

وفى حديثه أنّ نادبة عمر ، قالت : واعمراه ! أقام الأَوَد ، وشَفَى العَمَد . فقال علىّ عليه السلام : أما والله ماقالته ولكن قُوِّلَتْهُ [2] .

والعَمَد : ورم ودَبَر يكون فى ظَهْر البعير ، وأراد علىٌّ عليه السلام أنه كأنما ألقى هذا الكلام على لسانها لصحّته وصدقه .

* * *

وفى حديثه : أنّه استعمل رجلًا على اليمن ، فوفد إليه ، وعليه حلّة مُشَهَّرة ، وهو مرجَّل دَهِين ، فقال : أهكذا بعثناك ! ثم أمر بالحُلّة فنزِعت عنه ، وألبِس جُبّة صوف ، ثم سأل عن ولايته فلم يذكر إلّا خيراً فردّه على عمله ، ثم وفد إليه بعد ذلك ، فإذا أشعث مغبّر عليه أطلاس ، فقال : ولا كلّ هذا ، إن عاملنا ليس بالشَّعِث ولا العافى ، كلوا واشربوا وادّهنوا ؛ إنّكم لتعلمون الذى أكره من أمركم [3] !

قال : ثياب أطلاس ، أى وسخة ، ومنه قيل للذئب : أطلس .

---

(١) الفائق ٢ : ٣٥ (٢) الفائق ١ : ٥٠

(٣) الفائق ١ : ٦٨٢

والعافى : الطويل الشَّعر ؛ يقال : عَفَى وبرُ البعير ، إذا طال ، ومنه الحديث المرفوع : « أمر أن تُعفَى اللِّحَى وتُحْفَى الشَّوارب » .

* * *

وفى حديثه أنه قال للرجل:أمَا ترانى لو شئت أمرت بشاة فتيّة سمينة [أو قنيّة] [1] فألقى عنها صوفها ، ثم أمرت بدقيق فنخِل فى خرقة،فجعِل منه خبز مرقّق ، وأمرت بصاع من زبيب فجعل فى سُعُن حتى يكون كدم الغزال [2] .

قال : السُّعُن : قربة أو إداوة ينتبَذ فيها وتعلّق بجِذْع .

* * *

وفى حديثه : أنه رأى رجلا يأنِح ببطنه ، فقال : ماهذا ؟ قال : بركة من الله ، قال: بل هو عذاب من الله يعذّبك به [3] .

قال:يأنح : يصوّت،وهو مايعترى الإنسان السمين من البُهْر إذا مشى،أنَح يأنِح أنوحا

* * *

وفى حديثه أنّه لـما دنا من الشام ولَقِيَه الناس ، جعلوا يتراطنون ، فأشكَعهُ ذلك وقال لأسلم مولاه : إنّهم لم يروا على صاحبك بِزّة قوم غضب الله [4] عليهم .

قال : أشكَعه : أغضبه،قال : أراد أنّهم لم يتحاموا عنه اللغط ، والكلام بالفارسية والنَّبطية بحضرته ، لأنهم لم يَروه بِمين الإمارة والسلطان ، كما يرون أمراءهم ، لأنهم لم يروا عليه بزّة الأمراء وزيّهم .

* * *

---

(١) من الفائق ، قال : « القنية : ما اقتنى من شاة أو ناقة »

(٢) الفائق ٢ : ٣٧٩

(٣) النهاية ١ : ٤٦

(٤) الفائق ١ : ٤٨

وفى حديثه : أنّ عاملا على الطائف كتب إليه: إن رجالا منهم كلّمونى فى خلايا لهم، أسلموا عليها ، وسألونى أن أحميها لهم . فكتب إليه عمر : « إنها ذُباب غَيْث ؛ فإنْ أدّوْا زكاته فاحمه لهم »[(١)] .

قال : الخلايا موضع النّحل التى تعسل ، الواحدة خليّة ، وأراد بقوله : « إنّها ذُباب غيث » أنها تعيش بالمطر؛ لأنّها تأكل ماينبت عنه ، فإذا لم يكن غيث فقدتْ ماتأكل ، فشبّهها بالسّائم من النعم لا مؤنة على صاحبها منها ، وأوجب فيها الزكاة .

***

وفى حديثه : أنّ سعد بن الأخْرَم،قال : كان بين الحىّ وبين عدىّ بن حاتم تشاجُرٌ فأرسلونى إلى عمر فأتيته وهو يطعم الناس من كسور إبل ، وهو قائم متوكّئ على عصا ، مؤتزر إلى أنصاف ساقيه ، خِدَبّ من الرجال كأنّه راعى غنم ، وعلىّ حلة ابتعتُها بخمسمائة درهم ، فسلّمت عليه ، فنظر إلىّ بذَنَب عينه ، وقال لى : أمالك مِعْوز ؟ قلت : بلى ، قال: فألقها ، فألقيتُها وأخذت مِعْوزاً ، ثم لقيته فسلّمت ، فردّ علىّ السلام[(٢)] .

قال : كسور[(٣)] الإبل : أعضاؤها .

والخِدَبّ : العظيم الجافى وكأنّه راعى غنم ، يريد فى الجفاء والبذاذة وخشونة الهيئة واللّبسة .

والمِعْوز : الثوب الخَلَق ، والميم مكسورة؛وإنّما ترك ردّ السلام عليه أولا،لأنه أشهر الحُلّة ، فأدّبه بترك ردّ السلام ، فلمّا خلعها ولبس المِعْوز ردّه عليه .

***

---

(١) الفائق ١ : ٣٦٦ .　(٢) الفائق ٢ : ٤١١ .

(٣) واحده كسر ، بالفتح والكسر .

وفى حديثه : أنه ذكر فِتْيان قريش وسَرَفَهم فى الإنفاق ، فقال : لَحِرْفة أحدهم أشدّ عَلَىّ من عَيْلته[١] .

قال : الحِرْفة ها هنا، أن يكون الرّجل لا يتّجر ولا يلتمس الرّزق، فيكون محدودا لا يرزق إذا طلب ، ومنه قيل : فلان محارَف . والعَيْلة : الفقر .

وفى حديثه : أنّه قال لرجل : ما مالُك ؟ قال : أقرُنٌ لى وآدِمة فى المَنيئة ، قال : قوِّمْها وزكّها[٢] .

قال : الأقرن : جمع قَرْن ، وهى جعبة من جُلُود تكون للصيّادين يشقّ منها جانب ليدخلها الريح فلا يفسد الريش .

وآدِمة : جمع أدِيم ، كجريب وأجْرِبة .

والمَنيئة : الدّباغ ، وإنما أمره بتزكيتها ، لأنّها كانت للتجارة .

***

وفى حديثه أنّ أبا وجْزة السعدىّ ، قال : شهدته يستقى ، فجعل يستغفر ، فأقول : ألا يأخذ فيما خرج له ! ولا أشعر أنّ الاستسقاء هو الاستغفار ، فقلَدتنا السماء قِلْدا كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرنبة يأكلها صغار الإبل من وراء حِقاق العُرْفط[٣] .

قال : فقلَدتنا : مطرتنا لوقت معيّن ، ومنه قِلْد الحُمَّى ، وقلْد الزرع ، سقيه لوقت وهو وقت الحاجة .

وقال : رأيت الأرنب يحتملها السّيل حتى تتعلق بالعُرْفط ، وهو شجر ذو شوك ، وزاد فى الأرنب هاء ، كما قالوا: عقرب وعقربة ، وحِقَاق العُرفط: صغارها ، وقيل : الأرنب

---

(١) الفائق ١ : ٢٥٢ (٢) الفائق ٢ : ٢٣٢

(٣) الفائق ٢ : ٣٧١

ضرب من النبت ، لا يكاد يطول ، فأراد أنه طال بهذا المطر حتى أكلته صغار الإبل من وراء شجر العُرْفط .

* * *

وفى حديثه : أنه قال : ما وَلِىَ أحدٌ إلّا حامَى (١) على قرابته ، وقَرَى فى عيبته ، ولن يلىَ الناسَ قرشىٌّ عضَّ على ناجذه (٢) .

قال : حامىَ عليهم : عطف عليهم ، وقَرَى فى عيبته ، أى اختان ، وأصل قَرَى : جمع .

* * *

وفى حديثه : لن تخور قوًى ما كان صاحبها ينزع وينزو (٣) .

يخور : يضعف . والنَّزْع فى القوس ، والنَّزْو على الخيل .

وروى أن عمر كان يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ، ثم يجمع جراميزه ويثب ، فكأنما خلق على ظهر فرسه .

* * *

وفى حديثه : « تعلّموا السنّة والفرائض واللّحن ، كما تتعلمون القرآن » (٤) .

قال : اللّحن ها هنا : اللغة والنحو .

* * *

وفى حديثه : أنه مرّ على راعٍ ، فقال : يا راعى ، عليك بالظَّلِف [من الأرض] (٥) لا ترمّض ، فإنك راعٍ وكلّ راعٍ مسئول (٦) :

قال : الظّلف : المواضع الصلبة ، أمره أن يرعى غنمه فيها ، ونهاه أن يرمّض ، وهو أن يرعى غنمه فى الرّمضاء وهى تشتدّ جدا فى الدّهاس والرمل ، وتخفّ فى الارض الصلبة .

* * *

(١) الفائق : « حلم » .
(٢) الفائق ١ : ٣١١ .
(٣) الفائق ١ : ٣٧٦ .
(٤) الفائق ٢ : ٤٥٧ .
(٥) من الفائق .
(٦) الفائق ٢ : ١٠١

وفى حديثه : أنّ رجلا قرأ عليه حرفا ، فأنكره ، فقال : مَنْ أقرأك هذا ؟ قال : أبو موسى ، فقال : إنّ أبا موسى لم يكن من أهل البَهْش[1] .

قال : البَهْش المُقْل الرطب ، فإذا يبس فهو الخشْل ، وأراد أنّ أبا موسى : ليس من أهل الحجاز ، لأنّ المُقْل بالحجاز نبت ، والقرآن نزل بلغة الحجاز

* * *

وفى حديثه : أنّ عقبة بن أبى مُعَيط ، لمّا قال للنبىّ صلى الله عليه وآله : أأقتل مِن بين قريش ؟ فقال عمر : حَنّ قِدْحٌ ليس منها[2] .

قال : هذا مثل يضرب للرجل يُدخل نفسَه فى القوم وليس منهم ، والقِدْح : أحد قِداح الميسر ، وكانوا يستعيرون القِدْح يدخلونه فى قِدَاحهم يتيمّنون به ويثقون بفوزه .

* * *

وفى حديثه : أنّ أهل الكوفة لمّا أوفدوا العِلْباء بن الهيثم السّدوسىّ إليه ، فرأى عمر هيئته رثّة ، وأعجبه كلامه وعقله ، قال : لكلّ أناس فى جَمَلهم خبر .

قال : هذا مثل ، والمراد أنهم سوّدوه على معرفةٍ منهم بما فيه من الخلال المحمودة ، والمعنى أن خُبْره فوق منظره .

* * *

وفى حديثه : أنه أخذ من القِطْنيّة الزكاة[3] .

قال : هى الحبوب كالعدس والحِمّص ، وفى أخذ الزكاة منها خلاف بين الفقهاء .

---

(١) الفائق ١ : ١١٨ (٢) الفائق ١ : ٣٠٠ .

(٣) النهاية ٣ : ٢٦٥ .

وفى حديثه : أنه كان يقول للخارص[١] : «إذا وجدْت قوماً قد خرَفوا فى حائطهم، فانظر قدْر ماترى أنّهم يأكلونه ، فلا تخرِصه »[٢] .

قال : خَرَفُوا فيه ، أى نزلوا فيه أيام اختراف الثمرة .

* * *

وفى حديثه : « إذا أجريت الماء على الماء جَزَى عنك »[٣] .

قال : يريدصبّ الماءعلى البوْل فى الأرض ، فإنه يطهرّ المكان ، ولا حاجة إلى غسله . وجَزَى : قضى وأغنى ، من قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾[٤] ، فإن أدخلت الألف قلت : « أجزأك » وهمزت ، ومعناه كفاك .

* * *

وفى حديثه أنه قال : « لا يعطى من المغانم شىء حتى تقسم ؛ إلا لراع ؛ والدليل غيرُ مُولِيه »[٥] .

قال : الراعى هاهنا الطليعة ، لأنه يرعَى القوم ؛ أى يحفظهم .

وقوله : « غير مُولِيه » ، أى غير مُعْطِيه شيئا لا يستحقه .

* * *

وفى حديثه : « إنّ من الناس مَنْ يقاتل رياءوسمعة ،ومنهم مَنْ يقاتل وهو ينوى الدّنيا ، ومنهم مَنْ ألجه القتال فلم يجد بدًّا ، ومنهم مَنْ يقاتل صابرا محتسبا ، أولئكم الشهداء».

قال : ألجه القتال ، أى رهقه وغشِيه ، فلم يجد مخلصاً .

* * *

---

(١) خرص النخلة : إذا حزر ما عليها من الرطب ؛ من الخرص ؛ وهو الظن .
(٢) الفائق ١ : ٣٣٧
(٣) النهاية لابن الأثير ١ : ١٦٢ .
(٤) سورة البقرة ١٢٣
(٥) النهاية ٢ : ٨٨ ، ٤ : ٢٣٢ .

وفى حديثه : أنه أرسل إلى أبى عبيدة رسولا فقال له حين رجع : فكيف رأيتَ أبا عبيدة ؟ قال : رأيتُ بللا من عيش فقصَّرَ من رزقه ، ثم أرسل إليه ، وقال للرسول حين قدم : كيف رأيته ؟ قال : رأيته حَفُوفاً ، قال : رحم الله أبا عبيد ، بسطْنا له فبَسط، وقبضنا له فقبض[١].

قال : الحُفوف والحَفَف واحد ، وهو ضِيق العيش وشدّته ، يقال : ماعليهم حَفَفٌ ولا ضَفَف ، أى ماعليهم أثر عوَزٍ ، والشَّظَف : مثل الحفف .

* * *

وفى حديثه : أنه رئى فى المنام ، فسئل عن حاله ، فقال : « ثُلَّ عَرْشى[٢] لولا أنى صادفت ربّى رحيما » .

قال : ثلّ عرشه ، أى هدم .

* * *

وفى حديثه :أنه قال لأبى مريم الحنفى : « لأنا أشدُّ بغضاً لك من الأرض للدم »،قالوا: كان عمر عليه غليظاً ، كان قاتِلَ زيد بن الخطاب أخيه ، فقال : أينقصُنِى ذلك من حقّى شيئا ؟ قال : لا ، قال : فلا ضَيْرَ[٣].

قال : هذا مثل ، لأن الأرض لايغوص فيها الدم كما يغوص الماء ، فهذا بغض الأرض له ، ويقال : إنّ دم البعير تنشفه الأرض وحده .

* * *

وفى حديثه : « إنّ اللبن يشبّه عليه »[٤].

---

(١) الفائق ١ : ١١١ .
(٢) فى النهاية : « كاد يثل عرشى » .
(٣) النهاية ١ : ٣٢ .
(٤) الفائق ١ : ٦٣٤ .

قال : معناه أنّ الطفل ربما نَزَع به الشَّبَه إلى الظِّئْر من أجل لبنها ، فلا تسترضعوا إلّا مَنْ ترضون أخلاقها .

* * *

وفى حديثه :« اغزوا ، والغَزْو حلوخضِر، قبل: أن يكون ثُماما، ثم يكون رُماما، ثم يكون حُطاما »(١).

قال: هذا مثل، والثُّمام :نبت ضعيف .

والرُّمام ، بالضم والرميم واحد ، مثل طُوال وطويل .

والحُطام : يبس النبت إذا تكسّر، ومعنى الكلام أنّه أمرهم بالغزو حين عزائمهم قويّة ، وبواعثهم إليه شديدة ، فإنّ مع ذلك يكون الظفرقبل أن يهِي ويضعُف ، فيكون كالثُّمام الضعيف ، ثم كالرميم ، ثم يكون حُطاما فيذهب .

* * *

وفى حديثه : « إذا انتاطت المغازى ، واشتدّت العزائم ،ومنعت الغنائم أنفسها،فخير غزوكم الرّباط » .

قال : انتاطت : بعدت، والنّطىء : البعيد .

واشتدّت العزائم : صعبت ومنعت الغنائم أنفسها ، فخير غزوكم الرّباط فى سبيل الله.

* * *

وفى حديثه أنه وضع يده فى كُشْية(٢) ضبّ ، وقال : إنّ النبى صلى الله عليه وآله لم يحرّمه ، ولكن(٣) قذّره .

قال : كُشْية الضّبّ : شحم بطنه .

---

(١) الفائق ١ : ٢٥٢ .
(٢) ويروى : « كشة » .
(٣) الفائق ١ : ١٦٩ .

وقوله : « وضع » أى أكل منه .

***

وفى حديثه : « لأُوتَى بأحدٍ انتقص من سبل المسلمين إلى مثاباته شيئاً إلّا فعلت به كذا »[١] .

قال : المثابات هاهنا : المنازل يثوب أهلها إليها ، أى يرجعون ، والمرادُ مَنْ اقتطعَ شيئاً من طريق المسلمين وأدخله فى داره .

***

وفى حديثه : أنه كره النِّير[٢] .

قال : هو عَلَم الثوب ، وأظنه كرهه إذا كان حريرا .

***

وفى حديثه : أنه انكسرت قَلُوص من إبل الصدقة فجَفَنها[٣] .

قال : اتّخذ منها جَفْنة من طعام ، وأجمع عليه[٤] .

***

وفى حديثه : « عجبت لتاجر هَجَر ، وراكب البحر »[٥] !

قال : عجب كيف يختلف إلى هَجَر مع شدّة وبائها ، وكيف يركب البحر مع الخطار بالنفس !

***

وفى حديثه : أنه قال ليلةً لابن عباس فى مسيره : أنشِدْنا لشاعر الشعراء ، قال : ومَنْ

---

(١) الفائق ١ : ١٦٣

(٢) الفائق ٣ : ١٣٩ .

(٣) النهاية ١ : ١٦٨

(٤) النهاية : « وجمع الناس عليه » .

(٥) نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ .

هو ؟ قال : الذى لم يعاظِلْ بين القول ، ولم يتّبع حُوشِيّ الكلام ، قال : ومَنْ هو ؟ قال: زهير ، فجعل يُنشِد إلى أن برَق الصبح [١] .

قال : هو مأخوذٌ من تعاظُل الجراد ، إذا ركب بعضُه بعضا .

وحُوشِيّ الكلام : وحشيُّه .

***

وفى حديثه أنّ نائلاً مولى عثمان ، قال : سافرتُ مع مولاىَ وعمر فى حجّ أو عُمرة ، فكان عمر وعثمان وابن عمر لِفًّا ، وكنت أنا وابنُ الزُّبير فى شَبَبَةٍ معنا لِفًّا ، فكنّا نتمازح ونترامَى بالحنظل ، فما يزيدنا عمر على أن يقول لنا : كذاك لاَ تذعَرُوا علينا ، فقلنا لرَباح بن المعترف [٢] : لو نصبْتَ لنا نصْب العرب ! فقال : [أقول] [٣] مع عمر فقلنا : افعل وإن نهاك فانتهِ ، ففعل ولم يقل عمر شيئا ، حتى إذا كان فى وجه السَّحر ناداه : يارَباح ، إِيهاً ، اكففْ فإنها ساعة ذِكْر [٤] !

قال : لِفًّا ، أى حزبا وفِرْقة .

وشَبَبة : جمع شابّ ، مثل كاتب وكَتَبة ، وكاذب وكَذَبة ، وكافر وكَفَرة .

وقوله : « كذاك » أى حَسْبُكم .

وقوله : « لاتذعَرُوا علينا » ، أى لاتنفروا إبلنا .

ونَصْب العرب : غناء لم يشبه الحُداء ، إلاّ أنه أرقّ منه .

***

وفى حديثه : أنه كتب فى الصّدقة إلى بعض عمّاله كتابا فيه: « ولا تحبِس الناس أوّلهم على آخرهم ، فإنّ الرَّجْن للماشية عليها شديد ، ولها مُهلِك ، وإذا وقف الرّجل عليك غَنَمه فلا تَعتَمّ من غنمِه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذ الصدقة من أوسطها ، وإذا وجَبَ على

(١) الفائق : ١٦٥

(٢) الفائق : المقترف.

(٣) من الفائق .

(٤) الفائق ٢ : ٤٦٩ .

الرّجل سنٌّ لم تجدها في إبله فلا تأخذ إلا تلك السنّ من شَرْوَى إبله أو قيمة عدْل، وانظر ذوات الدَّرّ والماخِض، فـتنكّب عنها؛ فإنها ثمال حاضِرِيهم »[١].

قال: الرَّجْن: الحبس؛ رجَن بالمكان: أقام به، ومثله دَجَن، بالدّال.

ولا تعتَم: لا تختر، اعتام اعتياما، أي اختار.

من شَرْوى إبله، أي من مِثْلها

وذوات الدّرّ: ذوات اللّبن.

والماخِض: الحامل.

وثمال حاضريهم: عصمتهم وغياثهم، وحاضريهم: مَنْ يسكن الحضَر.

***

وفي حديثه: أنه كان يلقط النّوَى من الطريق والنّـكْث؛ فإذا مرّ بدار قوم ألقاها فيها، وقال: « ليأكل هذا داجنتكم وانتفعوا بباقيه »[٢].

قال: الداجنة مايعلفه الناس في منازلهم، من الشّاة والدّجاج والطّير.

والنّـكْث: الخيوط الخلَق من صوف أو شعر أو وَبر.

***

وفي حديثه: « ثلاثٌ من الفَواقر: جار مُقامة؛ إن رأى حسنةً دَفنها، وإن رأى سيّئة أذاعها، وامرأة إن دخلتَ عليها لَسَنَتك، وإن غِبت عنها لم تأمنها، وإمام إن أحسنتَ لم يرضَ عنك، وإن أسأت قتلك »[٣].

***

---

(١) الفائق ١ : ٤٦٦ .

(٢) الفائق ٣ : ١٣٤ .

(٣) الفائق : ٢٩٠ .

قال : الفواقر : الدواهي ، واحدتها فاقِرة ، لأنها تكسر فقار الظهر .
ولسنتك : أخذتك بلسانها .

* * *

وفى حديثه فى خطبة له : « مَنْ أتى هذا البيت لا ينهره إليه غيره ، رجع وقد غفر له » .
قال : ينهره : يدفعه ، يريد من حجّ لا ينوى بالحجّ إلا الطاعة غفر له .

* * *

وفى حديثه : « اللبن لا يموت » .

قال : قيل فى معناه : إن اللبن إذا أخذ من ميتة لم يحرم ، وكلّ شيء أخذ من الحيّ فلم يحرم فإنه إن أخذ من الميت لم يحرم .

وقيل فى معناه : إنْ رَضَع الطفل من امرأة ميّتة حَرُم عليه من أولادها وقرابتها مَنْ يحرم عليها منها لو كانتْ حيّة .

وقيل: معناه : إنّ اللبن إذا انفصل من الضّرع فأوجر به الصبيّ أو أدم به أو دِيف له فى دواء وسُقِيَه ، فإنه إن لم يسمّ فى اللغة رضاعا ، إلا أنّه يحرم به ما يحرم بالرضاع ؛ فقال : اللبن لا يموت ، أى لا يبطل عمله بمفارقة الثدى .

* * *

وفى حديثه : « من حظّ المرء نَفاق أيِّمه وموضع خُفِّه »(١) .
قال : الأيِّم التى لا بعل لها ، والخفّ : الإبل ، كما تُسمّى الحمر والبغال حافراً ، والبقر والغنم ظِلْفاً ، يريد من حظ الإنسان أن يُخطب إليه ويتزوّج بناته وأخواته وأشباههنّ ، فلا يَبُرْنَ ،

---

(١) النهاية ١ : ٢٧٠ ، وفيه : « موضع حقه » ، وقال فى شرحه : « وأن يكون حقه فى ذمة مأمون جحوده وتهضمه » .

ومن حظه أيضاً أن ينفق إبله، حتى ينتابه التجار وغيرهم فيبتاعوها في مواضعها، يستطرقونه لا يحتاج أن يعرضها عليهم .

* * *

وفي حديثه : أنّ العباس بن عبد المطلب سأله عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عَيْن الشعر ؛ فافتقر عن معانٍ عُورٍ أصحّ بَصَرٍ [(١)] .

قال : خسف لهم ، من الخسيف ، وهي البئر تحفر في حجارة ، فيخرج منها ماء كثير، وجمعها خُسُف .

وقوله : « افتقر » أي فتح ، وهو من الفقير ، والفقير : فم القناة .

وقوله : « عن معانٍ عور » يريد أنّ امرأ القيس من اليمن، واليمن ليست لهم فصاحة نزار ، فجعل معانيهم عُوراً ، وفتح امرؤ القيس عنها أصحّ بصر .

* * *

[ذكر الأحاديث الواردة في فضل عمر]

فأما الحديث الوارد في فضل عمر ، فمنه ماهو مذكور في الصّحاح ، ومنه ماهو غير مذكور فيها . فمّا ذكر في المسانيد الصحيحة من ذلك، ماروت عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « كان في الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمّتي فعمر » . أخرجاه في الصحيحين.

وروى سعد بن أبي وقّاص ، قال : استأذن عُمر على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعنده نساء من قريش يكلّمنه ، عاليةٌ أصواتهنّ ، فلمّا استأذن قُمْنَ يبتدِرْن الحجاب ، فدخل ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقال : أضحك الله سِنّكَ يارسول الله ! قال: عجبتُ مِنْ هؤلاء اللّواتي كنّ عندي فلمّا سَمِعْنَ صوتك ابتدرْنَ الحجاب. فقال عمر: أنت

(١) الفائق ٦ : ٣٤٣ .

أحق أن يهبن ، ثم قال : أى عَدُوّاتِ أنفسهن ، أتهبنَنى ولا تهبْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظّ،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « والّذِى نفسي بيده ، مالقيكَ الشّيطان قطّ سالكاً فَجًّا إلا سلك فَجًّا غير فَجّك » ، أخرجاه فى الصحيحين .

وقد روى فى فضله من غير الصحاح أحاديث :

منها : « إنّ السكينة لتنطِق على لسان عمر » .

ومنها : « إنّ الله تعالى ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه » .

ومنها : « إنّ بين عينىْ عمر مَلَكاً يسدّده ويوفّقه » .

ومنها : « لو لم أبْعَثْ فيكم لبعث عمر » .

ومنها : « لو كان بعدى نبىّ لكان عمر » .

ومنها : « لو نزل إلى الأرض عذابٌ لما نجا منه إلّا عمر » .

ومنها : « ما أبطأ عنّى جبريل إلّا ظننت أنه بعِث إلى عمر » .

ومنها : « سراج أهل الجنّة عمر » .

ومنها : أن شاعراً أنشدَ النبىّ صلى الله عليه وآله شعرا ، فدخل عمر، فأشار النبىّ صلى الله عليه وآله إلى الشاعر أن اسكُتْ ، فلمّا خرج عمر،قال له : عُدْ فعاد ، فدخل عمر فأشار النبى صلى الله عليه وآله بالسكوت مرة ثانية ، فلما خرج عمر سأل الشاعرُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن الرّجل ، فقال : « هذا عمر بن الخطاب ، وهو رجل لا يحبّ الباطل » .

ومنها : أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال : « وُزِنتُ بأمّتى فرجَحْت،ووزن أبو بكر بها فرجح ، ووزن عمر بها فرجح ، ثم رجح ، ثم رجح » .

***

وقد رووا فى فضله حديثا كثيرا غير هذا ، ولكنا ذكرنا الأشهر. وقد طعن أعداؤه ومبغضوه فى هذه الأحاديث ، فقالوا : لو كان محدَّثا وملهَما لما اختار معاوية الفاسقَ لولاية الشام ، ولكان الله تعالى قد ألهمه وحدّثه بما يُواقِع من القبائح والمنكرات والبَغْى والتغلّب على الخلافة ، والاستئثار بمال الفىء ، وغير ذلك من المعاصى الظاهرة .

قالوا : وكيف لايزال الشيطانُ يسلك فجًا غير فجّه ، وقد فرّ مراراً من الزحف فى أحُدٍ وحُنَين وخَيْبر ، والفِرار من الزّحْف من عمل الشيطان وإحدى الكبائر الموبقة !

قالوا : وكيف يدَّعى له أنّ السكينة تنطِق على لسانه ! أترى كانت السَّكينةُ تَلاحِيَ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحُديبية ، حتى أغضبه !

قالوا : ولو كان ينطق على لسانه ملَكٌ أو بين عينيه مَلَكٌ يسدّده ويوفّقه ، أوضرب الله بالحقّ على لسانه وقلبه ، لكان نظيرا لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بل كان أفضلَ منه ؛ لأنّه صلى الله عليه وآله كان يؤدّى الرسالة إلى الأمّة عن مَلك من الملائكة ، وعمر قد كان ينطق على لسانه مَلَك ، وزِيدَ ملَكا آخر بين عينيه يسدّده ويوفقه ، فهذا الملك الثانى ممّا قد فضّل به على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان حكم فى أشياء فيخطئ فيها حتى يُفهمه إياها علىّ بن أبى طالب ومُعاذ بن جبل وغيرهما ، حتى قال : لولا علىّ لهلك عمر ، ولولا معاذ لهلك عمر . وكان يُشكل عليه الحكم ، فيقول لابن عباس : غُصْ ياغوّاص ، فيفرّج عنه ، فأين كان المَلَك الثانى المسدّد له ! وأين الحقّ الذى ضُرب به على لسان عمر ؟ ومعلوم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر فى الوقائع نزولَ الوحى . وعمر على مقتضَى هذه الأخبار لاحاجة به إلى نزولِ ملَك عليه ، لأنّ المَلَكين معه فى كلّ وقت وكلّ حال ، ملَك ينطق على لسانه وملك آخر بين عينيه يسدّده ويوفقه . وقدْ عزّزا بثالث وهى السكينة ، فهو إذاً أفضلُ من رسول الله صلى الله عليه وآله!

وقالوا : والحديث الذى مضمونه : لو لم أبعث فيكم لبعث عمر ، فيلزم أن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وآله عذابا على عمر ، وأذًى شديدا له ، لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبيًّا ورسولا ، ولم تعلُ رتبةٌ أجلّ من رتْبة الرساله ، فالمزيل لعمر عن هذه الرّتبة التى ليس وراءها رتبة ، ينبغى ألاّ يكون فى الأرض أحدٌ أبغض إليه منه !

قالوا : وأمّا كونه سراج أهل الجنّة ؛ فيقتضى أنّه لو لم يكن تجلّى عمر لكانت الجنّة مظلمة لاسراجَ لها .

قالوا : وكيف يجوز أن يقال : لو نزل العذابُ لم ينجُ منه إلا عمر ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [1] .

قالوا : وكيف يجوز أن يقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يسمع الباطل ويحبّه ويشهده ، وعمر لا يسمع الباطل ولا يشهده ولا يحبّه ! أليس هذا تنزيهاً لعمر عمّا لم ينزّهْ عنه رسوْل الله صلى الله عليه وآله !

قالوا : ومن العَجَب أنْ يكون النبى صلى الله عليه وآله أرجحَ من الأمة يسيرا ، وكذلك أبو بكر ، ويكون عمر أرجح منهما كثيرا ! فإن هذا يقتضى أن يكون فضلُه أبينَ وأظهرَ من فضل أبى بكر ومن فَضْل رسول الله صلى الله عليه وآله !

والجواب أنه ليس يجب فيمن كان محدّثا ملهماً أن يكون محدّثا ملهَماً فى كلّ شىء بل الاعتبار بأكثر أفعاله وظنونه وآرائه ، ولقد كان عمر كثيرَ التوفيق ، مصيبَ الرأى فى جمهور أمره ، ومَنْ تأمّل سيرتَه علم صحّة ذلك ، ولا يقدح فى ذلك أن يختلف ظنّه فى القليل من الأمور .

وأما الفرار من الزّحف ، فإنه لم يفرّ إلّا متحيّزاً [2] إلى فئة ، وقد استثنى الله تعالى ذلك تخرج به عن الإثم .

---

(١) سورة الأنفال ٣٣

(٢) هو قوله تعالى فى سورة الأنفال ١٦ : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾

وأمّا باقي الأخبار فالمراد بالملك فيها الإخبار عن صحة ظنّه، وصدق فراسته، وهو كلام يجري مجرى المثل ، فلا يَقدح فيه ماذكروه .

وأما قوله صلى الله عليه وآله: «لو نزل إلى الأرض عذابٌ لما نجا منه إلّا عمر»، فهو كلام قاله عَقيب أخذ الفدية من أسارى بدر، فإنّ عمر لم يُشِرْ عليه، ونهاه عنه ، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) . وإذا كان القرآن قد نطق بذلك وشهد ، لم يُلتفتْ إلى طعن مَنْ طعن في الخبر .

وأما قوله عليه السلام: « سراج أهل الجنّة عمر »، فمعناه سراج القوم الذين يستحقّون الجنّة من أهل الدنيا أيّام كونهم في الدّنيا مع عمر ، أي يستضيئون بعلمه ، كما يستضاء بالسراج .

وأما حديث مَنْع الشّاعر، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله خاف أن يذكر في شعره مايقتضي الإنكار فيعنُف به عمر، وكان شديد الغلظة ، فأراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن ينكر هو على الشّاعر إن قال في شعره مايقتضي ذلك على وجه اللّطف والرّفق، وكان عليه السلام رءوفا رحيما ، كما قال الله تعالى (٢) .

وأما حديث الرجحان، فالمراد به الفتوح ومُلْك البلاد ، وتأويله أنّه عليه السلام أُرِيَ في منامه مايدلّ على أنه يفتح الله عليه بلاداً وعلى أبي بكر مثله ، ويفتح على عمر أضعاف ذلك ، وهكذا وقع .

واعلم أن مَنْ تصدّى للعيب وجَده ، ومن قصَر همّته على الطّعن على الناس انفتحت

---

(١) سورة الأنفال ٦٨ .

(٢) وهو قوله تعالى في سورة التوبة ١٢٨ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

له أبواب كثيرة ، والسعيد مَنْ أنصف من نفسه ، ورفض الهوى ، وتزوّد التقوى ، وبالله التوفيق !

* * *

[ذكر ماورد من الخبر عن إسلام عمر]

وأمّا إسلام عمر ، فإنه أسلم، فكان تمام أربعين إنساناً فى أظهر الروايات ، وذلك فى السنة السادسة من النبوة،وسنّه إذ ذاك ست وعشرون سنة،وكان عمر ابنه عبدالله يومئذ ستّ سنين .

وأصحّ ماروِىَ فى إسلامه رواية أنس بن مالك عنه ، قال : خرجتُ متقلّداً سيفِى ، فلقيت رجلاً من بنى زُهْرة ، فقال : أين تعمد ؟ قلت : أقتل محمدا ، قال : وكيف تأمنُ فى بنى هاشم وبنى زهرة ؟ فقلت : ماأراك إلا صَبَوْت ! قال : أفلا أدلُّك على العَجَب ! إنّ أختك وزوجها قد صَبَوَا . فمشى عمر فدخل عليهما ذامراً،وعندهما رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقال له : خبّاب بن الأرتّ ، فلما سمع خَبّاب حِسّ عمر توارى ، فقال عمر : ماهذه الهينمة [1] التى سمعتها عندكم ؟ وكانوا يقرءون « طه » على خَبّاب،فقال:ماعندنا شىء،إنّما هو حديثٌ كنّا نتحدّثه بيننا،قال:فلعلّكما قد صَبوتما [2] فقال له خَتَنُه:أرأيت ياعمر إن كان الحق فى غير دينك ! فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها ، فنفحها بيده ، فأدمى وجهها ، فجاهرته،فقالت : إنّ الحقّ فى غير دينك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فاصنع مابدا لك!فلما يئس قال:أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرؤه ــ وكان عمر يقرأ الخطّ ــ

---

(١) الهينمة : الصوت الخفى . (٢) صبا ، أى خرج عن دينه .

فقالت له أخته : إنك رجْس ؛ وإنّ هذا الكتاب لا يمسّه إلّا المطهرون، فقمْ فتوضأ، فقام فأصاب ماء ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ ﴿طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى﴾ إلى قوله : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ ، فقال عمرُ : دُلّوني على محمّد ، فلما سمع خبّابٌ قول عمر ، ورأى منه الرّقة ، خرج من البيت ، فقال : أبشِرْ ياعمر ، فإنّي لأرجو أن تكون دعوةُ رسول الله صلّى الله عليه وآله ليلة الخميس لك ، سمعته يقول : « اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام » ـ قال : ورسول الله صلى الله عليه وآله في الدّار التي في أصلِ الصّفا ـ فانطلق عمر حتى أتى الدّار ، وعلى الباب حمزة بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وناس من أهل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا رأى النّاس عمرَ قد أقبلَ ، كأنهم وجِدوا ، وقالوا : قد جاء عمر ، فقال حمزة : قد جاء عمر ، فإن يرد الله به خيرا يُسْلِم ، وإن يرد غير ذلك كان قتلُه علينا هيّنا ، قال : والنبي صلى الله عليه وآله مِنْ داخل البيت يُوحَى إليه ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامَ القوم ، فخرج مسرعا حتى انتهى إلى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه ، وقال : ما أنت منتهيا ياعمر حتى ينزل الله بك ـ يعني من الخزي والنّكال ـ ما أنزل بالوليد بن المغيرة . ثم قال : اللّهم هذا عمر ، اللّهمّ أعزّ الإسلام بعمر ! فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله . فكبّر أهل الدار ، ومن كان على الباب ، تكبيرةً سمعها مَنْ كان في المسجد من المشركين[1] .

وقد روى أن عمر كان موعوداً ومبشّرا بما وصل إليه من قبل أن يظهر أمر الإسلام . قرأت في كتاب من تصانيف أبي أحمد العسكري رحمه الله ، أنّ عمر خرج عَسِيفاً[2] مع الوليد ابن المغيرة إلى الشام في تجارة للوليد ، وعمر يومئذ ابن ثماني عشرة سنة ، فكان يرعى

---

(١) الرياض النضرة ١ : ١٩١ ، ١٩٢ . (٢) العسيف : الأجير .

الوليد إبلَهُ ، ويرفع أحماله ، ويحفظ متاعه ، فلمّا كان بالبَلْقاء لقيه رجلٌ من علماء الرّوم ، فجعل ينظر إليه ، ويطيل النظر لعمر ، ثم قال : أظنّ اسمك ياغلام « عامرا » أو «عمران» أو نحو ذلك ؟ قال : اسمى « عمر » ، قال : اكشف عن فَخِذيك ، فكشف فإذا على أحدهما شامة سوداء فى قَدْر راحة الكفّ ، فسأله أن يكشف عن رأسه ، فكشف فإذا هو أصلَع ، فسأله أن يعتمل بيده ، فاعتمل فإذا أعسر أيْسَر ، فقال له : أنت ملك العرب، وحقّ مريم البتول ! قال : فضحك عمر مستهزئا ، قال : أو تضحك ! وحقّ مريم البتول إنك ملك العرب ، وملك الروم ، وملك الفرس ! فتركه عمر وانصرف مستهيناً بكلامه ، وكان عمر يحدّث بعد ذلك ، ويقول : تبعنى ذلك الرومىّ وهو راكب حمارا ، فلم يزل معى حتى باع الوليد متاعه ، وابتاع بثمنه عِطراً وثياباً ، وقَفَل إلى الحجاز ، والرومىّ يتبعنى ، لا يسألنى حاجة ، ويقبّل يدى كلّ يوم إذا أصبحت كما تُقبّل يد الملك ، حتى خرجنا من حدود الشام ، ودخلنا فى أرض الحجاز راجعين إلى مكة ، فودّعنى ورجع . وكانَ الوليد يسألنى عنه فلا أخبره ، ولا أراه إلا هلَك ، ولو كان حيًّا لشخص إلينا .

***

[تاريخ موت عمر والأخبار الواردة فى ذلك]

فأمّا تاريخ موته ، فإنّ أبا لؤلؤة طعنه يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجّة من سنة ثلاث وعشرين ، ودُفِن يوم الأحد صباح هلال المحرّم سنة أربع وعشرين ، وكانت ولايته عشر سنين وستّة أشهر ، وهو ابن ثلاث وستين فى أظهر الأقوال، وقدكان قال على المِنبر يوم جُمعة ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأبا بكر : إنّى قد رأيتُ رؤيا ، أظنّها لحضور أجلى ، رأيت كأنّ ديكا نقرنى نَقْرتين ، فقصصتُها على أسماء

(١) الأعسر : الذى يعمل بيده اليسرى ، وفى النهاية لابن الأثير : ٤ : ٢٦٥ : « كان عمر أعسر أيسر » ، هكذا يروى ، والصواب «أعسر يسر» وهو الذى يعمل بيديه جميعا ، ويسمى الأضبط » .

بنت عُمَيس، فقالت:يقتلك رجلٌ من العَجَم ؛ وإنى أفكرتُ فيمن أستخلف ، ثم رأيتُ أنّ الله لم يكن ليضَيّع دينَه وخلافته التى بعث بها رسوله .

وروى ابنُ شهاب ، قال : كان عمر لا يأذن لصبيٍّ قد احتلم فى دخول المدينة ، حتى كتبَ المغيرة ، وهو على الكوفة ، يذكر له غلاماً صَنَعاً عنده، ويستأذنه فى دخول المدينة، ويقول : إنّ عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس ، إنّه حدّاد نقّاش نجّار . فأذن له أن يرسل به إلى المدينة ، وضربَ عليه المغيرة مائة دِرْهم فى كلّ شهر ، فجاء إلى عمر يوماً يشتكى إليه الخراج ، فقال له عمر : ماذا تحسنُ من الأعمال ؟ فعدّ له الأعمال التى يحسن ، فقال له: ليس خراجُك بكثير فى كُنْه عملك .

هـذا هو الذى رواه أكثر الناس من قوله له ، ومن النـاس مَنْ يقول : إنّه جَهَر بكلام غليظ ، واتفقوا كلُّهم على أنّ العبد انصرف ساخطاً يتذمّر ، فلبث أياماً ثم مرّ بعمر فدعاه ، فقال : قد حُدّثت أنّك تقول : لو أشاء لصنعتُ رحاً تطحَنُ بالريح ، فالتفت العبد عابساً ساخطاً إلى عمر ، ومع عمر رهط من الناس ، فقال : لأصنعنّ لك رحاً يتحدّث الناس بها ، فلمّا ولّى أقبل عمر على الرّهط ، فقال : ألا تسمعون إلى العبد! ما أظنّه إلا أوعدنى آنفا ! فلبث ليالى ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خِنْجَرٍ ذى رأسين ، نصابُه فى وسَطه ، فكمَن فى زاوية من زوايا المسجد فى غلَس السّحر ، فلم يزل هنالك حتى جاء عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر ، كما كان يفعل ، فلمّا دنا منه وثبَ عليه ؛ فطعنه ثلاثَ طعنات : إحداهنّ تحت السّرّة ، قد خرقت الصّفاق[1] ــ وهى التى قتلته ــ ثم انحاز إلى أهل المسجد ، فطعن فيهم مَنْ يليه حتى طعن أحدَ عشر رجلا سوى عمر ، ثم انتحر بخِنْجره ، فقال عمر حين أدركه النّزف: قولوا لعبد الرحمن بن عوف؛ فليصلّ بالناس ، ثم غلبه النّزف فأُغمِيَ عليه،

---

(١) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد التى عليه الشعر .

فاحتُمل حتى أدخل بيته ، ثم صلّى عبد الرحمن بالناس ، قال ابن عباس : فلم أزلْ عند عمر وهو مغمّى عليه لم يزل فى غَشْيةٍ واحدة ،حتى أسفر ، فلمّا أسفرأفاق ، فنظرفى وجوه مَنْ حوله ، وقال : أصلّى الناس ؟ فقيل : نعم ، فقال : لا إسلام لمن تَرَكَ الصلاة ، ثم دعا بوضوء فتوضّأ وصلّى ، ثم قال: اخرج يابنَ عباس ، فاسأل مَنْ قتلنى ؟ فجئت حتى فتحت باب الدار ، فإذا الناس مجتمعون ،فقلت : مَنْ طعن أمير المؤمنين ؟ قالوا : طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ، قال ابن عباس : فدخلتُ فإذا عمر ينظر إلى الباب يستأنى خبرَ مابعثنى له ، فقلت : ياأمير المؤمنين ، زعم الناس أنه عدوّ اللهأبو لؤلؤة غلامالمغيرة بن شعبة، وأنهطعن رهطاً ثم قتل نفسه ، فقال: الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجّنى عند الله بسجْدة سجدهاله قطّ ، ما كانتالعرب لتقتُلَنى ،ثم قال: أرسلوا إلى طبيب ينظر جَرْحى،فأرسلوا إلى طبيب من العرب ، فسقاه نبيذاً فخرجمن الجرح ، فاشتبه عليهم الدمبالنبيذ ، ثم دَعَوْا طبيبا آخر فسقاه لبنا ، فخرج اللبن من الطعنة صَلْداً أبيض ، فقال الطّبيب : اعْهَد ياأمير المؤمنين عهدَكَ ، فقال :لقد صدقنى ، ولو قالغير ذلك لكذب ،فبكى عليه القوم حتىأسمعوا مَنْ خارج الدار ، فقال : لاتبكوا علينا ، ألا ومَنْ كان باكيا فليخرج ، فإن النبى صلى الله عليه وآله قال : « إن الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه » .

وروى عنعبد الله بن عمر، أنهقال :سمعتُ أبى يقول: لقد طعننى أبو لؤلؤةطعنتيْن، وما أظنّه إلّا كلباً حتى طعننى الثالثة .

وروى أن عبد الرحمن بن عوف طرح على أبى لؤلؤة بعدأن طعن الناس خَمِيصة[1] كانت عليه، فلما حصل فيها نحر نفسه ، فاحتزّ عبد الرحمن رأسهواجتمع البدريّونوأعيان المهاجرين والأنصار بالباب ، فقال عمر لابنعباس : اخرج إليهم ، فاسألهم أعن ملأٍ منكم

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة .

كان هذا الذى أصابنى ؟ فخرج يسألهم ، فقال القوم : لا والله ، ولوددنا أنّ الله زاد فى عمره من أعمارنا !

وروى عبد الله بن عمر ، قال : كان أبى يكتبُ إلى أمراء الجيوش : لا تجلبُوا إلينا من العلُوج أحداً جرتْ عليه المواسى ، فلمّا طعنه أبو لؤلؤة ، قال : منْ بى ؟ قالوا : غلام المغيرة ، قال : ألم أقل لكم : لا تجلبوا إلينا من العُلوج أحدا ، فغلبتمونى !

وروى محمد بن إسماعيل البخاريّ فى صحيحه عن عمرو بن ميمون ، قال : إنّى[(١)] لقائم ما بينى وبين عمر إلا عبدُ الله بن عباس غداةَ أصيب ، وكان إذا مرَّ بين الصفّين ، قال : استوُوا ؛ حتى إذا لم ير بيننا[(٢)] خللاً تقدم فكبّر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل فى الركعة الأولى [أو نحو ذلك فى الركعة الثانية] [(٣)] حتى يجتمع الناس ، فما هو إلّا أنْ كبّر ، فسمعته يقول : قتلنى — أو أكلنى — الكلب ؛ وذلك حين طعنه العِلْجُ بسكّين ذات طرفين ؛ لا يمرُّ على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم ستّة[(٤)] ، فلمّا رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرْنساً ، فلما ظن العِلْج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر بيده عبد الرحمن بن عوف ، فقدّمه ، فمن يلى عمر ، فقد رأى الذى رأى ، وأمّا نواحى المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر ، فهم يقولون : سبحان الله ! فصلّى عبد الرحمن صلاة خفيفةً ، فلمّا انصرفوا قال : يابن عباس ، انْظُر مَنْ قتلنى ؟ فجال ساعةً ؛ ثم جاء فقال : غلام المغيرة ؛ قال : الصَّنَع ! قال : نعم ،

---

(١) صدر الحديث كما فى البخارى « رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف ؛ قال : كيف فعلتما ؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض مالا تطيق ؟ قالا : حملناها أمراً هى له مطيقة ، ما فيها كبير فضل ؛ قال : انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ؟ قالا : لا ؛ فقال عمر : لئن سلمنى الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبداً . قال : فما أتت عليه رابعة حتى أصيب ؛ قال : إنى لقائم . . . » .

(٢) البخارى : « فيهن » (٣) من رواية البخارى

(٤) البخارى : « سبعة » .

قال : قاتله الله ؛ لقد أمرتُ به معروفاً ، الحمد لله الذى لم يجعل منيتى[1] بيد رجل يدّعى الإسلام ، وقد كنت أنت وأبوك تحبّان أن يكثر العُلوج ـ وكان العباس أكثرهم رقيقاً ـ فقال : إن شئت فعلنا[2] ؛ أى قتلناهم ، قال : كذبت بعد أن تكلّموا بلسانكم وصلّوا قبلتكم ، وحجّوا حجكم ! فاحتُمِل إلى بيته ، وانطلقنا معه ، وكأنّ الناس لم تصبهم مصيبة قبلَ يومئذ ، فقائل : يقول : لا بأس عليه ، وقائل يقول : أخاف عليه ، فأُتِىَ بنبيذ فشربه ، فخرج من جوفه ، ثم أُتِىَ بلَبَنٍ فشربه فخرج من جَوْفه ، فعلموا أنه ميّت ، فدخل الناس يثنون عليه ، وجاء [رجل][3] شابٌّ ؛ فقال : أبشر يا أميرَ المؤمنين ببشرى الله ، لك صحبة رسول الله وقدمٌ فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وُلّيت فعدلْت ، ثم الشهادة . فقال عمر : وددت أنّ ذلك كلّه كان كفافاً ، لا علىّ ولا لى ، فلمّا أدبر إذا رداؤه[4] يمسّ الأرض ، فقال : ردُّوا علىّ الغلام ، فردوه ، فقال : يابن أخى ، ارفع ثوبك ، فإنه أبقى لثوبك ، وأتقَى لربك ؛ ياعبد الله بن عمر ، انظر ماعلىّ من دَيْن ؛ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه ، فقال : إن وَفَى به مال آل عمر فأدِّه من أموالهم ، وإلّا فَسَلْ فى بنى عدىّ بن كعب ، فإن لم تَفِ به أموالهم ، فسلْ فى قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم ؛ وأدِّ عنّى هذا المال ، انطلق إلى عائشة ، فقل لها : يقرأ عليك السّلام عمر ـ ولا تقل « أمير المؤمنين » ، فإنى اليومَ لستُ للمؤمنين أميراً ـ وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفَن مع صاحبيه ، فمضى وسلّم ، واستأذنَ ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكى ، فقال : يقرأ عليك عمر السّلام ويستأذن أن يدفَن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ـ يعنى الموضع ـ ولأوثرنّه اليوم على نفسى . فلمّا أقبل قيل : هذا عبد الله قد جاء ، قال : ارفعونى ، فأسندوه إلى رجل منهم ، قال : ياعبد الله مالديك ؟ قال : الذى تحبّ يا أميرَ المؤمنين ، قد أذنتْ ، قال : الحمد لله ، ما كان شىء أهم إلىّ من

---

(١) البخارى : « منيتى » .
(٢) البخارى : « فعلت » .
(٣) من صحيح البخارى .
(٤) البخارى : « إزاره » .

ذلك ، إذا أنا قبضت فاحملني ، ثم سلِّم عليها ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإنْ أذنَتْ لي فأدخلوني ، وإن ردّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين ، وادفنوني بين المسلمين

وجاءت ابنتُه حفصة ، والنّساء معها، قال : فلمّا رأيناها قُمْنا ، فولجت عليه فبكتْ عنده ساعة ، واستأذن الرجال فولجتْ بيتا داخلاً لهم ، فسمعنا بكاءها من البيت الدّاخل فقال : أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلِفْ ، فقال : ما أجِدُ أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو قال : الرهط ـ الّذين توفّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، فسمّى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن ، وقال : يَشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابت الإمارة [١] سعداً ، فهو أهلٌ لذلك ، وإلّا فليستعِنْ به أيّكم أمّر ، فإني لم أعزله عن عجز ولا عن خيانة ، ثم قال : أوصِي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين : أن يعرف لهم حقّهم ، ويحفظ لهم حُرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً ، الذين تبوءوا الدّار والإيمان من قبلهم : أن يقبل من محسنهم وأن يعفوَ عن مسيئهم ، وأوصيه بأهلِ الأمصار خيراً ، فإنهم رِدءُ الإسلام وجباة الأموال ، وغَيظ العدوّ : ألّا يأخذ منهم إلا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً ، فإنّهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام : أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، ويردّ على فقرائهم ، وأوصيه بذمّة الله وذمّة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل مَنْ وراءهم ، وألّا يكلفوا إلا طاقتهم .

قال : فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي ، فسلّم عبد الله بن عمر ، وقال : يستأذن عمر ابن الخطاب ، فقالت : أدخلوه ، فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه [٢] .

* * *

---

(١) البخاري : « الإمرة » .

(٢) صحيح البخاري ٢ : ٢٩٧ ــ ٢٩٩ ، وبقية الحديث : « فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : جعلت أمري إلى عليّ ! فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا فنجعله إليه والله عليه ، والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه ؟ فأسكت الشيخان ؛ فقال =

وقال ابنُ عباس : أنا أوّل مَنْ أتى عمر حين طُعِن ، فقال : احفظ عنّى ثلاثا ، فإنّى أخاف ألّا يدركنى الناس ، أمّا أنا فلم أقضِ فى الـكلالة ، ولم أستخلف على الناس ، وكلّ مملوكٍ لى عتيق ، فقلت له : أبشر بالجنة ، صاحبتَ رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلت صحبتَه ، ووليت أمر المسلمين فقويت عليه ، وأدّيت الأمانة .

قال : أما تبشيرك لى بالجنّة،فوالله الذى لا إله إلا هو،لو أن لى الدنيا بمافيها لافتديت به من هَوْل ما أمامى قبل أن أعلم ما الخبر ، وأمّا ماذكرت من أمر المسلمين فلوددتُ أنّ ذلك كان كَفافا لا علىّ ولا لى ، وأما ماذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو ذلك .

وروى معمر ، عن الزهرىّ،عن سالم عن عبد الله ، قال : دخلتُ على أبى ، فقلت : سمعتُ الناس يقولون مقالة ــ وآليت أنْ أقولها لك ــ زعموا أنك غير مستخلِف ، وأنه لو كان لك راعى إبل أو غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيّع ، فرعاية النـاس أشدّ ، فوضع رأسه ثم رفعه ، فقال : إنّ الله تعالى يحفظ دينَه ؛ إن لم أستخلِف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلِفْ ، وإن استخلفتُ فإن أبا بـكر قد استخلف . فوالله ماهو إلا أن ذكر رسول الله وأبا بكر ، فعلمت أنه لم يكن يعدِل برسول الله صلى الله عليهوآله أحداً ، وأنه غير مستخلِف .

وروى أنه قال : وقد أذِنَتْ لعائشة فى أن يدفن فى بيتها : إذا متّ فاستأذنوهامرّةً ثانية ، فإن أذنت ، وإلا فاتركوها ، فإنّى أخشى أن تـكونَ أذنت لى لسلطانى ، فاستأذنوها بعد موته فأذنت .

= عبدالرحمن : أتجعلونه إلىّ ، والله علىّ ألا آلوا عن أفضلكم ؟ قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهافقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليـه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت ؟ فالله عليك لئن أمرتك لتعدلنّ ! ولئن أمرت عثمان لتسمعنّ ولتطيعن ! ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك ؟ فلـما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له علىّ ، وولج أهل الدار فبايعوه » .

وروى عمر بن ميمون ، قال : لما طعن عمر ، دخل عليه كعب الأحبار ، فقال : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [١] ، قد أنبأتك أنك شهيد ، فقال : من أين لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب !

وروى ابنُ عبّاس ، قال : لما طُعِن عمر وجئته بخبر أبى لؤلؤة أتيته والبيت ملآن . فكرهت أن أتخطّى رقابهم ـ وكنت حديث السنّ ـ فجلست وهو مسجًّى ، وجاء كعب الأحبار ، وقال : لئن دعا أمير المؤمنين ليبقيَه الله لهذه الأمّة حتى يفعل فيها كذا وكذا ! حتى ذكر المنافقين فيمن ذكر ، فقلت : أبلغه ماتقول : قال : ماقلت إلا وأنا أريد أن تبلغه ، فتشجّعت وقمت ، فتخطّيت رقابَهم ، حتى جلست عند رأسه ، وقلت : إنّك أرسلتنى بكذا ، إنّ عبد المغيرة قتلك وأصاب معك ثلاثة عشر إنسانا ، وإن كعبا هاهنا وهو يحلف بكذا ، فقال : ادعو إلى كعبا ، فدُعِيَ فقال :ماتقول؟قال:أقول كذا ، قال : لا والله لاأدعو ، ولكن شَقِيَ عمر إن لم يغفر الله له .

وروى المِسْوَرين مخرَمة ، أن عمر لما طعن أُغْمِيَ عليه طويلا ، فقيل إنكم لم توقظوه بشىء مثل الصّلاة إن كانت به حياة ! فقالوا ! الصلاة : ياأمير المؤمنين ، الصلاة قد صُلّيت ! فانتبه ، فقال : الصّلاة ، لاها اللهِ لا آتركها ، لاحظّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة ! فصلّى ، وإن جرحه لينثعب [٢] دما .

وروى المِسْور ابن مخرمة ، أيضا ، قال : لما طُعِن عمر ، جعل يألم ويجزَع ، فقال ابن عباس : ولا وكلّ ذلك ياأمير المؤمنين ، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راضٍ ، وصحبت أبا بكر وأحسنت صحبته ، وفارقك وهو عنك راضٍ ، ثم صحبت المسلمين فأحسنت إليهم وفارقتهم وهم عنك راضون .

---

(١) سورة البقرة ١٤٧ — (٢) ينثعب : يسيل .

قال : أمّا ما ذكرتَ من صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر فذلك ، ممّا منّ الله به عليّ ، وأما ما ترى من جزعي فوالله لو أنّ لي بما في الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه — وفي رواية لافتديت به من هول المطلع . وفي رواية : المغرور مَنْ غررتموه! لو أنّ لي ماعلى ظهرها من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع . وفي رواية : في الإمارة عليّ تثني يابن عباس ! قلتُ : وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها ، لا حَرَج ولا وزْر . وفي رواية : لو كان لي ماطلعت عليه الشمس لافتديتُ به من كَرْب ساعة — يعني الموت — كيف ولم أرد النّاس بعد ! وفي رواية : لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هَوْل ماأمامي ، قبل أن أعلم ما الخبر .

قال ابن عباس : فسمعنا صوت أمّ كلثوم : واعمراه ! وكان معها نسوة يبكين، فارتجّ البيت بكاء ، فقال عمر : ويلَ عمر ، إن الله لم يغفر له ! فقلت : والله إني لأرجو ألّا تراها إلا مقدار ماقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [١]، إن كنتَ — ماعلمنا — لأميرَ المؤمنين ، وسيّدَ المسلمين ، تقضي بالكتاب ، وتقسم بالسويّة .

فأعجبه قولي ، فاستوى جالسا فقال : أتشهد لي بهذا يابن عباس ؟ فكععت — أي جبنت — فضرب عليّ عليه السلام بين كتفي ، وقال : اشهد . وفي رواية لِمَ تجزع ياأمير المؤمنين ؟ فوالله لقد كان إسلامك عزّا وإمارتك فتحا ، ولقد ملأتَ الأرض عدلا فقال : أتشهد لي بذلك يابن عباس ؟ قال : فكأنه كره الشهادة ، فتوقّف ، فقال له عليّ عليه السلام : قلْ: نعم ، وأنا معك ، فقال : نعم .

وفي رواية أنه قال : مسست جلده وهو ملقى، فقلت: جلدلا تمسّه النّار أبدا، فنظر إليّ نظرة جعلت أرثي له منها ، قال : وما علمك بذلك ؟ قلت : صحبت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فأحسنتَ صحبته . . . الحديث ، فقال : لو أنّ لي مافي الأرض لافتديت

---

(١) سورة مريم ٧١ .

به من عذاب الله قبل أن ألقاه أو أراه .

وفي رواية ، قال : فأنكرنا الصوت ، وإذا عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : طُعِن أمير المؤمنين . فانصرف الناس وهو في دمه مسجّى ، لم يصلّ الفجر بعد ، فقيل : ياأمير المؤمنين : الصلاة ! فرفع رأسه،وقال:لاهاالله إذنْ،لاحظّ لامرئٍ في الإسلام ضيّع صلاته.ثم وثب ليقوم فانثعب جرحُه دما ، فقال : هاتوا لي عمامة ، فعصب بها جُرحه،ثم صلّى وذكر، ثم التفت إلى ابنه عبد الله ، وقال : ضع خدّي إلى الأرض ياعبد الله ، قال عبد الله : فلم أعْجَ بها ، وظننت أنّها اختلاس من عقله ، فقالها مرة أخرى : ضع خدّي إلى الأرض يابنيّ فلم أفعل ، فقال الثالثة : ضَعْ خدّي إلى الأرض ، لا أمّ لك ! فعرفت أنه مجتمع العقل ، ولم يمنعه أن يضعه هو إلّا مابه من الغَلبة ، فوضعت خدّه إلى الأرض،حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجةً من أضعاف التراب ، وبكى حتى نظرت إلى الطّين قد لصق بعينه ، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول ، فسمعته يقول : ياويلَ عمر ! وويل أمّ عمر ، إن لم يتجاوز الله عنه !

وقد جاء في رواية ، أنّ عليا عليه السلام جاء حتى وقف عليه ، فقال:ماأحدٌ أحبَّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجَّى !

ورُوِي عن حفصة أم المؤمنين ، قالت : سمعت أبي يقول في دعائه : اللهمَّ قتلًا في سبيلك ، ووفاة في بلد نبيّك ! قلت : وأنّى يكون هذا ؟ قال : يأتي به الله إذا شاء .

ويروَى أن كعبا كان يقول له : نجدُك في كتبنا تموت شهيدا ؛ فيقول : كيف لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب !

وروى المِقْدام بن مَعْدِ يكرب ، قال : لما أصيب عمر دخلتْ عليه حفصة ابنته ، فنادتْ : ياصاحبَ رسول الله ، وياصهرَ رسول الله ، وياأميرَ المؤمنين ! فقال لابنه عبدالله: أجلِسْني ، فلا صبْرَ لي على ما أسمع ، فأسنده إلى صدره ، فقال لها : إنّي أحرّج عليك

بمالي عليكِ من الحقّ أن تندبيني بعد مجلسك هذا ، فأما عينك فلنْ أملكَها ، إنه ليس من ميّت يُندب عليه بما ليس فيه ، إلا الملائكة تمقته !

وروى الأحنف ، قال : سمعت عمر يقول : إن قريشاً رءوس الناس، ليس أحد منهم يدخل من باب إلا دخل معه طائفة من الناس ، فلمّا أصيب عمر أمر صُهيباً أن يصلّيَ بالناس ثلاثة أيام ويُطعمهم ، حتى يجتمعوا على رجلٍ ، فلما وُضِعت الموائد كفَّ الناس عن الطعام ، فقال العباس بن عبد المطلب : أيّها الناس ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات فأكلْنا بعده ، ومات أبو بكر فأكلْنا بعده ، وإنه لابدّ للناس من الأكل ، ثم مدّ يده فأكل من الطعام ، فعرفت قول عمر .

ويروى كثير من الناس الشعر المذكور في الحماسة ، ويزعم أن هاتفا من الجنّ هتف به وهو :

جُزِيتَ عن الإسلام خيراً وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ [1]

فمن يَسْعَ أو يركبْ جناحَيْ نعامةٍ ... ليدركَ ماقدّمتَ بالأمس يُسْبَقِ

قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدَها ... بوائقَ في أكمامها لم تُفَتَّقِ [2]

أبعدَ قتيلٍ بالمدينة أظلمتْ ... له الأرض تهتزّ العضاه بأسوُقِ ! [3]

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاتُه ... بكَفَّيْ سَبَنْتَى أزرقِ العين مُطْرِقِ [4]

تظلّ الحصان البِكْر يُلْقِي جنينَها ... نَثَا خبرٍ فوق المطيّ مُعلَّقِ

والأكثرون يروونها لمزرّد أخي الشّمّاخ ، ومنهم من يرويها للشماخ نفسه .

* * *

---

(١) ديوان الحماسة ــ بشرح المرزوقي ٣ : ١٠٩٠ ونسبها إلى الشماخ .
(٢) البوائق : الدواهي العامة . (٣) العضاه : شجر .
(٤) السبنتى ، أصله في النمر ، ويستعمل في الجريء المقدم . والمطرق : الغليظ الجفن الثقيله .

[فصل فى ذكر ماطعن به على عمر ، والجواب عنه]

ونذكرفى هذا الموضع ماطعن به على عمرفى " المغنى " من المطاعن ، وما اعترض به الشريف المرتضى على قاضى القضاة ، وما أجاب به قاضى القضاة ، فى كتابه المعروف " بالشافى "، ونذكر ماعندنا فى البعض من ذلك .

***

الطعن الأول

قال قاضى القضاة : أول ماطعن به عليه قول من قال : إنّه بلغ من قلّة علمه أنه لم يعلم أنّ الموت يجوز على النبى صلى الله عليه وآله ، وأنه أسوة الأنبياء فى ذلك ، حتى قال : والله ما مات محمد ، ولا يموت حتى تُقطع أيدى رجال وأرجلهم ، فلما تلا عليه أبو بكر قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (1) ، وقوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... ﴾ (2) الآية ، قال: أيقنت بوفاته ؛ وكأنّى لم أسمع هذه الآية ، فلو كان يحفظ القرآن أو يفكّر فيه لما قال ذلك ، وهذا يدلُّ على بعده من حفظ القرآن وتلاوته ، ومَنْ هذا حاله لايجوز أن يكون إماما .

قال قاضى القضاة : وهذا لايصحّ لأنّه قد روى عنه أنه قال : كيف يموت ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (3) وقال : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (4) ؛ ولذلك نفى موته عليه السلام ، لأنّه حمل الآية على أنها خبر عنه فى حال حياته

---

(١) سورة المؤمنين ١٥
(٢) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٣) سورة التوبة ٣٣
(٤) سورة النور ٥٥ .

حتى قال له أبو بكر : إنّ الله وعده بذلك وسيفعله ، وتلا عليه ماتلا ، فأيقن عنـد ذلك بموته ، وإنما ظنّ أن موته يتأخّرُ عن ذلك الوقت ؛ لا أنّه منعٌ من موته .

ثم سأل [١] قاضى القضاة نفسه ، فقال : فإنْ قيل : فلم قال لأبى بكرعندقراءةالآية: كأنّى لم أسمعها ، ووصف نفسه بأنه أيقن بالوفاة !

وأجاب بأن قال : لمّا كان الوجه فى ظنّه ماأزال أبو بكر الشّبهة فيه ،جازأن يتيقّن.

ثم سأل نفسه عن سبب يقينه فيما لايُعلم إلا بالمشاهدة .

وأجاب بأنّ قرينة الحال عند سماع الخبر أفادته اليقين ، ولو لم يكن فى ذلك إلّا خبر أبى بكر وادّعاؤه لذلك ، والناس مجتمعون ؛ لحصل اليقين .

وقوله : كأنّى لم أقرأ هذه الآية ، أو لم أسمعها ، تنبيه على [٢] ذهوله عن الاستدلال بها، لا أنّه على الحقيقـة لم يقرأها ولم يسمعهـا ، ولا يجب فيمن ذهب عن بعض أحـكام الـكتـاب ألا يعرف القرآن ، لأن ذلك لو دلّ ، لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من يعرف جميع أحكامه . ثم ذكر أنّ حفظ القرآن كلّه غير واجب ،ولا يقدح الإخلال به فى الفضل.

وحكى عن الشيخ أبى علىّ أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام لم يُحط علمُه بجميع الأحكام، ولم يمنع ذلك من فضله ، واستدلّ بما روى من قوله : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليـه وآله حديثاً نفعنى الله به ماشاء أنْ ينفعنى ، وإذا حـدّثنى غيره أحلفته ، فإن حلف لى صدّقته ، وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر. وذكر أنه لم يعرف أىّ موضع يدفن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ،حتى رجع إلى مارواه أبو بكر ، وذكر قصة الزبير فى موالى صفيّة ، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأخذ ميراثهم ، كما أن عليه أن يحمل عقلهم حتى أخبره عمر بخلاف ذلك من أنّ الميراث للابن ، والعقل على العصبة .

---

(١) الشافى : « ثم قال » . (٢) الشافى : « تنبيه عن ذهابه عن الاستدلال » .

ثم سأل نفسه فقال : كيف يجوز ماذكرتم على أمير المؤمنين عليه السلام ، مع قوله : « سَلُونى قبل أن تفقدونى » ، وقوله : إن هاهنا علما جمًا » ، يومىء إلى قلبه ، وقوله : « لو ثنيت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزّبور بزبورهم ، وبين أهل القرآن بقرآنهم » . وقوله : « كنت إذا سئلت أجبت وإذا سكت ابتديت » .

وأجاب عن ذلك بأنّ هذا إنّما يدلُّ على عظم المحلّ فى العلْم ، من غير أن يدلّ على الإحاطة بالجميع .

وحكى عن أبى علىّ استبعاده ماروى من قوله : « لو ثنيت الوسادة » ، قال : لأنه لا يجوز أن يصف نفسه بأنّه يحكم بما لا يجوز ، ومعلوم أنه عليه السلام لا يحكم بين الجميع إلا بالقرآن ، ثنيت له الوسادة أو لم تُثْن ، وهذا يدلّ على أن الخبر موضوع .

* * *

فاعترض الشريف المرتضى ، فقال : ليس يخلو خلاف عمر فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كلّ حال ، والاعتقاد بأنّ الموت لا يجوز عليه على كلّ وجه ،أو يكون منكرا لموته فى تلك الحال ، من حيث لم يُظهر دينَه على الدّين كله ، وما أشبه ذلك مما قال صاحب الكتاب : إنّها كانتْ شبهة فى تأخّر موته عن تلك الحال .

فإن كان الوجه الأوّل ، فهو مما لا يجوز خلاف العقلاء فى مثله ، والعلم بجواز الموت على سائر البشر لا يشكّ فيه عاقل ، والعلم من دينه عليه السلام بأنّه سيموت كما مات مَن قبله ضرورىّ ، وليس يحتاج فى مثل هذا إلى الآيات التى تلاها أبو بكر ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ، وما أشبهها .

وإن كان خلافه على الوجه الثانى ، تأوّل مافيه أنّ هذا الخلاف لا يليق بما احتجّ به أبو بكر من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ؛ لأنه لم ينكر على هذا جواز الموت ، وإنما خالف فى تقدّمه ، وقد كان يجب أن يقول له : وأى حُجّة فى هذه الآيات عَلَى

مَنْ جوّز عليه صلى الله عليه وآله الموت فى المستقبل ، وأنكره فى هذه الحال !

وبعد ، فكيف دخلت الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق ! ومن أين زعم أنه لا يموت حتى يقطع أيدى رجال وأرجلهم ! وكيف حمل معنى قوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ وقوله : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ على أنّ ذلك لا يكون فى المستقبل بعد الوفاة ! وكيف لم يخطر هذا إلا لعمر وحده ، ومعلوم أنّ ضعف الشبهة إنما يكون من ضعف الفكرة ، وقلّة التأمل والبصيرة ! وكيف لم يوقن بموته لمّا رأى ما عليه أهل الإسلام من اعتقاد موته ، وما ركبهم من الحزن والكآبة لفقده ! وهلّا دفع بهذا اليقين ذلك التأويل البعيد ، فلم يحتج إلى مُوقف ومعرّف ! وقد كان يجب — إن كانت هذه شبهة — أن يقول فى حال مرض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد رأى جزع أهله وأصحابه وخوفهم عليه من الوفاة ، حتى يقول أسامة بن زيد معتذرا من تباطئه[1] عن الخروج فى الجيش الذى كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرّر ويردّد الأمر حينئذ بتنفيذه : لم أكن لأسأل عنكَ الرّكب — : ما هذا الجزع والهلع ، وقد أمنكم الله من موته بكذا فى وجه كذا ! وليس هذا من أحكام الكتاب التى يعذر من لا يعرفها على ماظنّه صاحب الكتاب[2] .

* * *

قلت : الذى قرأناه ورويناه من كتب التواريخ ، يدلّ على أن عمر أنكر موت رسول الله صلى الله عليه وآله من الوجهين المذكورين ؛ أنكر أولاً أنْ يموت إلى يوم القيامة ، واعتقد عمر أنه يعمّر كما يعتقد كثير من الناس فى الخضر ، فلمّا حاجّه أبو بكر بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[3] ، وبقوله : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾[4] . رجع عن ذلك الاعتقاد .

وليس يَرِدُ على هذا ما اعترض به المرتضى ؛ لأن عمر ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على البارئ تعالى — أعنى الاستحالة الذاتية — بل اعتقد استمرار حياته إلى يوم

---

(١) الشافى : « من تأخره » .
(٢) الشافى ٢٥٢ .
(٣) سورة الزمر ٣٠
(٤) سورة آل عمران ١٤٤ .

القيامة ، مع كون الموت جائزاً فى العقل عليه ، ولا تناقض فى ذلك ، فإنّ إبليس يبقى حيّاً إلى يوم القيامة ، مع كونِ موتِه جائزا فى العقل ، وما أورده أبو بكر عليه لازم على أن يكون نفيه الموت على هذا الوجه .

وأما الوجه الثانى ، فهو أنّه لمّا دفعه أبو بكر عن ذلك الاعتقاد وقف مع شبهة أخرى، اقتضت عنده أنّ موته يتأخّر ، وإن لم يكن إلى يوم القيامة ، وذلك أنّه تأوّل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (١) ، فجعل الضمير عائدا على الرسول لا على الدين ، وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يظهر بعدُ على سائر الأديان ، فوجب أن تستمرّ حياته إلى أن يظهر على الأديان بمقتضى الوعد الذى لا يجوز عليه الخلف والكذب ، فحاجّه أبو بكر من هذا المقام ، فقال له : إنّما أراد: ليظهر دينَه وسيظهِره فيما بعد ، ولم يقل : « ليظهره الآن » ، فمن ثَمّ قال له : ولو أراد ليظهر الرسولَ صلى الله عليه وآله على الدين كلّه لكان الجواب واحداً ، لأنّه إذا ظهر دينه فقد أظهره هو .

فأمّا قولُ المرتضى رحمه الله : « وكيف دخلت هذه الشُّبْهة على عمر من بين الخلق؟» ، فهكذا تكون الخراطر والشُّبه ! والاعتقادات تسبق إلى ذهن واحد دون غيره ، وكيف دخلت الشُّبهة على جماعة منعوا الزكاة ،واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (٢) دون غيرهم من قبائل العرب ! وكيف دخلت الشبهة على أصحاب الجمل وصِفِّين دون غيرهم ! وكيف دخلت الشبهة عَلَى خوارج النّهْروان دون غيرهم ! وهذا باب واسع .

فأمّا قوله : « ومِنْ أين زعم أنه لا يموت حتى تُقطع أيدى رجال وأرجلهم» ، فإنّ الذى

---

(١) سورة التوبة ٣٣ (٢) سورة التوبه ٩٦ .

ذكره المؤرخون أنه قال : مامات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّما غاب عنّا كما غاب موسى عن قومه ، وسيعود فتقطع أيدى رجال وأرجلهم ممّن أرجف بموته ، وهذه الرواية تخالف ماذكره المرتضَى .

فأمّا قوله : وكيف حمل معنى قوله : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [1] على أنّ ذلك لا يكون فى المستقبل ! فقد بينّا الشّبهة الداخلة عليه فى ذلك ، وكونه ظنّ أن ذلك ، يكون معجّلا على الفور ، وكذلك قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [1] ، فإنه ظنّ أنّ هذا العموم يدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه سيّد المؤمنين ، وسيّد الصالحين ، أو أنّه لفظٌ عام ، والمراد به رسول الله وحده ، كما ورد فى كثير من آيات القرآن مثل ذلك ، فظنّ أنّ هذا الاستخلاف فى جميع الأرض ، وتبديل الخوف بالأمن إنّما هو على الفور لا على التراخى ، وليست هذه الشبهة بضعيفة جدًّا كما ظنّ المرتضى ، بل هى موضع نظر .

فأمّا قوله : « كيف لم يؤمن بموته لما رأى من كآبة النّاس وحزنهم ! » فلأنّ النّاس يبنون الأمْر على الظّاهر ، وعمر نظر فى أمرٍ باطن دقيق ، فاعتقد أن الرسول لم يمُتْ ، وإنّما ألقى شبهَهَ على غيره ، كما ألقى شبَه عيسى على غيره ، فصلِبَ ، وعيسى قد رفع ولم يصلب .

واعلم أنّ أوّل مَنْ سنّ لأهلِ الغيبة من الشيعة القول بأنّ الإمام لم يمُت ولم يقتل ، وإنْ كان فى الظاهر وفى مرأى العين قد قتل أو مات ؛ إنّما هو عمر ؛ ولقد كان يجب على المرتضَى وطائفته أن يشكروه على ما أسّس لهم من هذا الاعتقاد .

---

(١) سورة النور ٥٥ .

فأمّا قوله : فهلّا قال فى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رأى جزعهم لموته: « قد أمّنكم الله من موته » ففير لازم ، لأنّ الشبهة لا تجب أن تخطر بالبال فى كلّ الأوقات ، فلعلّه قد كان فى ذلك الوقت غافلًا عنها مشغول الذهن بغيرها ، ولو صحّ للمرتضى هذا لوجب أن يدفع ويبطل كلّ ما يتجدّد ويطرأ على الناس من الشبهة فى المذاهب والآراء ، فنقول : كيف طرأت عليهم هذه الشبهات الآن ، ولم تطرأ عليهم من قبل ؟ وهذا من اعتراضات المرتضى الضعيفة ، على أنا قد ذكرنا نحن فى الجزء الأول من هذا الكتاب ماقصده عمر بقوله : « إنّ رسول الله لم يمتْ » ، وقلنافيه قولا شافيا لم نسبَق إليه، فليعاوَد.

ثم قال المرتضى : فأمّا ماروِىَ عن أمير المؤمنين عليه السلام من خبر الاستحلاف فى الأخبار ، فلا يدلّ على عدم علم أمير المؤمنين بالحكم ، لأنه يجوز أن يكون استحلافه ليرهب المخبِر ويخوّفه من الكذب على النبي صلى الله عليه وآله ، لأنّ العلم بصحّة الحكم الذى يتضمّنه الخبر لا يقتضى صدق المخبر ، وأيضاً فلا تاريخ لهذا الحديث [(١)] ، ويمكن أن يكون استحلافه عليه السلام للرّواة [(٢)] إنما كان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفى تلك الحال لم يكن محيطا بجميع الأحكام .

فأمّا حديثُ الدّفن وإدخاله فى باب أحكام الدين التى يجب معرفتها فطريف ، وقد يجوز أن يكون أميرُ المؤمنين عليه السلام سمِع من النبى صلى الله عليه وآله فى باب الدّفن مثل ماسمعه أبو بكر ، وكان عازما على العمل به ، حتى روى أبو بكر مارواه فعمِل بما كان يعلمه لامن طريق أبى بكر ، وظنّ الناس أنّ العمل لأجله . ويجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله خيّر وصيّه عليه السلام فى موضع دفنه ، ولم يعيّن له موضعا بعينه ، فلمّا روى أبو بكر مارواه رأى موافقته ، فليس فى هذا دلالة على أنّه عليه السلام استفاد حكما لم يكن عنده .

---

(١) الشافى : « الخبر » .   (٢) الشافى : « فى الأخبار » .

وأمّا موالى صفيّة فحكم الله فيهم ما أفتى به أمير المؤمنين عليه السلام،وليس سكوته حيث سكت عند عمر رجوعاً عمّا أفتى به ، ولكنه كسكوته عن كثير من الحقّ تقيّةً ومداراة للقوم .

وأما قوله عليه السلام : « سلُونِى قبل أن تفقِدونى » ، وقوله : « إنّ هاهنا لعِلْماً جَمّا » ، إلى غير ذلك ، فإنه لايدلّ على عِظَم المحلّ فى العلم فقط ، على ماظنّه صاحب الكتاب ، بل هو قول واثق بنفسه ، آمن من أن يُسأل عمّا لايعلمه ، وكيف يجوز أن يقول مثله على رءوس الأشهاد وظهور المنابر : « سلونى قبل أن تفقدونى » ، وهويعلمأنّ كثيرا من أحكام الدين يعزب عنه [1] ! وأين كان أعداؤه والمتهزونلفرصته وزلّته عن سؤاله عن مشكل المسائل ، وغوامض الأحكام ! والأمر فى هذا ظاهر .

فأمّا استبعاد أبى علىّ لما روى عنه عليه السلام من قوله : « لو ثُنيت لى الوسادة » للوجه الذى ظنّه فهو البعيد ، فإنه لم يفطن لغرضه عليه السلام ، وإنما أراد : أنى كنت أقاضيهم إلى كتبهم الدالة على البشارة بنبيّنا صلى الله عليه وآله وصحّة شرعه ، فأكون حاكما حينئذ عليهم بما تقتضيه كتبهم من هذه الشريعة وأحكام هذا القرآن ، وهذا من جليل الأغراض وعظيمها [2] .

* * *

الطعن الثانى

أنه أمَرَ برجْم حاملٍ حتى نبّهه مُعاذ ، وقال : إن يكن لك عليها سبيلٌ فلا سبيلَ لك على مافى بطنها ، فرجع عن حكمه ، وقال : لولا مُعاذ لهلك عمر . ومَنْ يجهل هذا القدر لايجوز أن يكون إماماً ، لأنه يجرى مجرى أصول الشرع ، بل العقل يدلّ عليه ؛ لأنّ الرّجم عقوبة ، ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحقّ .

---

(١) الشافى : « يعزب » .

(٢) الشافى ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

اعتذر قاضى القضاة عن هذا ، فقال : إنّه ليس فى الخبر أنه أمر برجمها ، مع علمه بأنّها حامل ، لأنه ليس ممّن يخفى عليه هذا القدر ، وهو أنّ الحامل لا تُرْجَم حتى تضع ، وإنما ثبت عنده زناها ، فأمر برجمها على الظاهر ، وإنما قال ماقال فى معاذ لأنه نبّهــه على أنها حامل .

ثم سأل[1] نفسه فقال : فإن قيل : إذا لم تــكن منه معصية، فــكيف يهلك لولا مُعاذ!

وأجاب بأنه لم يرد : لهلك من جهة العــذاب ، وإنّما أراد : أنه كان يجرى بقوله قتل من لا يستحقّ القتل . ويجوز أن يريد بذلك تقصيره فى تعرّف حالها ، لأنّ ذلك لا يمتنع أن يكون بخطيئة وإن صغرت .

اعترض المرتضى على هذا الاعتذار ، فقال : لو كان[2] الأمر على ماظننته لم يكن تنبيه معاذ له على هذا الوجه ، بل كان يجب أن ينبّهه بأن يقول له : هى حامل ، ولا يقول له : إن كان لك سبيلٌ عليها فلا سبيل لك على مافى بطنها ؛ لأنّ هذا قول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بحملها، وأقلّ مايجب لو كان الأمر كما ظنّه صاحب الــكتاب أن يقول لمعاذ: ماذهب علىّ أن الحامل لا تُرجم ، وإنما أمرت برجمها لفقد على بحملها ،فــكان ينفى بهذا القول عن نفسه الشبهة ! وفى إمساكه عنه مع شدّة الحاجة إليه دليل على صحّة قولنا. وقد كان يجب أيضا أن يسأل عن الحمل ، لأنه أحدُ الموانع من الرّجْم، فإذا علم انتفاءه وارتفاعه أمرَ بالرجم ، وصاحب الــكتاب قد اعترف بأن ترك المسألة عن ذلك تقصير وخطيئــة ، وادعى أنها صغيرة ، ومن أين له ذلك ولا دليل يدلّ عنده فى غير الأنبياء عليهم السلام أن معصيةً بعينها صغيرة .

فأمّا إقراره بالهلاك لولا تنبيه مُعاذ ، فإنه يقتضى التعظيم والتفخيم لشأن الفعل، ولا يليق ذلك إلا بالتقصير الواقع ؛ إمّا فى الأمر برجمها مع العلم بأنّها حامل ؛ أو ترك البحث عن ذلك

---

(١) الشافى : « قال : « فإن قيل » .   (٢) الشافى : « يقال له : ما تأولت به فى الخبر من التأويل البعيد ؛ لأن لو كان الأمر على ما ظنه . . . . » .

والمسألة عنه ، وأىّ لوم عليه فى أن يجرى بقوله قتل من لا يستحق القتل إذا لم يكن ذلك عن تفريط منه ولا تقصير[1] !

***

قلت : أمّا ظاهر لفظ مُعاذ فيشعر بما قاله المرتضى ؛ ولم يمتنع أن يكون عمر لم يعلم أنّها حامل وأنّ معاذا قد كان من الأدب أن يقول له : حامل ياأمير المؤمنين ، فعدل عن هذا اللفظ بمقتضى أخلاق العرب وخشونتهم ، فقال له : إنْ كان لك عليها سبيل فلا سبيل لك عَلَى ما فى بطنها ؛ فنبّه على العلة والحكم معا ، وكان الأدب أن ينبّهه على العلّة فقط .

وأمّا عدول عمر عن أن يقول : أنا أعلم أنّ الحامل لا تُرْجَم ، وإنما أمرت برجمها ، لأنى لم أعلم أنها حامل ، فلأنه إنما يجب أن يقول مثل هذا مَنْ يخاف من اضطراب حاله ، أو نقصان ناموسه وقاعدته إن لم يقله ، وعمر كان أثبتَ قدماً فى ولايته ، وأشدّ تمكّنا من أن يحتاج إلى الاعتذار بمثل هذا .

وأما قول المرتضى : كان يجب أن يسأل عن الحمل ، لأنه أحدُ الموانع من الرّجم ، فكلام صحيح لازم ، ولا ريب أنّ ترك السؤال عن ذلك نوع من الخطأ ، ولكن المرتضى قد ظلم قاضى القضاة ، لأنه زعم أنه ادّعى أنّ ذلك صغيرة ، ثم أنكر عليه ذلك ، ومن أين له ذلك ! وأىّ دليل دلّ على أنّ هذه المعصية صغيرة ؛ وقاضى القضاة ما ادّعى أنّ ذلك صغيرة ! بل قال : لا يمتنع أن يكون ذلك خطيئة وإن صَغُرت . والعجب أنه حكى لفظ قاضى القضاة بهذه الصورة ، ثم قال : إنّه ادّعى أنّها صغيرة ، وبين قول القائل : « لا يمتنع أن يكون صغيرة » ، وقوله : « هى صغيرة » لا محالة فرق عظيم .

وأما قول عمر : لولا مُعاذ لهلكَ عمر ، فإنّ ظاهر اللفظ يُشعر بما يريده المرتضى ، ويَنحو إليه ؛ ولا يمتنع أن يكون المقصود به ما ذكره قاضى القضاة وإن كان مرجوحا ؛ فإن القائل خطأً

---

(١) الشافى ٣٥٣ .

قد يقول : هلكت،ليس يعني به العقاب يوم القيامة،بل لوم النّاس وتعنيفهم إيّاه على ترك الاحتراس وإهمال التثبّت .

***

الطعن الثالث

خبر المجنونة التي أمر برجمها ، فنبّهه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : إنّ القلم مرفوعٌ عن المجنون حتى يُفيق . فقال : لولا عليّ لهلكَ عمر[1]!وهذا يدلّ على أنّه لم يكن يعرف الظّاهِرَ من الشريعة .

أجاب قاضي القضاة فقال : ليس في الخبر أنّه عرف جنونها ؛ فيجوز أن يكون الذي نبّه عليه هو جنونها دون الحكم،لأنه كان يعلم أنّ الحدّ لايقام في حال الجنون؛وإنما قال:لولا عليّ لهلك عمر ، لامن جهة المعصية والإثم ، لكن لأنّ حكمه لو نفذ لعظم غمُّه ، ويقال في شدّة الغمّ:إنه هلاك ، كما يقال في الفقر وغيره،وذلك مبالغة منه لما كان يلحقه من الغمّ الذي زال بهذا التنبيه . على أنّ هذا الوجه ممّا لا يمتنع في الشرع أن يكون صحيحا ، وأن يقال: إذا كانت مستحقّة للحدّ ، فإقامته عليها تصح ، وإن لم يكن لها عقل ؛ لأنّه لايخرج الحدّ من أن يكون واقعاً موقعه،ويكون قوله عليه السلام:« رفع القلم عن ثلاث » ، يراد به زوالُ التكليف عنهم دون زوال إجراء الحكم عليهم،ومن هذه حالُه لايمتنع أن يكونَ مشتبها، فرجع فيه إلى غيره ، ولا يكون الخطأ فيه ممّا يعظم فيمنع من صحّة الإمامة .

***

اعترض الشريف المرتضى هذا فقال : لو كان أمر برجم المجنونة من غير علم بجنونها لما قال له أمير المؤمنين: أما علمت أنّ القلم مرفوعٌ عن المجنون حتى يفيق ! بل كان يقول له بدلا من ذلك:هي مجنونة ؛ وكان ينبغي أن يقول عمر متبرّئا من الشبهة:ماعلمت بجنونها؛ ولست ممن يذهب عليه أن المجنون لايرجم ، فلمّا رأيناه استعظم ما أمر به ، وقال : لولا

(١) بعدها في الشافي : « ويروى ذلك لمعاذ » .

على: لهلك عمر؛ دلّنا على أنه كان تأثّم وتحرّج بوقوع الأمر بالرجم، وأنّه مما لا يجوز ولا يحل؛ وإلّا فلا معنى لهذا الكلام. وأمّا ذكر الغمّ، فأيّ غمٍّ كان يلحقه إذا فعل ماله أن يفعله! ولم يكن منه تفريط ولا تقصير؛ لأنّه إذا كان جنونها لم يعلم به؛ فكانت المسألة عن حالها والبحث لا يجبان عليه؛ فأيّ وجه لتألّمه وتوجّعه واستعظامه لما فعله! وهل هذا إلّا كرجم المشهود عليه بالزّنا في أنّه: لو ظهر للإمام بعد ذلك براءة ساحته لم يجب أن يندم على فعله ويستعظمه؛ لأنه وقع صوابا مستحقا.

وأما قوله: إنّه كان لا يمتنع في الشرع أن يقام الحدّ عَلَى المجنون، وتأوّله الخبر المرويّ على أنه يقتضي زوال التكليف دون الأحكام؛ فإنْ أراد أنّه لا يمتنع في العقل أن يقام على المجنون ماهو من جنس الحدّ بغير استخفاف ولا إهانة، فذلك صحيح، كما يقام على التائب وأمّا الحدّ في الحقيقة، وهو الذي تضمّنه الاستخفاف والإهانة فلا يجوز إلّا على المكلّفين ومستحقّ العقاب، وبالجنون قد أزيلَ التكليف، فزال استحقاقُ العقاب الذي تبعه الحدّ.

وقوله: لا يمتنع أن يرجع فيما هذه حاله من المشتبه إلى غيره، فليس هذا من المشتبه الغامض، بل يجبُ أن يعرفه العوّام فضلا عن العلماء، عَلَى أنّا قد بيّنا أنه لا يجوز أن يرْجع الإمام في جَليٍّ ولا مشتَبه من أحكام الدين إلى غيره.

وقوله: إنّ الخطأ في ذلك لا يعظم فيمنع من صحّة الإمامة، اقتراح بغير حُجّة لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيلَ للقطع على أنه صغير [1].

* * *

قلت: لو كان قد نُقل أنّ أمير المؤمنين قال له: «أماعلمت»، لكان قول المرتضى قويًّا ظاهرا، إلا أنه لم ينقل هذه الصيغة بعينها، والمعروف المنقول: أنه قال له: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رُفِـع القلم عن ثلاث»؛ فرجع عن رَجْمها، ويجوز أن يكون أشعره بالعلة

(١) الشافي ٢٥٣، ٢٥٤.

والحُكم معاً ، لأنّ هذا الموضع أكثر اشتباهاً من حديث رَجْم الحامل ، فغلب على ظنّ أمير المؤمنين أنه لو اقتصر على قوله : إنها مجنونة لم يكن ذلك دافعاً لرجمها ، فأكّده برواية الحديث . واعتذار قاضي القضاة بالغمّ جيّد ، وقول المرتضى : أيّ غمٍّ كان يلحقه إذا فعل ماله أن يفعله ! ليس بإنصاف ، ولا مثل هذا يقال فيه إنه فعل ماله أن يفعله ، ولا يقال فى العرف لمن قتل إنسانا خطأً : إنه فعل ماله أن يفعله ، والمرجوم فى الزنا إذا ظهر للإمام بعد قتله براءة ساحته قد يغتمّ بقتله غمّاً كثيرا بالطبع البشرىّ ، ويتألم وإنْ لم يكن آثماً ، وليس من توابع الإثم ولوازمه .

وقول المرتضى : لم يجب أن يندم على مافعلهُ كلامٌ خارج عمّا هو بصدده ؛ لأنّه لم يجرِ ذكر للندم ، وإنما الكلام فى الغمّ ولا يلزم أن يكون كلّ مغتمٍّ نادما .

وأمّا اعتراضُه على قاضي القضاة فى قوله : لا يمتنع فى الشّرع أن ترجم المجنونة ، فلما اشتبه على عمر الأمر سأل غيره عنه بقوله : « إن أردت الحدّ الحقيقى فمعلوم ، وإن أردت ما هو جنسُ الحدّ فسلّمٌ » فليس بجيّد ، لأن هذا إنّما يكون طعناً على عمر بتقدير ثلاثة أمور : أحدها أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد قال : « أقيموا الحد على الزانى » بهذا اللفظ ، أعنى أن يكون فى لفظ النصّ ذكر الحدّ ، وثانيها أن يكون الحدّ فى اللغة العربية أو فى عرف الشرع الذى يتفاهمه الصّحابة هو العقوبة المخصوصة التى يقارنها الاستخفاف والإهانة . وثالثها ألا يصحّ إهانة المجنون والاستخفاف به ، وأنْ يعلم عمر ذلك ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة ثم أمر عمر بأن يقام الحدّ على المجنونة فقد توجّه الطعن ، ومعلوم أنه لم تجتمع هذه الأمور الثلاثة ، فإنه ليس فى القرآن ولا فى السنّة ذكر الحدّ بهذا اللفظ ، ولا الحد فى اللغة العربية هو العقوبة التى يقارنها الاستخفاف والإهانة ولاعُرْف الشرع ومواضعة الصّحابة يشتمل على ذلك ، وإنما هذا شيء استنبطه المتكلّمون المتأخرون بأذهانهم وأفكارهم ؛ ثم بتقدير تسليم هذين المقامين لم قال : إن المجنون

لا يصحّ عليه الاستخفاف والإهانة ؟ فمن الجائز أن يصحّ ذلك عليه وإنْ لم يتألم بالاستخفاف والإهانة كما يتألم بالعقوبة ، وإذا صحّ عليه أن يألم بالعقوبة صح عليه أن أن يألم بالاستخفاف والإهانة ؛ لأنّ الجنون لا يبلغ ـ وإن عظم ـ مبلغاً يبطل تصوّر الإنسان لإهانته ولاستخفافه ؛ وبتقدير ألا يصح على المجنون الاستخفاف والإهانة ، من أين لنا أن عمر علم أن ذلك لا يصحّ عليه ! فمن الممكن أن يكون ظنّ أنّ ذلك يصحّ عليه ، لأن هذا مقام اشتباه والتباس .

فأمّا قوله : « قد بينا أنه لا يجوز أن يرجع الإمام أصلا إلى غيره » ، فهو مبنيٌّ على مذهبهم وقواعدهم . وقوله معترضاً على كلام قاضي القضاة : إن الخطأ في ذلك قد لا يعظُم ليمنع من صحّة الإمامة إنّ هذا اقتراح بغير حجة ، لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل إلى القطع على أنّه صغير غير لازم ، لأن قاضي القضاة لم يقطع بأنه صغير ، بل قال : لا يمتنع ، وإذا جاز أن يكون صغيراً لم تكن قاطعين على فساد الإمامة به .

فإن قال المرتضى : كما أنكم لا تقطعون على أنه صغير ، فتكون الإمامة مشكوكاً فيها ؛ قيل له : الأصل عدم الكبير ، فإذا حصل الشكّ في أمر : هل هو صغير أم كبير ؟ تساقط التعارضُ ، ورجعنا إلى الأصل ؛ وهو عدم كون ذلك الخطأ كبيرا ، فلا يمنع ذلك من صحّة الإمامة .

* * *

الطعن الرابع

حديث أبي العجفاء ، وأنّ عمر منع من المغالاة في صدُقات النّساء ، اقتداء بما كانَ من النبي صلى الله عليه وآله في صَدَاقِ فاطمة ، حتى قامت المرأة ونبهته بقوله تعالى : ﴿ وآتَيْتُمْ إحْدَاهُنّ قِنطَاراً ﴾ [1] ؛ على جواز ذلك ، فقال : كلّ النساء أفقه من عمر !

(١) سورة النساء ٢٠ .

وبما روِىَ أنه تسوّر على قوم ، ووجدهم على منكر ، فقالوا له : إنك أخطأت من جهات : تجسست ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [١] ، ودخلت بغير إذن ، ولم تسلّم [٢] .

أجاب قاضى القضاة ، فقال : علمنا بتقدّم عمر فى العلم وفضله فيه ضرورىّ ، فلا يجوز أن يقدَح فيه بأخبار أحاديث غير مشهورة ، وإنما أراد فى المشهور أنّ المستحبّ الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ المغالاة فيها ليس بمكرُمة ، ثم عند التنبيه ، علم أنّ ذلك مبنىٌّ على طيب النفس ، فقال ما قاله على جهة التواضع ، لأنّ مَنْ أظهر الاستفادة من غيره ـ وإن قلّ علمُه ـ فقد تعاطَى الخضوع ، ونبَّه على أنّ طريقةَ أخذ الفائدة أينما وجدها ؛ وصيّر نفسَه قدوةً فى ذلك وأسْوة ، وذلك حسَن من الفضلاء . وأما حديث التجسّس فإن كان فعله فقد كان له ذلك ، لأنّ للإمام أن يجتهد فى إزالة المنكر بهذا الجنس من الفعل ، وإنّما لحقه ـ على ما [٣] يروى فى الخبر ـ الخجل ، لأنه لم يصادف الأمر على ماألقِىَ إليه فى إقدامهم على المنكر .

***

اعترض المرتضَى على هذا الجواب ، فقال له : أمّا تعويلُك على العلْم الضرورىّ بكونه من أهل العلم والاجتهاد ؛ فذلك إذا صحّ لم ينفعْك ، لأنّه قد يذهب على مَنْ هو بهذه الصفة كثيرٌ من الأحكام حتى ينبّه عليها ويجتهد فيها ، وليس العلم الضرورىّ ثابتاً بأنه عالم بجميع أحكام الدّين ، فيكون قاضياً على هذه الأخبار . فأما تأوّله الحديث وحمله على الاستحباب فهو دفع للعيان ، لأنّ المروىّ أنه منَع من ذلك وحَظره حتى قالت المرأة ماقالت ، ولو كان غيرَ حاظرٍ للمغالاة لما كان فى الآية حُجّة ، ولا كان لكلام المرأة موقع ، ولا كان يعترف لها بأنّها أفقهُ منه ، بل كان الواجب أن يردّ عليها ويوبّخها ويعرفها أنه ماحظر ذلك ، وإنما تكون

---

(١) سورة الحجرات ١٢ .
(٢) ا : « ودخلت ولم تسلم » .
(٣) ا : « روى » .

الآية حُجةً عليه لو كان حاظر مانعاً ، فأمّا التواضع فلا يقتضي إظهارَ القبيح وتصويب الخطأ. ولو كان الأمر على ماتوهّمه صاحبُ الكتاب لكان هو المصيب والمرأة مخطئة ، فكيف يتواضع بكلام يُوهِم أنه المخطئ ، وهي المصيبة ! فأمّا التجسّس فهو محظور بالقرآن والسّنة، وليس للإمام أن يجتهد فيما يؤدّى إلى مخالفة الكتاب والسّنة ، وقد كان يجب إن كان هذا عذرا صحيحا أن يعتذر به إلى من خَطّأه في وجهه وقال له : إنك أخطأت السّنة من وجوه ؛ فإنه بمعاذير نفسه أعلم من صاحب الكتاب ، وتلك الحال حال تدعو إلى الاحتجاج وإقامة العُذر[1] .

***

قلت : قُصارى هذا الطعن أنّ عمر اجتهد في حُكم أو أحكام فأخطأ ، فلمّا نُبِّه عليها رجع ، وهذا عند المعتزلة وأكثر المسلمين غير منكَر ، وإنّما ينكر أمثال هذا من يبطِلُ الاجتهاد ، ويوجِب عصمة الإمام ، فإذن هذا البحث ساقط على أصول المعتزلة ، والجواب عنه غير لازم علينا .

***

الطعن الخامس

أنه كان يعطِي من بيت المال مالا يجوز ، حتّى إنه كان يعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كلّ سنة ، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجرى مجرى الواصل إليهم من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله . وأنّه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القَرْض .

أجاب قاضي القضاة ، بأنّ دفعه إلى الأزواج جائز من حيث إنّ لهنّ حقّاً في بيت

---

(١) الشافي ٢٥٤ ، وزاد بعدها : « وكل هذا تلزيق وتلفيق » .

المال، وللإمام أن يدفع ذلك على قدر مايراه ، وهذا الفعل قد فعله من قبله ومن بعده، ولو كان منكرا لما استمرّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ثبت استمراره عليه ، ولو كان ذلك طعناً لوجب ـ إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين وإلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئاً ـ أن يكونَ فى حكم الخائن ، وكلّ ذلك يبطل ماقالوه ، لأنّ بيت المال إنما يُراد لوضع الأموال فى حُقوقها ثمّ الاجتهاد وإلى المتولّى للأمر فى الكثرة والقلّة .

فأمّا أمر الخمس فمن باب الاجتهاد ، وقد اختلف النّاس فيه ، فمنهم مَنْ جعله حقّاً لذوى القربى وسهما مفرداً لهم على مايقتضيه ظاهر الآية ، ومنهم مَنْ جعله حقًّا لهم من جهة الفقر، وأجراهم مجرَى غيرهم ،وإن كانوا قد خُصّوا بالذكر ، كاأجرى الأيتام ـ وإن خُصّوا بالذكر ـ مجرى غيرهم فى أنهم يستحقّون بالفقر . والكلام فى ذلك يطول ، فلم يخرج عمر بما حَكَم به عن طريقة الاجتهاد ، ومَنْ قَدَح فى ذلك فإنّما يقدح فى الاجتهاد الذى هو طريقة الصحابة .

فأمّا اقتراضُه من بيت المال ، فإنْ صحّ فهو غير محظور ؛ بل ربّما كان أحوط، إذا كان على ثقةٍ من ردّه بمعرفة الوجه الذى يمكنه منه الردّ ، وقد ذكر الفقهاء ذلك ، وقال أكثرهم : إنّ الاحتياط فى مال الأيتام وغيرهم أن يجعل فى ذمّة الغنىّ المأمون ، لبعده عن الخطر، ولا فرق بين أن يقرض الغير أو يقترضه لنفسه .ومَنْ بلغ فى أمره أن يطعن على عمر بمثل هذه الأخبار ـ مع مايعلم من سيرته وتشدّده فى ذات الله واحتياطه فيما يتصل بملك الله ، وتنزّهه عنه ؛حتى فعل بالصبىّ الذى أكل من تمر الصدقة واحدة مافعل ،وحتى كان يرفع نفسه عن الأمر الحقير ويتشدّد على كلّ أحد ، حتى على ولده ـ فقد أبعدَ فى القول.

***

اعترض المرتَضَى ، فقال : أمّا تفضيلُ الأزواج ، فإنه لا يجوز ، لأنه لاسبب فيهنّ

يقتضى ذلك، وإنما يفضّل الإمام فى العطاء ذوى الأسباب المقتضية لذلك، مثل الجهاد وغيره من الأمور العامّ نفعها المسلمين.

وقوله: إنّ لهنّ حقًّا فى بيت المال صحيح، إلا أنه لا يقتضى تفضيلهنّ على غيرهنّ، وما عِيبَ بدفع حقهنّ إليهنّ، وإنما عِيب بالزيادة عليه، وما يُعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استمرّ على ذلك — وإن كان صحيحاً كما ادّعى — فالسّبب الداعى إلى الاستمرار عليه، هو السبب الداعى إلى الاستمرار على جميع الأحكام، فأمّا تعلّقه بدفع أمير المؤمنين إلى الحسن والحسين وغيرهما شيئاً من بيت المال فعجَب! لأنه لم يفضّل هؤلاء فى العطيّة فيشبه ماذكرناه فى الأزواج، وإنما أعطاهم حقوقَهم، وسوّى بينهم وبين غيرهم.

فأما الخمس، فهو للرسول ولأقربائه، على مانطق به القرآن، وإنما عنى تعالى بقوله: ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] من كانَ مِنْ آلِ الرسول خاصّة؛ لأدلّة كثيرة لاحاجةَ بنا إلى ذكرها هاهنا. وقد روى سُليم بن قيس الهلالىّ، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نحن والله الذين عَنَى الله بذى القربى، قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلى الله عليه وآله، فقال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2]؛ كلّ هؤلاء منّا خاصّة، ولم يجعل لنا سهماً فى الصدقة، أكرم الله تعالى نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ مافى أيدى الناس. وروى يزيد بن هرم، قال: كتب نجدة إلى ابن عباس، يسأله عن الخمس لمن هُو؟ فكتب إليه: كتبت تسألنى عن الخمس لمن هُو؟ وإنّا كنا نزعم أنه لنا، فأبى قومُنا علينا ذلك، فصبرنا عليه.

قال: وأمّا الاجتهاد الذى عوّل عليه، فليس عذراً فى إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه.

---

(١) سورة الأنفال ٤١ (٢) سورة الحشر ٧.

وأما الاقتراض من بيت المال فهو ممّا يدعو إلى الريبة ، ومَنْ كانَ من التشدّدو التحفظ والتقشّف على الحدّ الذى ذكره ؛ كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال ، وفيه حقوق وربّما مسّت الحاجة إلى الإخراج منها، وأىّ حاجة لمن كان جَشِب المأكل ، خشن الملبس، يتبلّغ بالقوت إلى اقتراض الأموال !

فأمّا حكايته عن الفقهاء ؛ أنّ الاحتياط أن يحفَظ مال الايتام فى ذمّة الغنىّ المأمون ؛ فذلك إذا صحّ لم يكن نافعا له ، لأن عمرَ لم يكن غنيّاً ، ولو كان غنيًّا لما اقترض ، فقد خرج اقتراضهُ عن أن يكون من باب الاحتياط ، وإنما اشترط[1] الفقهاء مع الأمانة الغِنَى، لئلا تمسّ الحاجة إليه ، فلا يمكن ارتجاعه ، ولهذا قلنا : إنّ اقتراضَه لحاجته إلى المال لم يكن صواباً وحسنَ نظر للمسلمين[2] .

* * *

قلت : أما قوله : لا يجوز للإمام أن يفضّل فى العطاء إلا لسبب يقتضى ذلك كالجهاد ؛ فليست أسبابُ التفضيل مقصورةً على الجهاد وحدَه ، فقد يستحقّ الإنسان التفضيل فى العطاء على غيره لكثرة عبادته ، أو لكثرة علمه ، أو انتفاع النّاس به ، فلم لا يجوز أن يكونَ عمر فضّل الزوجات لذلك !

وأيضا : فإنّ الله تعالى فرضَ لذوِى القربى مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله نصيباً فى الفىء والغنيمة ، ليس إلا لأنهم ذوو قرابته فقط ، فما المانع من أن يقيس عمر عَلَى ذلك مافعله فى العطاء ، فيفضّل ذوِى قرابة رسول فى ذلك عَلَى غيرهم، ليس إلّا لأنهم ذوُو قرابته، والزوجاتُ وإن لم يكن لهنّ قُربى النّسب فلهنّ قُربى الزوجيّة ! وكيف يقول المرتضَى : ما جاز أن يفضّل أحداً إلا بالجهاد ! وقد فضّل الحسن والحسين على كثير من أكابر المهاجرين والأنصار وهما صبيّان ، ماجاهدا ! ولا بلغا الحُلم بعد ، وأبوهما أمير المؤمنين

(١) الشافى : « شرط » .

(٢) الشافى ٢٥٥ ، وبعدها : « وفيه كفاية » .

موافق على ذلك ، راضٍ به ، غير منكِر له ! وهل فعل عمرُ ذلك إلا لقُربهما من رسول الله صلى الله عليه وآله !

ونحن نذكر مافعله عمر فى هذا الباب مختصَراً نقلناه من كتاب أبى الفرج عبد الرحمن ابن على بن الجوزى المحدّث فى « أخبار عمر وسيرته » .

روى أبو الفَرَج ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : استشار عمر الصحابة بمن يبدأ فى القَسْم والفريضة ، فقالوا : ابدأ بنفسك ، فقال : بل أبدأ بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وذَوِى قرابته ، فبدأ بالعباس .

قال ابن الجوزىّ : وقد وقع الاتّفاق على أنّه لم يفرِضْ لأحدٍ أكثر مما فَرَض له .

وروى أنه فرَض له اثنى عشر ألفا ، وهو الأصحّ ، ثم فرض لزوجاتِ رسول الله صلى الله عليه وآله لكلّ واحدة عشرة آلاف ، وفضّل عائشة عليهن بألفين فأبت ، فقال : ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإذا أخذتِ فشأنك . واستثنى من الزوجات جُويرِيَة وصفيّة وميمونة ، ففرض لكلّ واحدةٍ منهنّ ستة آلاف ، فقالت عائشة : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعدِل بيننا ، فعدّل عمر بينهنّ ، وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهنّ ، ثم فرض للمهاجرين الّذين شهدوا بدرا لكلّ واحد خمسة آلاف ، ولمن شهدها من الأنصار لكلّ واحد أربعة آلاف[1] .

وقد روى أنه فرض لكلّ واحدٍ ممّن شهد بدراً من المهاجرين أو من الأنصار أو من غيرهم من القبائل خمسة آلاف ، ثم فرض لمن شهد أُحُدا وما بعدها إلى الحديبية أربعة آلاف ، ثم فرض لكلّ مَنْ شهد المشاهد بعد الحديبية ثلاثة آلاف ، ثم فرضَ لكلّ مَنْ شهد المشاهد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ألفين وخمسمائة ، وألفين ، وألفا

(١) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٨٠ .

وخمسمائة ، وألفا واحدا إلى مائتين ، وهم أهل هَجَر ؛ ومات عمر على ذلك [١] .

قال ابن الجوزيّ : وأدخل عمر فى أهلِ بدر ممّن لم يحضر بدراً أربعة ، وهم الحسن ، والحسين ، وأبو ذَرّ ، وسلمان ، ففرض لكلّ واحد منهم خمسة آلاف .

قال ابن الجوزيّ : وروى السّدىّ أن عمرَ كسا أصحابَ النبى صلى الله عليه وآله ، فلم يرتضِ فى الكسوة مايستصلحه للحسن والحسين عليهما السلام ،فبعث إلى اليمن ، فأتِىَ لهما بكسوة فاخرة ، فلمّا كساهما قال : الآن طابتْ نفسى .

قال ابن الجوزى : فأمّا مااعتمده فى النّساء فإنه جعل نساءأهلِ بدرعلى خمسمائة،ونساء مَنْ بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة ، ونساء من بعد ذلك على ثلاثمائة ،وجعل نساءأهل القادسيّة على مائتين مائتين ، ثم سوّى بين النساء بعد ذلك .

ولو لم يدلّ على تصويب عمر فيما فعله إلا إجماع الصحابة واتفاقهم عليه وترك الإنكار لذلك كان كافيا .

فأما الخمس والخلاف فيه فإنها مسألة اجتهادية ، والذى يظهر لنا فيه ويغلب [٢] عندنا من أمرها ؛ أنّ الخمس حقّ صحيح ثابت ، وأنه باقٍ إلى الآن على مايذهب إليه الشافعىّ، وأنّه لم يسقط بموت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكنّا لانرى مايعتقده المرتضَى مِنْ أنّ الخمس لآل الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنّ الأيتام أيتامهم ، والمساكين مساكينهم وابن السبيل منهم ، لأنه على خلاف مايقتضيه ظاهر الآية والعطف ، ويمكن أن يحتجّ على ذلك بأن قوله تعالى فى سورة الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ يبطل هذا القول ، لأن هذه اللام لابدّ أن تتعلق بشىء ، وليس قبلها ما تتعلّق به أصلا ، إلا أن تجعل بدلا من اللام التى قبلها فى قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب ٨١ .

(٢) ب : « يتغلب » .

وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[1] . وليس يجوز أن تكون بدلا من اللام فى «لله» ، ولا من اللام فى قوله : «وللرسول» فبقىَ أن تكون بدلامن اللام فى قوله « ولذى القربى » ، أما الأول فتعظيما له سبحانه ، وأما الثانى فلأنه تعالى قد أخرج رسولَه من الفقراء بقوله : ﴿ وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، ولأنه يجب أن يرفع رسول الله صلى الله عليه وآله عن التسمية بالفقير . وأمّا الثالث ، فإمّا أن يفسّر هذا البدل وماعطف عليه المبدل منه ، أو يفسّر هذا البدل وحده دون ماعُطِف عليه المبدل منه، والأول لايصحّ لأنّ المعطوف على هـذا البدل ليس من أهل القرى وهم الأنصار ، ألا ترى كيف قال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ... ﴾[2] الآية، ثم قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[3] وهم الأنصار . وإنْ كان الثانى صار تقدير الآية أنّ الخمس لله وللرسول ولذى القربى الذين وصفهم الله ونعتهم بأنّهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، والأنصار ؛ فيكون هذا مبطلاً لما يذهب إليه المرتضى فى قصر الخُمس على ذوى القربى .

ويمكن أن يعترضَ هذا الاحتجاج ، فيقال : لم لايجوز أنْ يكون قوله :﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ ، ليس بعطف ، ولكنّه كلام مبتدأ ، وموضع« الّذينَ »رفع بالابتداء وخبره « يحبون » ؟

وأيضا فإنّ هـذه الحجّة لا يمكن التمسك بها فى آية الأنفال ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾[4] .

فأما رواية سُلَيم بن قيس الهلالىّ ، فليست بشىء ، وسُليم معروف المذهب ،ويكفى فى ردّ روايته كتابه المعروف بينهم المسمى « كتاب سُليم » .

---

(١) سورة الحشر ٧
(٢) سورة الحشر ٨ .
(٣) سورة الحشر ٩
(٤) سورة الأنفال ٤١ .

على أنّى قد سمعت من بعضهم مَنْ يذكر أنّ هـذا الاسم على غير مسمّى ، وأنه لم يكن فى الدنيا أحدٌ يعرَف بسليم بن قيس الهلالىّ ، وأن[1] الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لا أصل له ، وإن كان بعضُهم يذكره فى اسم الرجال ، والرواية المذكورة عن ابن عباس فى كتابه إلى نَجْدة الحَروريّ صحيحة ثابتة ، وليس فيها ما يدلّ على مذهب المرتضى من أن الخمس كلّه لذوى القربى ، لأنّ نجدة إنما سأله عن خمس الخمس لا عن الخمس كله .

وينبغى أن يذكر فى هذا الموضع اختلافُ الفقهاء فى الخُمس :

أمّا أبو حنيفة فعنده أنّ قسمة الخُمس كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليـه وآله على خمسة أسهم : سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وسهم لذوِى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس ونوفل ، استحقُّوه حينئذ بالنّصرة والمظاهرة ، لما روى عن عثمان بن عفّان وجُبَير بن مطعِم أنّهما قالا لرسول الله صلى الله عليـه وآله : هؤلاء إخوتُك من بنى هاشم لا ننكر فضلهم ، لمكانك الّذِى جعلك الله منهم ؛ أرأيت إخواننا بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا ! وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة . فقال صلى الله عليه وآله : « إنّهم لم يفارقونا فى جاهليّة ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد » وشبّك بين أصابعه . وثلاثة أسهم ليتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم ، وأمّا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسهمه ساقط بموته ، وكذلك سَهْم ذوى القربى ، وإنما يُعطَوْن لفقرهم ، فهم أسوة سائر الفقراء ، ولا يعطى أغنياؤهم ؛ فيقسَّم الخمس إذن على ثلاثة أسهم : اليتامى ، والمساكين وابن السبيل .

وأما الشافعىّ فيقسِم الخمس عنده بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة أسهم : سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يُصرف إلى ما كان يصرفه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أيّام حياته من مصالح المسلمين ، كعُدّة الغزاة من الكُراع والسلاح

(١) ب : « فإن » .

ونحو ذلك ، وسهمٌ لذوى القُرْبَى من أغنيائهم وفقرائهم ، يقسّم بينهم للذَّكَر مثل حظّ الأنثيين من بنى هاشم وبنى المطلب ، والباقى للفرق الثلاث .

وأمّا مالك بن أنس ، فعنده أنّ الأمر فى هذه المسألة مفوّض إلى اجتهاد الإمام ، إن رأى قسَمه بين هؤلاء ، وإن رأى أعطاه بعضَهم دون بعض ، وإن رأى الإمام غيرَهم أولى وأهمّ ، فغيرهم .

وبقِىَ الآن البحث عن معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ، وما المراد بسهم الله سبحانه ؟ وكيف يقول الفقهاء : الخمس مقسوم خمسة أقسام ، وظاهر الآية يدلّ على ستّة أقسام ؟ فنقول :

يحتمل أن يكون معنى قوله سبحانه : ﴿ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ لرسول الله ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ (١) ، أى ورسول الله أحقّ ؛ ومذهب أبى حنيفة والشافعىّ يجىء على هذا الاحتمال .

ويحتمل أن يريد بذكره إيجاب سهم سادس يصرَف إلى وجهٍ من وجوه القُرَب ، ومذهب أبى العالية يجىء على هذا الاحتمال ، لأنّه يذهب إلى أنّ الخمس يقسّم ستة أقسام : أحدها سهمه تعالى يُصْرَف إلى رِتاج الكعبة ، وقدرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قَبْضة فيجعلها للكعبة ، ويقول : سهم الله تعالى ، ثم يقسم ما بقى على خمسة أقسام .

وقال : قوم سهم الله لبيتِ الله .

ويحتمل احتمالا ثالثاً ، وهو أن يراد بقوله : ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ أنّ من حقّ الخمس أن يكون متقرّباً به إليه سبحانه لاغير ، ثم خصّ من وجوه القُرَب هذه الخمسة ، تفضيلا لها

---

(١) سورة التوبة ٦٢ .

على غيرها ، كقوله : ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [١] . ومذهب مالك يجيء على هذا الاحتمال .

وقد رُوِيَ عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّه كان على ستّة : لله وللرّسل سهمان ، وسهم لأقاربه ، وثلاثة أسهم للثلاثة ، حتى قبض عليه السلام ، فأسقط أبو بكر ثلاثة أسهم ، وقسّم الخمس كلّه على ثلاثة أسهم ، وكذلك فعل عمر .

ورُوِيَ أنّ أبا بكر مَنَع بنى هاشم الخمس ، وقال : إنّما لكم أن نعطىَ فقيرَكم ، ونزوّج أيّمكم ، ونخدم من لا خادم له منكم ، وأمّا الغنىّ منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنىّ ، لا يعطى شيئاً ، ولا يتيم مُوسر .

وقد روى عن زيد بن علىّ عليه السلام مثل ذلك ، قال : ليس لنا أن نبنىَ منه القصور ، ولا أنْ نركب منه البراذين . فأمّا مذهب الإماميّة ، فإنّ الخمس كلّه للقرابة .

ويروون عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : أيتامنا ومساكيننا ! فإنْ صحّ عنه ذلك ، فقوله عندنا أوْلى بالاتّباع ، وإنّما الكلام فى صحته .

فأمّا اقتراض عمر من بيت المال ثمانين ألفاً ، فليس بمعروف ، والمعروف المشهور أنه كان يَظْلِف [٢] نفسه عن الدّرهم الواحد منه .

وقد روى ابن سعد فى كتاب " الطبقات " أنّ عمر خطب ، فقال : إنّ قوما يقولون : إنّ هذا المال حلال لعمر ، وليس كما قالوا ، لاها الله إذن ! أنا أخبركم بما أستحلّ منه ؛ يحل لى منه حُلّتان : حلّة فى الشتاء ، وحُلّة فى القَيْظ ، وما أحجّ عليه وأعتمر من الظّهر ، وقوتى وقوتُ أهلى كقوتِ رجل من قريش ، ليس بأغناهم ولا أفقرهم ، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين يُصيبنى ما أصابهم [٣] .

---

(١) سورة البقرة ٩٨ .　　(٢) يظلف نفسه يمنعها .

(٣) نقله ابن الجوزى فى كتابه سيرة عمر ص ٧٥ ، ٧٦ .

وروى ابنُ سعد أيضاً أنّ عمر كان إذا احتاج أتى إلى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربّما عسر عليه القضاء، فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه ، فيحتال له ، وربما خرج عطاؤه فقضاه ، ولقد اشتكى مرّةً فوصف له الطبيبُ العسل ، فخرج حتّى صعد المنبر، وفى بيت المال عُكّة (١) ، فقال : إن أذنتم لى فيها أخذتُها ، وإلاّ فهى علىّ حرام ، فأذنوا له فيها، ثم قال : إنّ مَثَلِي وَمثَلكم كقومٍ سافروا ، فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم لينفق عليهم، فهل يحلّ له أن يستأثر منها بشىء !

وروى ابن سعد أيضاً ، قال : مكث عمر زمانا لا يأكل من مال المسلمين شيئاً ، حتى أصابته خَصاصة ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاستشارهم فقال لهم : قد شَغلتُ نفسى بأمركم ، فما الذى يصلح أن أصيبَه من مالكم ؟ فقال عثمان : كلْ واطعم، وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فتركهما وأقبل على علىٍّ عليه السلام، فقال : ماتقول أنت ؟ قال : غداء وعشاء ، قال : أصبت ، وأخذ بقوله (٢) .

وروى أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب "سيرة عمر" عن نافع عن ابن عمر، قال : جمع عمر النّاس لما انتهى إليه فتح القادسيّة ودمشق ، فقال: إنّى كنتُ امرأً تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى ، وقد شغلتمونى عن التجارة بأمركم ، فما ترون أنه يحلّ لى من هذا المال ؟ فقال القوم فأكثروا ، وعلىٌّ عليه السلام ساكت ، فقال عمر : ماتقول أنت ياأبا الحسن؟ قال : ماأصلحَك وأصلَح عيالك بالمعروف ، وليس لك من هذا المال غيره ، فقال : القول ماقاله أبو الحسن ؛ وأخذ به (٢) .

وروى عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه ، عن جدّه أنّ عبد الله وعبيد الله ابنىْ عمر مَرّا بأبى موسى، وهو على العراق وهما مقبلان من أرض فارس، فقال : مرحبا بابنَىْ أخى،

---

(١) العكة : زقيق صغير .

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى ٧٦ .

لو كان عندى شيء ، ولى قد اجتمع هذا المال عندى : فخذاه واشتريا به متاعاً،فإذا قدمتما فبيعاه ولـكما ربحه ، وأدّيا إلى أمير المؤمنين رأس المال ، ففعلا ، فلمّا قدما على عمر بالمدينة أخبراه ، فقال : أ كلّ أولاد المهاجرين يصنع بهم أبو موسى مثل ذلك ! فقالا :لا،قال: فإنّ عمر يأبى أن يجيز ذلك وجعل قرضاً .

وروِىَ عن قتادة ، قال : كان معيقيب على بيت المـال لعمر ، فـكنس عمر بيت المال يوماً ، وأخرجه إلى المسلمين ، فوجدَ معيقيب فيه درهماً ، فدفعه إلى ابن عمر ، قال معيقيب : ثم انصرفت إلى بيتى ، فإذا رسول عمر قد جاء يدعونى ، فجئت فإذا الدّرهم فى يده ، فقال : ويحك يامعيقيب ! أوجَدْتَ علىّ فى نفسك شيئاً ! قلت : وما ذاك ؟ قال : أردت أن تخاصِمَنى أمّة محمد فى هذا الدرهم يوم القيامة [1] !

وروى عمر بن شبّة ، عن عبد الله بن الأرقم ـ وكان خازن عمر ـ فقال : إنّ عندنا حِلْيَةً من حلية جلولاء ، وآنية من فضة ، فانظر ماتأمر فيها ؟ قال : إذا رأيتنى فارغا فآذِنّى ، فجاءه يوما فقال : إنى أراك اليوم فارغا ، فما تأمر بتلك الحلية ؟ قال : ابسط لى نِطَعاً ، فبسطه ثم أتى بذلك المال ، فصبّ عليه ، فرفع يديه وقال : اللهمّ إنك ذكرت هذا المال ،فقلت : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ﴾ [1] ثم قلت : ﴿ لِـكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَـكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [2] اللهمّ إنا لانستطيع إلّا أن نفرح بما زيّنت لنا.اللهمّ إنى أسألك أن تضعه فى حقه ، وأعوذ بك من شرّه ، ثم ابتدأ فقسمه بين الناس ، فجاءه ابن بنت له ،فقال:ياأبتاه! هب لى منه خاتما ، فقال : اذهب إلى أمّك تسقك سَوِيقاً ، فلم يعطه شيئاً [3] .

وروى الطبرىّ فى تاريخه أنّ عمرَ خطبَ أمّ كلثوم بنت أبى بكر ، فأرسل فيها إلى

---

(١) سورة آل عمران ١٤ (٢) سورة الحديد ٢٣ .
(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ٧٨ .

عائشة ،فقالت : الأمر إليها، فقالت أمّ كلثوم : لاحاجة لى فيه ، قالت لها عائشة : ويلك ! أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه يغلق بابه ، ويمنع خيره ، ويدخل عابسا ، ويخرج عابسا ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص ، فأخبرته ، فقال : أنا أكفيك ، فأتى عمر ، فقال : ياأميرَ المؤمنين ، بلغنى خبرٌ أعيذك بالله منه ! قال:ماهو؟ قال: خطبتَ أمّ كلثوم بنت أبى بكر ؟ قال : نعم ، أفترغب بى عنها أم ترغبُ بها عنّى؟قال:لاواحدة، ولكنها حدَثة ، نشأتْ تحت كنَف أمّ المؤمنين فى لينٍ ورفق ،وفيك غلظةونحن نهابُك، ولا نستطيع أن نردّك عن خُلُقٍ من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك فى شىء،فسطوت بها ! كنت قد خلفت أبا بكر فى ولده بغير مايحقّ عليك ، قال : فكيف لى بعائشة وقد كلّمتها فيها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلّك على خيرٍ منها ، أمّ كلثوم بنت علىّ بن أبى طالب، تعلّقْ منها بسببٍ من رسول الله . فصرَفه عنها إلى أم كلثوم بنت فاطمة .

وروى عاصم بن عمر ، قال : بعث إلىّ عمر عند الهاجرة ــ أو قال عند صلاةالصبح ــ فأتيتهُ ، فوجدته جالساً فى المسجد فقال : يابنىّ ،إنى لم أكن أرى شيئاًمن هذا المال يحلّ لى قبل أن أليَ إلّا بحقه ، وما كان أحرم علىّ منه حين وليته ،فعاد أمانتى،وإنى كنت أنفقت عليك من مال الله شهرا ، ولست بزائدك عليه ، وقد أعطيتك ثمرى بالعالية ، فبعه وخذ ثمنه ، ثم ائت رجلا من تجّار قومك ، فكن إلى جانبه ، فإذا ابتاع شيئاً فاستشركه ، وأنفق ماربحه عليك وعلى أهلك . قال : فذهبت ففعلت [1] .

وروى الحسن البصرىّ أنّ عمر كان يمشى يوماً فى سكّة من سِكك المدينة ، إذ صبيّة تَطِيش على وجه الأرض ، تقعد مرّة ، وتقوم أخرى من الضّعف والجهد ، فقال عمر : ما بال هذه ؟ قال عبد الله ابنه : أما تعرف هذه ؟ قال : لا ، قال إنّها إحدى بناتِك،

---

(١) سيرة عمر ٧٨ .

فأنكر عمر ذلك، فقال : هذه ابنتي من فلانة ! قال : ويحك وما صيّرها إلى ما أرى؟ قال: منعك [ماعندك][1] ، قال : أنا منعتُك ما عندى ،فما الذى منعك أن تطلب لبناتك ما يكسب الأقوام[2] لبناتهم ! إنّه والله مالكَ عندي غيرُ سهمك فى المسلمين ؛وسعَك أو عجز عنك، وكتاب الله بيني وبينك[3] .

وروى سعيد بن المسيّب ، قال . كتب عمر لما قسم العطاء وفضل مَنْ فضّل المهاجرين الذين شهدُوا بدراً خمسة آلاف ، وكتب لمن لم يشهد بدرا أربعة آلاف ؛ فكان منهم عمر بن أبى سلمة المخزومىّ ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال عبد الرحمن بن عوف ـ وهو الذى كان يكتبُ :ياأميرَ المؤمنين ، إنّ عَبد الله بن عمر ؛ ليس من هؤلاء ، إنّه وإنه ...يُطريه ويُثني عليه ،فقال له عمر : ليس له عندى إلا مثل واحد منهم ، فتكلّم عبد الله وطلب الزيادة،وعمر ساكت، فلمّا قضى كلامَه ، قال عمر لعبد الرحمن : اكتبه على خمسة آلاف ،واكتبني على أربعة آلاف ، فقال عبد الله : لاأريد هذا ، فقال عمر:والله لاأجتمع أنا وأنت على خمسة آلاف ، قمْ إلى منزلك ؛ فقام عبد الله كئيبا .

وقال أبو وائل : استعملني ابنُ زياد على بيت المال بالكوفة ، فأتانى رجلٌ بصكّ يقول فيه : أعطِ صاحب المطبخ ثمانمائة درهم ، فقلت له : مكانكَ. ودخلتُ على ابن زياد، فقلت له : إنّ عمر استعمل عبد الله بن مسعود بالكوفة على القضاء وبيت المال،واستعمل عثمان بن حُنَيف على سقْي الفرات ، واستعمل عمّار بن ياسر على الصلاة والجند ،فرزقهم كلّ يوم شاة واحدة ، فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمّار ؛لأنه كان على الصلاة والجند، وجعل لابن مسعود رُبعها ، ولابنُ حُنيف ربعها ، ثم قال : إنّ مالاً يؤخذ منه كلّ يوم شاة، إنّ ذلك فيه لسريع، فقال ابن زياد : ضع المفتاح فاذهب حيث شئت .

---

(١) من سيرة عمر . (٢) سيرة عمر : « الأقوياء » . (٣) سيرة عمر ٧٧ ، ٧٨ .

وروى أبو جعفر الطبرى فى التاريخ ، أنّ عمر بعث سلَمة بن قيس الأشجعىّ إلى طائفة من الأكراد ، كانوا على الشِّرْك ، فخرج إليهم فى جيش سرّحه معه من المدينة ، فلمّا انتهى إليهم ، دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية ، فأبوا، فقاتلهم، فنصره الله عليهم؛ فقتل المقاتلة وسَبَى الذريّة ، وجمع الرِّثّة (١) ، ووجد حلية وفصوصا وجواهر، فقال لأصحابه: أتطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين ؟ فإنه غير صالح لكم ، وإنّ عَلَى أمير المؤمنين لمؤونة وأثقالا ! قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا ، فجعل تلك الجواهر فى سَفَط ، وبعث به مع واحد من أصحابه ، وقال له : سِرْ ، فإذا أتيتَ البصرة ، فاشترِ راحلتين فأوْقرْهما زاداً لك ولغلامك ، وسرْ إلى أمير المؤمنين. قال : ففعلت، فأتيت عمر وهو يغدّى الناس ، قائما متكئا على عصا كما يصنع الراعى ، وهو يدور على القِصاع، فيقول: يايرفأ زِدْ هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خبزاً ، زد هؤلاء مَرَقة ، فجلست فى أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة ، طعامى الذى معى أطيب منه ، فلمّا فرغ أدبر فاتّبعته ، فدخل داراً فاستأذنت ، ولم أعلِم حاجبه مَنْ أنا ، فأذِنَ لى ، فوجدته فى صُفّة جالسا على مِسْح ، متّكئا على وسادتين من أَدَم محشوّتين ليفاً ، وفى الصُّفّة عليه سِتْر من صوف ، فنبذ إلىّ إحدى الوسادتين ، فجلست عليها ، فقال : ياأمّ كلثوم ، ألا تغدّوننا ! فأخرج إليه خُبْزة بزيت فى عرضها ملح لم يدقّ ، فقال : ياأمّ كلثوم ، ألا تخرُجين إلينا تأكلين معنا ؟ فقالت : إنّى أسمع عندك حِسّ رجل ،قال :نعم ، ولا أراه من أهل هذا البلد ـ قال : فذاك حين عرفت أنّه لم يعرفنى ـ فقالت : لو أردت أن أخرج إلى الرّجال لكسوتَنى كما كسا الزّبيرامرأته، وكما كسا طلحة امرأته ، قال : أو مايكفيك أنّك أمّ كلثوم ابنة علىّ بن أبى طالب وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ! قالت : إنّ ذاك عنّى لقليل الغَناء ، قال : كلْ ، فلو كانت راضية لأطعمتك أطيبَ من هذا ، فأكلتُ قليلا ، وطعامى الذى معى أطيب منه،

---

(١) الرِّثّة : المتاع .

وأكل ، فما رأيت أحداً أحسنَ أكلاً منه ، مايتلبَّس طعامه بيده ولا فمه . ثم قال : اسقونا ، فجاءوا بعُسٍّ من سُلْت[1] ، فقال : أعط الرَّجُل ، فشربت قليلاً ، وإنّ سَويق الذى معى لأطيبُ منه ، ثم أخذه فشربه حتى قَرَع القَدَحُ جبهته ، ثم قال : الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا ، إنّك ياهذا لضعيف الأكل ، ضعيف الشرب ، فقلت : ياأميرَ المؤمنين ، إنّ لى حاجة ، قال : ماحاجتُك ؟ قلت : أنا رسول سلمة بن قيس ، فقال : مرحباً بسلَمة ورسوله ! فكأنما خرجتَ من صُلْبه ، حَدِّثْنى عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت : كما تحبُّ ياأميرَ المؤمنين ؛ من السلامة والظَّفر والنَّصر على عدوّهم ، قال : كيف أسعارهم ؟ قلت : أرخص أسعار ، قال : كيف اللّحم فيهم ، فإنه شجرة العرب ، ولا تصلح العرب إلّا على شَجَرتها ؟ قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا ، ثم سِرْنا ياأميرَ المؤمنين حتى لقِينا عدوَّنا من المشركين ، فدعوناهم إلى الّذى أمَرْت به من الإسلام فأبَوْا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبَوْا ، فقاتلناهم فنصرَنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتِلة ، وسبينا الذرّيّة وجمعنا الرِّثَّة[2] ، فرأى سلمة فى الرِّثَّة حِلْية ، فقال للناس : إنّ هذا لا يبلغُ فيكم شيئاً ، أفتطيب أنفسكم أن أبعثَ به إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ، ثم استخرجت سَفَطِى[3] ففتحته . فلمّا نظر إلى تلك الفُصوص ، من بين أحمر وأخضر وأصفر ؛ وثب وجعل يده فى خاصرته يصيح صياحا عاليا ، ويقول : لا أشبع الله إذنْ بطن عمر ! يكرّرها ، فظنّ النّساء أنى جئت لأغتاله ؛ فجئن إلى السِّتر فكشفنه ، فسمعته يقول : لفَّ ماجئت به يايرفأ جَأْ عنقه[4] ، قال : فأنا أصْلِحُ سَفَطِى ، ويرفأ يجأُ عنقى . ثم قال : النَّجاء النَّجاء ! قلت : ياأمير المؤمنين انزعْ بى فاحملنى ، فقال : يايرفأ ، أعطه راحلتين من إبل الصدقة ،

---

(١) السلت : شعير لا قشر له ، يجرد بسويقه .
(٢) الطبرى : « الرثة » .
(٣) السفط : وعاء كالجوالق .
(٤) جأ : اضرب .

فإذا لقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه ، وقال : أظنك ستبطئ ، أما والله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يُقسم هذا فيهم ، لأفعلنّ بك وبصاحبك الفاقرة [١] .

قال : فارتحلت حتى أتيتُ إلى سلمة بن قيس ، فقلت : ما بارك الله فيما اختصصتنى به، اقسِمْ هذا فى الناس قبل أن تصيبنى وإياك فاقرة ، فقسمه فيهم . فإنّ الفص ليباع بخمسة دراهم وبستة ، وهو خير من عشرين ألفا [٢] .

وجملة الأمر أنّ عمر لا يجوز أن يُطعن فيه بمثل هذا ، ولا ينسب إلى شَرَهٍ وحبٍّ للمال ، فإنّ طريقته فى التعفف والتقشف وخشونة العيش والزهد أظهرُ من كلّ ظاهر ، وأوضح من كلّ واضح،وحاله فى ذلك معلومة ، وعلى كلّ تقدير ؛ سواء كان يفعل ذلك دينا أو ورعا ـ كما هو الظاهر من حاله ـ أو كان يفعل ذلك ناموسا وصناعة ورياء وحيلة، ـ كما تزعم الشيعة ـ فإنه عظيم،لأنه إمّا أن يكون على غاية الدّين والتقى ، أو يكون أقوى الناس نفسا ، وأشدّهم عزما ؛ وكلا الأمرين فضيلة .

والذى ذكره المحدّثون وأرباب السِّيَر أنّ عمر لما طُعِن واحتُمل فى دمه إلى بيته ، وأوصى بما أوصى ، قال لابنه عبد الله : انظروا ما علىّ من دَيْن ، فحسبوه فوجدوه ستمائة وثمانين ألف درهم ، هكذا ورد فى الأخبار أنها كانت ديونا للمسلمين ، ولم تكن من بيتِ المال . فقال عمر : انظرْ ياعبدَ الله ، فإن وفّى به مالُ آل عمر ، فأدِّه من أموالهم ، وإلّا فسَلْ فى بنى عدىّ بن كعب ، فإن لم تفِ به أموالُهم ، فسلْ فى قريش ، ولا تعدُهم إلى غيرهم . فهكذا وردت الرواية ، فلذلك قال قاضى القضاة : فإنّ صحّ فالعذر كذا وكذا ، لأنه لم يثبت عنده صحة اقتراضه هذا المقدار من بيت المال .

وقد رُوِىَ أنّ عمر كان له نخل بالحجاز غَلّته كلّ سنة أربعون ألفا ، يُخرجها فى

---

(١) الفاقرة : الداهية . (٢) تاريخ الطبرى ١ : ٢٧١٣ـ٢٧٢١ (طبع أوربا) مع اختلاف فى الرواية .

النّوائب والحقوق، ويصرِفها إلى بنى عدىّ بن كعب إلى فقرائهم وأراملهم وأيتامهم، روى ذلك ابن جرير الطبرى فى التاريخ .

فأما قول المرتضى : أىّ حاجة بخشن العيش وجَشِب المأكل إلى اقتراض الأموال؟

فجوابه أنّ المتزهّد المتقشّف قد يضيّق على نفسه ويوسّع على غيره ، إمّا من باب التكرّم والإحسان، أو من باب الصدقة وابتغاء الثواب ، وقد يصل رحمه وإنْ قَتَّر على نفسه .

وقد روى الطبرىّ أنّ عمر دفع إلى أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام صداقها يوم تزوّجها أربعين ألف درهم ؛ فلعلّ هذا الاقتراض من الناس كان لهذا الوجه ولغيره من الوجوه التى قلّ أن يخلوَ أحد منها .

***

الطعن السادس

إنه عطّل حدّ الله فى المغيرة بن شعبة ، لما شُهِد[1] عليه بالزّنا ، ولقّنَ الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة ، اتّباعا لهواه ، فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدّهم وضربهم[2] ، فتجنّب أن يفضح المغيرة ، وهو واحد ، وفضح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله ، ووضعه فى غير موضعه .

أجاب قاضى القضاة ، فقال : إنه لم يعطّل الحدّ إلّا من حيثُ لم تكمل الشهادة وبإرادة الرابع ، لئلا يشهد لا تكمل البيّنة ، وإنّما تكمل بالشهادة .

وقال : إن قوله : « أرى وجهَ رجل لا يفضحُ الله به رجلا من المسلمين » ، يجرى فى أنه سائغ صحيح مجرى ما روِىَ عن النبىّ صلى الله عليه وآله من أنّه أُتى بسارقٍ، فقال: « لا تُقِرّ » .

---

(١) الشافى : « شهدوا » .

(٢) كذا فى الشافى ، وفى الأصول : « فضحهم » .

وقال عليه السلام لصفوان بن أمية لما أتاه بالسارق ، وأمر بقطعه ، فقال : هو له — يعنى ماسرق : هلاّ قبل أن تأتينى به ! فلا يمتنع من عمر ألاّ يحبّ أن تكمل الشهادة وينبه الشاهد على ألاّ يشهد ، وقال : إنه جلد الثلاثة من حيث صاروا قَذَفة ، وإنه ليس حالهم — وقد شهدوا — كحالِ مَنْ لم تتكامل الشهادة عليه ، لأنّ الحيلة فى إزالة الحدّ عنه — ولمّا تتكامل الشهادة عليه — ممكنة بتلقين وتنبيه غيره ، ولا حيلة فيما قد وقع من الشهادة ، فلذلك حدّهم .

قال : وليس فى إقامة الحدّ عليهم من الفضيحة ما فى تكامل الشهادة على المغيرة ، لأنه يتصوّر بأنه زانٍ ، ويحكم بذلك ، وليس كذلك حال الشهود ، لأنهم لا يتصوّرون بذلك ، وإن وجبّ فى الحكم أن يُجعلوا فى حُكم القَذَفة .

وحكى عن أبى علىّ أنّ الثلاثة ، كان القذف قد تقدّم منهم للمغيرة بالبصرة ، لأنهم صاحوا به من نواحى المسجد : بأنا نشهد أنك زانٍ ، فلو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدّهم لا محالة ، فلم يمكن فى إزالة الحدّ عنهم ما أمكن فى المغيرة .

وحكى عن أبى علىّ فى جواب اعتراضه عن نفسه بما روى عن عمر أنه كان إذا رآه يقول : لقد خفتُ أن يرمينى الله عزّ وجلّ بحجارة من السماء ؛ أنّ هذا الخبر غير صحيح ، ولو كان حقّاً لكان تأويله التخويف ، وإظهار قوة الظّن ؛ لصدق القوم الذين شهدوا عليه ، ليكون ردعاً له . وذكر أنّه غيرُ ممتنع أن يحبّ ألاّ يفتضح لما كان متوليا للبصرة من قِبَلِه .

ثم أجاب عن سؤال مَنْ سأله عن امتناع زياد من الشهادة ، وهل يقتضى الفسق أم لا؟ فإن قال : لا نعلم أنّه كان يتمّ الشهادة ؛ ولو علمنا ذلك لكان حيث ثبت فى الشرع أنّ له

السكوت ؛ لا يكون طعنا ، ولو كان ذلك طعنا، وقد ظهر أمرُه لأمير المؤمنين عليه السلام لمّا ولاه فارس ، ولمّا ائتمنه على أموال الناس ودمائهم .

* * *

اعترض المرتضى فقال : إنّما نسب إلى تعطيل الحدّ من حيث كان فى حكم الثابت ، وإنما بتلقينه لم تكمُل الشهادة ، لأن زيادا ماحضر إلا ليشهد بما شهد به أصحابه ، وقد صرّح بذلك كما صرّحوا قبل حضورهم ، ولو لم يكن هذا لما شهد القوم قبلَه وهم لايعلمون: هل حاله فى ذلك الحكم كحالهم ، لكنّه أحجم فى الشّهادة لمّا رأى كراهيَة متولّى الأمر لكمالها ، وتصريحه بأنّه لايريد أن يعمل بموجبها .

ومن العجائب أن يطلبَ الحيلة فى دفع الحدّ عن واحدٍ ، وهو لايندفع إلّا بانصرافه إلى ثلاثة ، فإن كانَ درْء الحدّ والاحتيال فى دفعه من السُّنن المتّبعة ، فدرؤُه عن ثلاثة أوْلَى من درئه عن واحد !

وقوله : إنّ دفع الحدّ عن المغيرة ممكنٌ ودفعه عن ثلاثة ـ وقد شهدوا ـ غيرُ ممكن ، طَريف ، لأنّه لو لم يلقّن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة لاندفع الحدّ عن الثلاثة ، وكيف لاتكون الحيلة ممكنة فيما ذكره!

وقوله : إن المغيرة يُتصوّر بصورة زانٍ لو تكاملت الشهادة ، وفى هذا من الفضيحة ماليس فى حدّ الثلاثة غيرُ صحيح ، لأنّ الحكم فى الأمرين واحدٌ ، لأنّ الثلاثة إذا حُدُّوا يُظَنّ بهم الكذب ، وإن جُوّز أن يكونوا صادقين ، والمغيرة لو تكاملت الشهادة عليه بالزّنا لظُنّ به ذلك مع التجويز لأنْ يكون الشّهود كَذَبة ، وليس فى أحدٍ إلّا مافى الآخر.

وما روى عنه عليه السلام من أنّه أُتِىَ بسارق ، فقال له : «لاتقُر» إن كان صحيحا لايشبه مانحن فيه ، لأنّه ليس فى دفع الحدّ عن السارق إيقاع غيره فى المكروه .

وقصّة المغيرة تخالف هذا لما ذكرناه .

فأما قوله عليه السلام : « هلاّ قبل أنْ تأتينى به ! » فلا يشبه كلّ ما نحن فيه ، لأنّه بيّن أن ذلك القول يُسقط الحدّ لو تقدّم ، وليس فيه تلقين يوجب إسقاطَ الحدّ .

فأمّا ماحكاه عن أبى علىّ من أنّ القذف من الثلاثة كان قد تقدّم ، وأنّهم لو لم يُعيدوا الشهادة لـكان يحدّم لامحالة ، فغير معروف ، والظاهر المروىّ خلافُه ، وهو أنه حدّم عند نُكول زيادٍ عن الشهادة ، وأنّ ذلك كان السّبب فى إيقاع الحدّ بهم . وتأوّله[1] عليه : لقدخفتُ أن يرميَنى اللهُ بحجارة من السّماء، لايليق بظاهر الـكلام ،لأنّه يقتضى التندّم والتأسّف على تفريطٍ وقع ، ولِمَ يخافُ أن يرمَى بالحجارة وهو لم يدرأ الحدّ عن مستحق له !ولو أراد الرّدع والتخويف للمغيرة لأتى بكلام يليق بذلك ، ولا يقتضى إضافة التّفريط إلى نفسه . وكونه والياً من قِبَله لايقتضى أن يدرأ عنه الحدّ ، ويعدِل به إلى غيره .

وأما قوله : إنّا ما كنّا نعلم أنّ زياداً كان يتمّ الشهادة ، فقد بيّنا أنّ ذلك كان معلوماً بالظاهر ، ومَنْ قرأ ماروِى فى هذه القصّة علم بلا شكٍّ أن حال زياد كحال الثلاثة، فى أنّه إنّما حضر للشهادة ، وإنما عدل عنها لـكلام عمر .

وقوله : إنّ الشّرع يبيح السكوت ، ليس بصحيح ، لأنّ الشرع قد حظَر كتمان الشهادة .

فأمّا استدلالُه على أنّ زيادا لم يفسّق بالإمساك عن الشهادة بتولية أمير المؤمنين عليه السلام له فارسَ ، فليس بشىء يُعتَمد ، لأنه لايمتنع أن يكون قد تاب بعد ذلك ، وأظهر توبته لأمير المؤمنين عليه السلام ، فجاز أن يوليّه . وقد كان بعضُ أصحابنا يقول فى قصّة المغيرة شيئاً طيبا ، وإن كان معتملًا فى باب الحجّة ، كان يقول : إنّ زيادا إنّما امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة فى الزنا ، وقد شهد بأنه شاهدَه بين شُعَبها الأربع ، وسمع نَفَسًا عاليا ، فقد صح على المغيرة بشهادة الأربع جلوسُه منها مجلس الفاحشة ، إلى غيرذلك

(١) الشافى : « وما تأول عليه » .

من مقدّمات الزنا وأسبابه . فهلّا ضمّ عمر إلى جلد الثلاثة تعزيرَ هذا الذى قد صحّ عنده بشهادة الأربعة ماصحّ من الفاحشة ، مثل تعريك أذنه ، أو مايجرى مجراه من خفيف التّعزير ويسيره ! وهل فى العدول عن ذلك ـ حتى عن لومه وتوبيخه والاستخفاف به إلّا ماذكروه من التّسبب الذى يشهد الحال به [1] !

***

قلت : أمّا المغيرة فلا شكّ عندى أنه زَنَى بالمرأة ، ولكنى لست أخطّئُ عمرَ فى دَرْء الحدّ عنه ، وإنّما أذكر أولا قصّته من كتابىْ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وأبى الفرج على بن الحسن الأصفهانىّ ، ليعلم أنّ الرجل زَنَى بها لامحالة ، ثم أعتذر لعمر فى درء الحدّ عنه .

قال الطّبرى فى تاريخه [2] : وفى هذه السّنة ـ يعنى سنة سبع عشرة ـ ولّى عمر أبا موسى البصرة ، وأمره أن يُشخص إليه المغيرة بن شعبة ، وذلك لأمر بلغه عنه . قال الطبرىّ : حدّثنى محمد بن يعقوب بن عتبة ؛ قال : حدثنى أبى ، قال : كان المغيرة يختلف إلى أمّ جميل ، امرأة من بنى هلال بن عامر ، وكان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك ، يقال له الحجاج بن عبيد ، وكان المغيرة ـ وكان أميرَ البصرة ـ يختلف إليها سرًّا ، فبلغ ذلكَ أهلَ البصرة ، فأعظموه ، فخرج المغيرة يوماً من الأيام إلى المرأة ، فدخل عليها وقد وضعوا عليهما الرَّصَد ، فانطلق القوم الذين شهدوا عند عمر فكشفوا السّتر ، فرأوه قد واقعها ؛ فكتبوا بذلك إلى عمر ، وأوفدوا إليه بالكتاب أبا بَكْرة . فانتهى أبو بكرة إلى المدينة ، وجاء إلى باب عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب ، فقال : أبو بكرة ! فقال : نعم ، قال : لقد جئت لشَرّ ! قال : إنما جاء به المغيرة ، ثم قصّ عليه القصة ، وعرض عليه الكتاب ، فبعث أبا موسى عاملًا ، وأمره

---

(١) الشافى ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٢٥٢٩ ـ ٢٦١ (طبع أوربا) .

أن يبعث إليه المغيرة ، فلمّا دخل أبو موسى البصرة ، وقعد فى الإمارة ،أهدى إليه المغيرة عَقِيلَة ، وقال : إنّى قد رضيتها لك ، فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر.

قال الطبرىّ : وروى الواقدىّ ، قال : حدّثنى عبدالرحمن بن محمدبن أبى بكر بن عمرو ابن حزم الأنصارى ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : قدم المغيرة على عمر ، فتزوّج فى طريقه امرأةً من بنى مُرّة ، فقال له عمر : إنّك لفارغ القلب ، شديد الشَّبَق ، طويل الغُرمول ، ثم سأل عن المرأة فقيل [(١)] له ـ يقال لها الرقطاء : كان زوجها من ثَقيف وهى من بنى هلال .

قال الطبرىّ : وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، أنّ المغيرة كان يُبغض أبا بَكْرة وكان أبو بكرة يُبغضه ، ويناغى [(٢)] كلّ واحد منهما صاحبَه وينافره عند كلّ مايكون منه ، وكانا متجاورين بالبصرة ، بينهما طريق ، وهما فى مشرَبتين متقابلتين ،فهما فى داريهما فى كلّ واحدة منهما كُوّة مقابلة الأخرى ، فاجتمع إلى أبى بكْرة نفرٌ يتحدّثون فى مَشربته ، فهبّت ريح ففتحت باب الكُوّة ، فقام أبو بكْرة ليُصْفِقه [(٣)] ، فبصر بالمغيرة وقد فتَحت الرّيح باب الكُوّة التى فى مَشرَبته ، وهو بين رِجْلَى امرأة ، فقال للنفر : قوموا فانظروا ، فقاموا فنظروا ، ثم قال : اشهدوا ، قالوا : ومَنْ هذه ؟ قال : أمّ جميل ، إحدى نساء بنى عامر بن صعصعة ، فقالوا : إنما رأينا أعجازا ولا ندرى الوجوه ، فلمّا قامت صَمّموا ، وخرج المغيرة إلى الصلاة ، فحال أبو بكْرة بينه وبين الصلاة ، وقال : لاتصلّ بنا . وكتبوا إلى عمر بذلك ، وكتب المغيرة إليه أيضا ، فأرسل عمر إلى أبى موسى ، فقال : ياأبا موسى ، إنّى مستعملك ، وإنى باعثك إلى الأرض التى قد باضَ بها الشيطان وفرّخ ، فالزمْ ماتعرف ، ولا تستبدلْ فيستبدل الله بك . فقال : ياأميرَ المؤمنين ، أعِنّى بعدّة من

---

(١) الطبرى : « فقال » . (٢) كذا فى الطبرى ، ويناغيه : يباريه . وفى الأصول : « يباغيه » .
(٣) أصفق الباب : رده .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين والأنصار ، فإنّي وجدتهم في هذه الأمّة وهذه الأعمال كالمِلْح لا يصلح الطعام إلّا به . قال عمر : فاستعِنْ بمن أحببتَ ، فاستعان بتسعة وعشرين رجلا ، منهم أنس بن مالك ، وعمران بن حصين ، وهشام بن عامر . وخرج أبو موسى بهمْ حتى أناخ بالبصرة في المِرْبد ، وبلغ المغيرةَ أنّ أبا موسى قد أناخ بالمِرْبد ، فقال : والله ماجاء أبو موسى زائراً ، ولا تاجرا ، ولكنّه جاء أميرا . فإنّهم لَفِي ذلك إذْ جاء أبو موسى ، حتى دخَل عليهم ، فدفع إلى المغيرة كتاباً من عمر ، إنه لأوجز كتابٍ كتب به أحدٌ من الناس ؛ أربع كَلِمٍ ، عزل فيها وعاتب ، واستحثّ وأمّر : « أما بعدُ ، فإنه بلَغني نبأٌ عظيم ، فبعثتُ أبا موسى ، فسلّم مافي يديك إليه ، والعَجَل ».

وكتب إلى أهل البَصْرة : « أمّا بعد ، فإنّي قد بعثتُ أبا موسى أميراً عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قويّكم ، وليقاتل بكم عدوّكم وليدفع عن ذِمّتكم ، وليحْصِي [1] لكم فيئكم ، وليقسم فيكم ، وليحمِيَ [2] لكم طُرقكم » .

فأهدى إليه المغيرةوليدةً من مولّدات الطائف تدعى عَقيلة،وقال : إني قدرضيتُها لك -وكانت فارهة- وارتحل المغيرة ، وأبو بَكْرة ، ونافع بن كَلَدَة ، وزياد ، وشِبْل بن معبَد البَجَلِيّ ، حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، فقال المغيرة : ياأميرَ المؤمنين ، سَلْ هؤلاء الأعبد : كيف رأوْني ؟ مستقبلَهم أم مستدبرهم ! وكيف رأوا المرأة وعرفوها فإن كانوا مستقبليَّ فكيف لم أستتر ! وإن كانوا مستدبريّ فبأيّ شيء استحلّوا النّظر إليّ في منزلي على امرأتي ! والله ما أتيتَ إلّا امرأتي ، فبدأ بأبي بَكْرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلَيْ أمّ جميل ، وهو يدخله ويخرجه ، قال عمر : كيف رأيتَهما ؟ قال : مستدبرَهما ، قال : كيف استثبتّ رأسها ؟ قال : تحاملتُ . فدعا بِشِبْل بن معبد ، فشهد مثل ذلك ، وقال : استقبلتُهما واستدبرتُهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بَكْرة ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال :

---

(١) الطبري : « ليحصي » .
(٢) الطبري : « لينق » .

رأيته جالساً بين رجلي امرأة ، ورأيت قدمين مرفوعتين تخفقان ، واستين مكشوفتين ؛ وسمعت حفزاً شديداً [١] ، قال عمر : فهل رأيته فيها كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا ، قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال: لا ، ولكن أشبهها ، فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا الحد، وقرأ : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [٢]. فقال المغيرة : الحمد لله الذى أخزاكم ! فصاح به عمر : اسكت أسكت الله نأمتك ! أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك . فهذا ماذكره الطبرى .

وأما أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى ، فإنه ذكر فى كتاب الأغانى [٣] أن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى، حدثه عن عمر بن شبة، عن على بن محمد ، عن قتادة ، قال: كان المغيرة بن شعبة ـ وهو أمير البصرة ـ يختلف سراً إلى امرأة من ثقيف ، يقال لها الرقطاء ، فلقيه أبو بكرة يوماً ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان ، فأخذ بتلابيبه ، وقال : إن الأمير يزار ولا يزور .

قال أبو الفرج : وحدثنى بحديثه جماعة ـ ذكر أسماءهم بأسانيد مختلفة ، لا نرى الإطالة بذكرها ـ أن المغيرة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار ، فكان أبو بكرة يلقاه ، فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول له : إلى حاجة ، فيقول : حاجة ماذا ؟ إن الأمير يزار ولا يزور !

قالوا : وكانت المرأة التى يأتيها جارة لأبى بكرة ، فقال : فبينا أبو بكرة فى غرفته مع أخويه : نافع وزياد ورجل آخر يقال له شبل بن معبد ـ وكانت غرفة جارته تلك محاذية غرفة أبى بكرة ـ فضربت الريح باب غرفة المرأة، ففتحته ؛ فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها ، فقال أبو بكرة : هذه بلية قد ابتليتم بها ، فانظروا ، فنظروا حتى أثبتوا [٤] ،

---

(١) الطبرى : « حفزانا » .   (٢) سورة النور ١٣ .

(٣) الأغانى ١٦ : ٧٧ ـ ١٠٠ (طبع دار الكتب) .

(٤) أثبتوا : تيقنوا .

فنزل أبو بكْرة ، فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت المرأة ؛ فقال له أبو بَكْرة : إنه قد كان من أمرك ماقد علمت ، فاعتزلنا . فذهب المغيرة وجاء ليصلّي بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكْرة وقال : لا والله لا تصلِّ بنا ، وقد فعلت مافعلت ! فقال الناس : دعوه فليصلِّ ، إنه الأمير ! واكتبوا إلى عمر ، فكتبوا إليه ، فورد كتابه أن يقدَموا عليه جميعاً ؛ المغيرة والشهود.

قال أبو الفرج : وقال المدائنيّ في حديثه : فبعث عمر بأبي موسى ، وعزم عليه ألّا يضع كتابه من يده حتى يرحّل المغيرة .

قال أبو الفرج : وقال عليّ بن هاشم في حديثه : إنّ أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحّل المغيرة من وقته : أوَ خَيْرٌ من ذلك ياأمير المؤمنين ؟ نتركه فيتجهّز ثلاثاً ثم يخرج .

قالوا : فخرج أبو موسى حتى صلّى صلاة الغداة بظهر المِرْبد ، وأقبل إنسان فدخل على المغيرة ، فقال : إنّي رأيتُ أبا موسى قد دخل المسجد الغداة ، وعليه بُرنس ؛ وهاهو في جانب المسجد ، فقال المغيرة : إنه لم يأت زائراً ولا تاجراً .

قالوا : وجاء أبو موسى ، حتى دخل على المغيرة ومعه صَحيفة ملء يده ، فلمّا رآه قال : أمير ! فأعطاه أبو موسى الكتاب ، فلمّا ذهب يتحرك عن سريره قال له : مكانك ! تجهّز ثلاثاً .

قال أبو الفرج : وقال آخرون : إنّ أبا موسى أمره أن يرحل من وقته ، فقال المغيرة : قد علمت ماوجّهت له ، فألا تقدمت وصلّيت ! فقال : ماأنا وأنت في هذا الأمر إلا سواء ، فقال المغيرة : إنّي أحبّ أن أقيم ثلاثاً لأتجهّز ، فقال أبو موسى : قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألّا أضع عهدي من يدي ، إذا قرأته حتى أرحّلك إليه . قال : إن شئت شفّعتني ، وأبررت قَسَم أمير المؤمنين بأن تؤجّلني إلى الظهر ، وتمسك الكتاب في يدك .

قالوا : فلقد رُئيَ أبو موسى مقبلا ومدبراً ، وإنّ الكتاب في يده معلّق بخيط ، فتجهّز المغيرة ، وبعث إلى أبي موسى بعَقيلة ؛ جارية عربية من سَبْي اليمامة ، من

بنى حنيفة ، ويقال : إنها مولّدة الطائف ، ومعها خادم ، وسار المغيرة حين صلّى الظهر ، حتى قدم على عمر .

قال أبو الفرج : فقال محمد بن عبد الله بن حزم فى حديثه : إنّ عمر قال له لما قدم عليه : لقد شُهِد عليك بأمرٍ ، إن كان حقًّا لأَنْ تكون متّ قبل ذلك كان خيراً لك!

قال أبو الفرج : قال أبو زيد عُمر بن شبّة : فجلس له عمر ، ودعا به وبالشهود ، فتقدّم أبو بَكْرة ؛ فقال: أرأيته بين فخِذيها ؟ قال : نعم والله ؛ لكأنّى أنظر إلى تشريم جدرىّ بفخذيها ، قال المغيرة : لقد ألطفت النّظر . قال أبو بَكْرة : لم آلُ أن أثبت مايخزيك الله به ! فقال عمر : لا والله حتى تشهد : لقد رأيته يلجُ فيها كما يلج المِرْود فى المكحلة؛ قال: نعم أشهد على ذلك ، فقال عمر : اذهَبْ عنك مغيرة ، ذهب رُبْعك .

قال أبو الفرج : ويقال إن عليًّا عليه السلام هو قائل هذا القول . ثم دعا نافعاً فقال: علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبى بكْرة ، فقال عمر : لا حتّى تشهد أنك رأيته يلج فيها ولوجَ المِرْود فى المكحلة ، قال : نعم ، حتى بلغ قُذَذه [1] فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب نصفُك ، ثم دعا الثالث وهو شِبْل بن معبد ، فقال : علام تشهد ؟ قال : علَى مثل شهادة صاحبىّ ، فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثةُ أرباعك .قال :فجعل المغيرة يبكى إلى المهاجرين ، وبكى إلى أمّهات المؤمنين حتى بكين معه ، قال : ولم يكن زيادٌ حضر ذلك المجلس ، فأمر عمر أن ينحّى الشهود الثلاثة ، وألا يجالسهم أحدٌ من أهل المدينة ، وانتظر قدومَ زياد ، فلمّا قدم جلس فى المسجد ، واجتمع رءوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : وكنت قد أعددت كلمةً أقولها ، فلمّا رأى عمر زياداً مقبلاً ، قال: إنّى لأرَى رجلاً لن يخزىَ الله على لسانه رجلاً من المهاجرين .

---

(١) قذذه : جمع قذة ؛ وهى جانب الحياء.

قال أبو الفرج : وفى حديث أبى زيد بن عمر بن شبّة ؛ عن السرىّ ، عن عبد الكريم ابن رشيد ، عن أبى عثمان النّهدىّ ، أنه لما شهد الشاهد الأول عند عمر ؛ تغيّر لذلك لونُ عمر ، ثم جاء الثانى فشهد ، فانكسر لذلك انكساراً شديداً ، ثم جاء الثالث فشهد ، فكأنّ الرّماد نُثِر على وجه عمر ، فلمّا جاء زياد ، جاء شابٌّ يخطِر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه وقال : ماعندك أنت ياسَلْح العُقاب ـ وصاح أبو عثمان النهدىّ صيحةً تحكِي صيحة عمر ـ قال عبد الكريم بن رشيد : لقد كدتُ أن يُغْشَى علىّ لصيحته .

قال أبو الفرج : فكان المغيرة يحدّث ، قال : فقمتُ إلى زياد ، فقلت :لا مخبأ لِعِطْرٍ بعد عَرُوس يازياد ، أذكّرك الله وأذكّرك موقفَ القيامة وكتابه ورسوله ، أن تتجاوز إلى مالم تَرَ ! ثم صحت : ياأمير المؤمنين إنّ هؤلاء قد احتقروا دمى فالله الله فى دمى ! قال: فترنّقت عينا زياد واحمرّ وجهه ، وقال : ياأمير المؤمنين ، أما إنّ أحقّ ما حقّ القوم ، فليس عندى، ولكنى رأيت مجلساً قبيحا ، وسمعت نَفَساً حثيثا، وانبهارا، ورأيته متبطّنها، فقال عمر : أرأيته يدخِل ويخرج كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا !

قال أبو الفرج : وروى كثير من الرواة أنه قال : رأيته رافعاً برجليها ، ورأيت خُصيَيه متردّدتين بين فخذيها ، وسمعت حَفَزاً شديداً ، وسمعت نفَساً عاليا ؛ فقال عمر : أرأيتَه يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة ؟ قال : لا ، فقال عمر : الله أكبر ! قم يامغيرة إليهم فاضربهم ، فجاء المغيرة إلى أبى بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين .

وروى قومٌ أن الضارب لهم الحدّ لم يكن المغيرة ، وأعجب عمر قولُ زيادٍ ، ودرأ الحدّ عن المغيرة ، فقال أبو بكرة بعد أن ضُرِب : أشهد أنّ المغيرة فعَل كذا وكذا ! فهمّ عمر بضربه ، فقال له علىّ عليه السلام : إنْ ضربته رجمت صاحبَك ! ونهاه عن ذلك .

قال أبو الفرج : يعنى إنْ ضربه تصير شهادته شهادتين ، فيوجب بذلك الرّجمَ على المغيرة .

قال : فاستتاب عمر أبا بكْرة ، فقال : إنّما تستتيبنى لتقبل شهادتى ، قال :أجل!قال: فإنّى لاأشهد بين اثنين مابقيتُ فى الدنيا ! قال : فلمّا ضُرِبوا الحدّ قال المغيرة :اللهأ كبر ، الحمد لله الذى أخزاكم ! فقال عمر : اسكت أخزى الله مكانا رأوْك فيه !

قال : وأقام أبو بكْرة على قوله ، وكان يقول:والله ماأنسى قط فخذيْها،وتاب الاثنان، فقبل شهادتهما ، وكان أبو بَكْرة بعد ذلك إذا طُلب إلى شهادة قال : اطلبوا غيرى،فإنّ زياداً أفسد علىّ شهادتى .

وقال أبو الفرج : وروى إبراهيم بن سعيد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما ضُرِب أبو بكرة أمرت أمّه بشاة فذبحت وجعل جِلْدَها على ظهره ، قال إبراهيم : فكان أبى يقول : ماذاك إلّا من ضربٍ شديد .

قال أبو الفرج : فحدّثنا الجوهرىّ ، عن عمر بن شبّة ، عن علىّ بن محمد عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كانت الرقطاء التى رُمِى بها المغيرة تختلف إليه فى أيّام إمارته الكوفة ، فى خلافة معاوية فى حوائجها ، فيقضيها لها .

قال أبو الفرج : وحجّ عمر بعد ذلك مرّةً ، فوافق الرقطاء بالموسم،فرآها،وكان المغيرة يومئذ هناك ، فقال عمر للمغيرة : ويحك ! أتتجاهل علىّ ! والله ماأظنّ أبا بكْرة كَذَب عليك ، وما رأيتكَ إلّا خفت أن أرمى بحجارة من السماء !

قال : وكان علىٌّ عليه السلام بعد ذلك يقول : إن ظفرتُ بالمغيرة لأتبعتُه الحجارة.

قال أبو الفرج : فقال حسّان بن ثابت يهجو المغيرة ويذكر هذه القصّة :

لو انّ اللؤمَ ينسَبُ كان عبداً ... قبيحَ الوجه أعورَ من ثقيفِ

تركتَ الدين والإســلام لمّا بدت لك غُدْوة ذاتُ النَّصيفِ
وراجعت الصِّباوذكرتَ لهواً[(١)] مع القَيْنات فى العُمر اللّطيف

قال أبو الفرج : وروى المدائنيّ أنّ المغيرة لمّا شخص إلى عمر فى هذه الوقعة ، رأى فى طريقه جاريةً فأعجبتـه ، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : وأنت على هـذه الحال ! قال : وما عليك ! إن أبقَ[(٢)] فهو الذى تريد ، وإن أقتل تَرِثْـنِى . فزوّجه .

وقال أبو الفرج : قال الواقدىّ : كانت امرأة من بنى مُرّة ، تزوّجها بالرّقم[(٣)] ، فلمّا قدِم بها على عُمر ، قال : إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

فهذه الأخبـار كما تراها تدلّ متأمّلها على أنّ الرجل زَنَى بالمرأة لامحالة ، وكلّ كتب التواريخ والسِّيَر تشهد بذلك ، وإنما اقتصرنا نحنُ منها على ما فى هذين الـكتابين .

وقد روى المدائنىّ أنّ المغيرة كان أزنى الناس فى الجاهليّة ، فلمّا دخـل فى الإسلام قيده الإسلام ، وبقيتْ عنده منه بقية ظهرت فى أيام ولايته البصرة .

وروى أبو الفرج فى كتاب الأغانى عن الجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر ،قال : كان المغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجَرير بن عبد الله البجَلىّ يوما متوافِقين بالـكُناسة فى نفر ، وطلع عليهم أعرابىّ ، فقال لهم المغيرة : دعونى أحرّكه ، قالوا : لاتفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يُؤْثَر ، قال : لابدّ ، قالوا : فأنت أعلم ، فقال له: ياأعرابىّ،أتعرف المغيرة ابن شعبة ؟ قال : نعم أعرفه ، أعورَ زانيا ، فوجَم ثمّ تجلّد ، فقال : أتعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : نعم ذاك رجـل لايقرِى قومه ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّهم حاكة . قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله ؟ قال : كيف لاأعرف رجلاً لولاه ماعرفت عشيرته! فقالوا : قبّحك الله ، فإنك شرّ جليس ، هل تحبّ أن يُوقَر لك بعيرُك هذا مالاً وتموت

---

(١) الأغانى : « عهد » . (٢) الأغانى : « أعف » .
(٣) الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى .

أكرم العرب موتة ؟ قال : فمن يبلّغه إذن أهلي ؟ فانصرفوا عنه فتركوه [1] .

قال أبو الفرج : وروى عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ، ومعه الهيثم بن التَّيهان النَّخَعِيّ غبّ مطر يسير ، في ظهر الكوفة والنَّجَف ؛ فلقي ابن لسان الحُمَّرَة ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة ولا يعرفه المغيرة ، فقال له : من أينَ أقبلت ياأعرابيّ ؟ قال : من السَّماوة ؟ قال : كيف تركتَ الأرض خلفك ؟ قال : عريضة أريضة [2] ، قال : فكيف كان المطر ؟ قال : عَفّى الأثر ، وملأ الحُفَر ، قال : فمن أنتَ ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرَهم ، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكى ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتَهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك ، قال : فبنو تيمُ الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء النَّقَد [3] وعراقيب الكلاب ، قال فبني يَشْكُر ؟ قال : صريح تحسبُه مولًى .

قال هشام بن الكلبي : لأنّ في ألوانهم حُمرة . قال : فعِجْل ؟ قال : أحلاس [4] الخيل ، قال : فعبد [5] القيس ؟ قال : يطعمون الطّعام ويضربون الهام ، قال : فعَنَزة ؟ قال : لاتلتقي بهم الشفتان لؤما ، قال : فضُبَيعة أضجَم ؟ قال : جَدْعاً وعَقْرا [6] ! قال : فأخبرني عن النّساء ، قال : النساء أربع : ربيع مُرْبِع ، وجميع مجمع ، وشيطان سَمَعْمَع ، وغلّ لا يخلَع ، قال فسّر ، قال : أما الربيع المربع ، فالّتي إذا نظرتَ إليها سرّتك ، وإذا أقسمْت عليها برّتك ، وأما التي هي جَميع مجمع ، فالمرأة تتزوّجها ولها نسب فيجتمع نسبُها إلى نسبك ، وأما الشيطان السَّمعمع فالكالحة في وجهك إذا دخلْت ، المولولة في أثرك

(١) الأغاني ١٦ : ٨٩ . (٢) الأريضة : المعشبة .

(٣) النقد : صغار الغنم ، وفي الأغاني : « البقر » .

(٤) أحلاس الخيل : شجعان فرسان ملازمون لركوب الخيل .

(٥) الأغاني : « حنيفة » . (٦) دعا عليهم بالجدع والعقر ؛ يريد أصابهم الاستئصال .

إذا خرجت ، وأما الغُلّ الذى لا يُخلع ؛ فبنت عمّك السّوداء القصيرة ، الفوهاء الدّميمة ، التى قد نثرت لك بطنها ، إن طلقتَها ضاع ولدُك ، وإن أمسكتها فعلى جَدْع أنفك. قال[1] المغيرة : بل أنفُك . قال : فما تقول فى أميرك المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعور زانٍ ، فقال الهيثم بن الأسود : فضّ الله فاك ! ويلك إنه الأمير المغيرة ! قال : إنها كلمة تقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة وستون ـ أو سبعون ـ أمة ، وقال: ويحك! هل يزنى الحرّ وعنده مثل هؤلاء ! ثم قال لهنّ : ارمين إليه بحَلْيكنّ[2] ، ففعلن؛ فخرج بملء كسائه ذهبا وفضة[3] .

وإنما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السامع أنّ الخبر بزناه كان شائعاً مشهورا مستفيضاً بين الناس ، ولأنهما يتضمّنان أدبا ، وكتابنا هذا موضوع للأدب .

وإنما قلنا : إن عمر لم يخطئ فى دَرْء الحدّ عنه ، لأن الإمام يستحبّ له ذلك ، وإن غلب على ظنّه أنه قد وجب الحدّ عليه ، روى المدائنىّ أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام أُتِىَ برجلٍ قد وجب عليه الحدّ ، فقال : أهاهنا شهود ؟ قالوا : نعم ، قال : فأتونى بهم إذا أمسيتم ، ولا تأتونى إلا معتمّين ، فلمّا أعتموا جاءوه ، فقال لهم : نشدت الله رجلاً مالى عنده مثل هذا الحدّ إلا انصرف ! قال : فما بَقِىَ منهم أحدٌ . فدرأ عنه الحدّ

ذكر هذا الخبر أبو حيّان فى كتاب " البصائر " فى الجزء السادس منه .

والخبر المشهور الّذى كاد يكون متواتراً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ادرءوا الحدود بالشبُهات » . ومَنْ تأمّل المسائل الفقهيّة فى باب الحدود ، علم أنها بنيتْ على الإسقاط عند أدنى سببٍ وأضعفه ، ألا ترى أنه لو أقرّ بالزنا ثم رجع عن إقراره قبل إقامة الحدّ ، أو فى وسطه قبل رجوعه وخلّى سبيله !

---

(١) الأغانى : « فقال» (٢) الأغانى : « بحلاكنّ » (٣) الأغانى ١٦ : ٩٠ ، ٩١ .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : يستحب للإمام أن يلقن المقرّ الرجوع ، ويقول له : تأمل ماتقول ، لعلك مسستها ، أو قبّلتها . ويجب على الإمام أن يسأل الشهود : ماالزنا ؟ وكيف هو ؟ وأين زنى ؟ وبمن زنى ؟ ومتى زنى ؟ وهل رأوه وطئها في فرجها كالميل في المكحلة ؟ فإذا ثبت كلّ ذلك سأل عنهم ، فلا يقيم الحدّ حتى يعدلهم القاضي في السرّ والعلانية ، ولا يقام الحدّ بإقرار الإنسان على نفسه ، حتى يقرّ أربع مرات في أربعة مجالس ، كلما أقرّ ردّه القاضي ، وإذا تمّ إقراره سأله القاضي عن الزّنا ؟ ماهو ؟ وكيف هو ؟ وأين زنى ؟ وبمن زنى ؟ ومتى زنى ؟

قال الفقهاء : ويجب أن يبتدئ الشهود برجمه إذا تكاملت الشهادة ، فإن امتنعوا من الابتداء برجمه سقط الحدّ .

قالوا : ولا حدّ على مَنْ وطئ جارية ولده ، أو ولد ولده ، وإن قال : علمت أنها عليّ حرام ، وإن وطئ جارية أبيه أو أمه أو أخته ، وقال : ظننت أنها تحلّ لي فلا حدّ عليه ، ومَنْ أقرّ أربع مرات في مجالس مختلفة بالزّنا بفلانة ، فقالت هي : بل تزوّجني ، فلا حدّ عليه ، وكذلك إن أقرّت المرأة بأنّه زنى بها فلانٌ ، فقال الرجل : بل تزوّجتها ، فلا حدّ عليهما ، قالوا : وإذا شهد الشهود بحدّ متقادم من الزّنا لم يمنعهم عن إقامته بعدهم عن الإمام ، لم تقبل شهادتهم إذا كان حدّ الزنا ، وإن شهدوا أنه زنى بامرأة ولا يعرفونها لم يحدّ ؛ وإن شهد اثنان أنّه زنى بامرأة بالكوفة ، وآخران أنه زنى بالبصرة دُرِئ الحدُّ عنهما جميعاً ، وإن شهد أربعة على رجل أنه زنى بامرأة بالنُّخَيلة عند طلوع الشمس من يوم كذا وكذا ، وأربعة شهدُوا بهذه المرأة عند طلوع الشمس ذلك اليوم بدير هند دُرِئ الحدّ عنه وعنها وعنهم جميعا ، وإن شهد أربعة على شهادة أربعة بالزنا لم يحدُّ المشهود عليه .

وهذه المسائل كلها مذهب أبى حنيفة ، ويوافقه الشافعىّ فى كثير منها ، ومَن تأمّلها علم أنّ مبنى الحدود على الإسقاط بالشبهات ، وإن ضعفت .

فإن قلت : كلّ هذا لا يلزم المرتضى ، لأن مذهبه فى فروع الفقه مخالف لمذهب الفقهاء.

قلت : ذكر محمد بن النعمان — وهو شيخ المرتضى ، الذى قرأ عليه فقه الإماميّة — فى كتاب « المقنعة » ، أن الشهود الأربعة إن تفرقوا فى الشهادة بالزنا ولم يأتوا بها مجتمعين فى وقت فى مكانٍ واحد ، سقط الحدّ عن المشهود عليه ، ووجب عليهم حدّ القذف .

قال : وإذا أقرّ الإنسان على نفسه بالزنا أربعَ مرات على إختيارٍ منه للإقرار وجب عليه الحدّ ، وإن أقرّ مرّة أو مرّتين أو ثلاثا لم يجبْ عليه الحدّ بهذا الإقرار ، وللإمام أن يؤدّبه بإقراره على نفسه حسب مايراه ، فإن كان أقرّ على امرأة بعينها جُلد حدّ القذف .

قال : وإن جعل فى الحفرة ليرجَم وهو مقرٌّ على نفسه بالزنا ففرّ منها ، ترك ولم يردّ ، لأن فِراره رجوعٌ عن الإقرار ، وهو أعلم بنفسه .

قال : ولا يجب الرّجم على المحصَن الذى يعدّه الفقهاء محصنًا ، وهو من وطىء امرأة فى نكاحٍ صحيح ، وإنما الإحصان عندنا مَنْ له زوجة أو مِلْك يمينٍ يستغنِى بها عن غيرها ، ويتمكّن من وطئها ، فإن كانت مريضةً لا يصل إليها بنكاح ، أو صغيرة لا يوطأ مثلها ، أو غائبة عنه أو محبوسة لم يكن محصنًا بها ، ولا يجب عليه الرّجم .

قال : ونكاح المتعة لا يحصِّن عندنا ، وإذا كان هذا مذهب الإماميّة ؛ فقد اتّفق قولهم وأقوال الفقهاء فى سقوط الرّجم بأدنى سبب ، والذى رواه أبو الفرج الأصفهانى : إن زيادا لم يحضر فى المجلس الأول ، وأنه حضر فى مجلس ثانٍ ، فلعلّ إسقاط الحدّ كان لهذا .

ثم نعود إلى تصفّح مااعترض به المرتضى كلام قاضى القضاة .

أما قوله : كان الحدّ فى حكم الثابت ، فإن الله تعالى لم يوجب الحدّ إلا إذا كان ثابتا ،ولم يوجبه إذا كان فى حكم الثابت ، ويسأل عن معنى قوله: «فى حكم الثابت»: هل المراد بذلك أنه قريب من الثبوت ، وإن لم يثبت حقيقة ، أم المراد أنه قد ثبت وتحقق ؟ فإن أراد الثانى ،قيل له : لا نُسلّم أنه ثبت ، لأن الشهود لم تتمّ ، وقد اعترف المرتضى بذلك،وأقرّ بأن الشهادة لم تكمُل ، ولكنه نسب ذلك إلى تلقين عمر ، وإن أراد الأوّل قيل له : ليس يكفى فى وجوب الحدّ أن يكون قريباً إلى الثبوت ؛ لأنه لو كفى ذلك لحدّ الإنسانُ بشهادة ثلاثة من الشهود .

وأما قوله : إنّ عمر لقّنه وكره أن يشهد ، فلا ريب أنّ الأمر وقع كذلك،وقد قلنا: إنّ هذا جائز بل مندوب إليه ، وروينا عن أمير المؤمنين ما رويناه ، وذكرنا قول الفقهاء فى ذلك وأنهم استحبُّوا أن يقول القاضى المقرّ بالزنا : تأمّل ماتقوله ، لعلك مسسْتَها أو قبّلتها !

فأما قول المرتضى :إنه درأ الحدّ عن واحد ، وكان درؤه عن ثلاثة أوْلى ؛ فقد أجاب قاضى القضاة عنه بأنّه ما كان يمكن دفعه عنهم .

فأما قول المرتضى : بل قد كان يمكن دفعه عنهم ، بألّا يلقّن الرابع الامتناع من الشهادة ، فقد أجاب قاضى القضاة عنه : بأنّ الزّنا ووسْم الإنسان به أعظم وأشنعُ وأفحشُ من أن يوسَم بالكذب والافتراء ، وعقوبة الزانى أعظم من عقوبة الكاذب القاذف عند الله تعالى فى دار التكليف ، يبيّن ذلك أنّ الله تعالى أوجبَ جلْد ثلاثة من الملدين ، لتخليص واحد شهد الثلاثةُ عليه بالزّنا ، فلو لم يكن هذا المعنى ملحوظاً فى نظر الشّارع لما أوجبه ، فكيف يقول المرتضى : ليس لأحدِ الأمرين إلّا ماف الآخر !

وأما خبرُ السارق الذى رَواه قاضى القضاة ، وقول المرتضى فى الاعتراض عليه: ليس فى دفع الحدّ عن السارق إيقاع غيره فى المكروه ، وقِصّة المغيرة تخالف هذا ، فليس بجيّد

لأنّ فى دفع الحدّ عن السارق إضاعة مال المسلم الذى سرق السارق فى زمانه . وفيه أيضاً إغراء أهل الفساد بالسَّرِقة ؛ لأنّهم إذا لم يقم الحدّ عليهم لمكان الجحود أقدموا على سرِقة الأموال ، فلو لم يكن عناية الشارع بالدماء أكثر من عنايته بغيره من الأموال والأبشار لما قال للمكلّف : لاتقرّ بالسرقة ولا بالزنا ، ولما رجّح واحدا على ثلاثة ، وهان فى نظره أن تضرَب أبشارهم بالسِّياط ، وهم ثلاثة حفظا لدم واحد .

وأمّا حديثُ صَفْوان وقول المرتضَى فلا يشبه كلّ مانحن فيه ، لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله بيّن أن ذلك القول يسقط الحدّ لو تقدم ، وليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحدّ.

فجوابه أنّ قاضى القضاة لم يقصد بإيراد هذا الخبر إلّا تشييدَ قول عمر : أرى وجهَ رجلٍ لايفضح الله به رجلاً من المسلمين ؛ لأن عمر كرِه فضيحة المغيرة ، كما كره رسول الله صلى الله عليه وآله فضيحة السارق الذى قال صفوان: « هو له »، وقال عليه السلام: «هلّاقبل أن تأتينى به ! » أى هلاّ قلتَ ذلك قبل أن تحضره ، فلم يفتضح بين الناس ! فإنّ قولك: « هوله » ، وإن درأ الحدّ إلّا أنّه لايدرأ الفضيحة !

فأمّاماحكاه قاضى القُضاةعن أبى علىّ ، من أن القذف قد كان تقدّم منهم وهم بالبصرة، فقد ذكرنا فى الخبر مايدلّ على ذلك ، فبطل قول المرتضى : إن ذلك غير معروف ، وإنّ الظاهر المروىّ خلافه .

وأما قول عمر المغيرة : مارأيتُك إلّا خفت أن يرميَنى الله بحجارة من السماء؛ فالظاهر أنّ مراده ماذكره قاضى القضاة من التخويف وإظهار قوة الظنّ بصدق الشهود ، ليكونَ ردْعاً له ؛ ولذلك وَرَد فى الخبر : ماأظنّ أبا بَكْرة كذب عليك ، تقديره : أظنّه لم يكذب ، ولو كان كما قال المرتضى ندما وتأسّفا على تفريط[1] وقع ، لأقام الحدّ عليه ، ولو بعد حين ؛ ومَن الّذى كان يمنعه من ذلك لو أراده !

---

(١) ساقطة من : ب .

وقوله : لِمَ يخافُ أن يرمَى بالحجارة وهو لم يدرأ الحدّ عن مستحق له ؟ جوابه أنّ هـذا القول يجرى مجرى التهويل والتخويف المغيرة ، كيلا يقدم على أن يعرّض نفسه لشبهة فيما بعد .

فأما قول قاضى القضاة : إنّه غيرُ ممتنع أن يحبّ ألّا يفتضح لما كان متولياً للبصرة من قِبَله ، وقول المرتضى معترضا عليه : إن كونه والياً من قبَله لايقتضى أن يدرأ عنه الحدّ ، فغير لازم ، لأنّ قاضى القضاة ماجعل كونه واليا من قِبَله مقتضيا أن يدَرأ عنه الحدّ ؛ وإنما قاله فى جواب مَنْ أنـكر على عمر محبّته لدرء الحدّ عنه ، فقال : إنه غير قبيح ، ولايحرم محبّة درء الحدّ عنه لأنه والٍ من قبَله ! فجعل الولاية للبصرة مسوّغة لمحبّة عمر لدفع الحدّ عنه ، لامسوّغة لدفع الحدّ عنه ، وبين الأمرين فرق واضح .

وأما قول المرتضى : إنّ الشرع حظَر كتمان الشهادة ؛ فصحيح فيما عدا الحدود، فأما فى الحدود فلا ، وقد وَرَد فى الخبر الصحيح : « مَنْ رأى على أخيه شيئا من هذه القاذورات وستر ، ستره الله يوم يفتضح المجرمون » .

فأما قول المرتضى : هب أنّ الحدّ سقط ، أما اقتضت الحال تأديبَ المغيرة بنوع من أنواع التعزير وإن خفّ ! فكلام لازم لاجواب عنه ، ولو فعله عمر لبرئ من التهمة براءة الذئب من دم يوسف ، وما أدرى كيف فاته ذلك مع تشدّده فى الدين وصلابته فى السياسة ! ولعله كان له مانع عن اعتماد ذلك لانعلمه !

* * *

الطعن السابع

أنه كان يتلون فى الأحكام ، حتى رُوِى أنه قضَى فى الجدّ بسبعين قضيّة ــ ورُوِى

مائة قضيّة ـ وأنه كان يفضّل فى القسمة والعطاء وقد سوّى الله تعالى بين الجميع ، وأنه قال فى الأحكام من جهة الرأى والحَدْس[1] والظنّ .

أجاب قاضى القضاة عن ذلك ، فقال : مسائل الاجتهاد يسوغ فيها الاختلاف والرجوع عن رأى إلى رأى ، بحسب الأمارات وغالب الظنّ ، وقد[2] ذكر أنّ ذلك طريقة أمير المؤمنين عليه السلام فى أمّهات الأولاد ، ومقاسمة الجدّ مع الإخوة ، ومسألة الحرام .

قال : وإنما الكلام فى أصل القياس والاجتهاد ، فإذا ثبت ذلك خرج من أن يكون طعناً ، وقد ثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يولّى من يرى خلاف[3] رأيه ، كابن عباس وشُرَيح ، ولا يمنع زيدا وابن مسعود من الفُتْيا مع الاختلاف بينه وبينهما .

فأما ما رُوِى من السبعين قضيّة ، فالمراد به فى مسائل من الجدّ ، لأنّ مسألة واحدة لا يوجد فيها سبعون قضيّة مختلفة ؛ وليس فى ذلك عيب ، بل يدلّ على سعة علمه .

وقال : قد صحّ فى زمانِ الرسول صلى الله عليه وآله مثلُ ذلك ، لأنه لمّا شاور فى أمر الأسرى أبا بكر أشار ألّا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما جميعا ، فما الذى يمنع من كون القولين صوابا من المجتهدين ، ومن الواحد فى حالين ؟

وبعد ، فقد ثبت أنّ اجتهاد الحسن عليه السلام فى طلب الإمامة كان بخلاف اجتهاد الحسين عليه السلام ، لأنه سلّم الأمر وتمكّنه أكثرُ من تمكّن الحسين عليه السلام ، ولم يمنع ذلك من كونهما عليهما السلام مُصيبين .

---

(١) فى الأصول : « الحدّ » ، والصواب ما أثبته من الشافى .
(٢) الشافى : « وادّعى أن ذلك طريقة أمير المؤمنين » .
(٣) الشافى : « خلافه » .

اعترض المرتضى هذا الجواب ، فقال[1] : لا شكَّ أنَّ التلوّن فى الأحكام والرجوع من قضاء إلى قضاء ، إنما يكون عَيْباً وطعنا إذا أبطل الاجتهاد الذى يذهبون إليه فأمّا لو ثبت لم يكن ذلك عيبا ، فأما الدعوى على أمير المؤمنين عليه السلام أنه تنقل فى الأحكام ورجع مِنْ مذهب إلى آخر ، فإنها غيرُ صحيحة ، ولا نسلّمه ،[2] ونحن ننازعه فيها[3]،وهو لا ينازعنا فى تلوّن صاحبه وتنقّله ؛ فلم يشتبه الأمران .

وأظهرُ ماروِى فى ذلك خَبَرُ أمّهات الأولاد ، وقد بينا فيما سلف من الكتاب مافيه ، وقلنا : إنّ مذهبه فى بيعهنّ كان واحدا غير مختلف ، وإن كان قد وافق عمر فى بعض الأحوال لضرب من الرأى ، فأمّا توليتُه لمن يرى خلاف رأيه ، فليس ذلك لتسويغه الاجتهاد الذى يذهبون إليه ، بل لما بيّناه من قبل ؛ أنّه عليه السلام كان غير متمكّن من اختياره ، وأنّه يجرى أكثر الأمور مجراها المتقدّم للسياسة والتدبير ، وهذا التسبب فى أنّه لم يمنع مَنْ خالفه فى الفُتيا .

فأما قوله : إنّ السبعين قضيّة لم تكن فى مسألة واحدة ، وإنّما كانت فى مسائل من الجدّ ؛ فكلا الأمرين واحد فيما قصدناه ، لأنّ حكم الله تعالى لا يختلف فى المسألة الواحدة والمسائل ، فأمّا أمرُ الأسارَى فإنْ صحّ فإنّه لا يشبه أحكام الدين المبنية على العلم واليقين ، لأنّه لا سبيلَ لأبى بكر وعمر إلى المشورة فى أمر الأسارى إلّا من طريق الظنّ والحُسْبان ، وأحكامُ الدين معلومة وإلى العلم بها سبيل .

وما ادّعاه من اجتهاد الحسن بخلاف اجتهاد الحُسين ليس على ماظنّه ، لأنّ ذلك لم يكن عن اجتهاد وظنّ ، بل كان عن علمٍ ويقين ، فمن أين له أنهما عملا على الظنّ ! فما نراه اعتمد على حُجّة ! ومن أينَ له أنّ تمكُّنَ الحسن كانَ أكثر من تمكن الحسين !

---

(١) الشافى : « يقال له » .

(٢–٢) الشافى : « ونحن ننازعه فى ذلك كلّ النزاع ، ونذهب إلى دفعه أشدّ الدفع ؛ وهو لا ينازعنا فى تلون صاحبه فى الأحكام ، فلم يشتبه الأمران » .

عَلَى أنّ هذا لو كان عَلَى ماقاله لم يحسن من هذا التّسليم ومن ذاك القتال ، لأنّ المقاتل قد يكون مغرّرا مُلقياً بيديْه إلى التهلكة ، والمسالم مضيّعا للأمر مفرّطا ، وإذا كان عند صاحب الكتاب التسليم والقتال إنّما كانا عن ظنّ وأمارات فليس يجوز أن يغلب على الظنّ بأنّ الرأى فى القتال مع ارتفاع أمارات التمكن ، ولا أن يغلب فى الظنّ المسالمة مع قوّة أمارات التمكن[1] .

* * *

قلت : أمّا القولُ فى صحّة الاجتهاد وبطلانه ، فله مواضع غير هذا الموضع ، وكذلك القول فى تقيّة الإمام واستصلاحه وفعله مالا يسوغ لضرب من السّياسة والتدبير .

وأمّا مسائل الجدّ فلم يعترض المرتضى قولَ قاضى القضاة فيها ، وأمّا قاضى القُضاة فقد استبعد ، بل أحال أن تكون مسألة واحدة بعينها تحتمل سبعين حُكْما مختلفة ، فحمل الحديث على أنّ عُمر أفتى فى باب ميراث الأجداد والجدّات بسبعين فتيا فى سبعين مسألة مختلفة الصّور ، وذلك دليل على علمه وفقهه ، وتمكّنه من البحث فى تفاريع المسائل الشرعية.

هذا هو جواب قاضى القضاة ، فكيف يعترض بقوله : كلا الأمرين واحد فيما قصدناه ؛ لأن حكم الله لايختلف فى المسألة الواحدة والمسائل المتعددة ؟ أليس هذا اعتراض مَنْ ظَنّ أنّ قاضى القضاة قد اعترض بتناقض أحكامه ، ولكن لافى مسألة بعينها ، بل فى مسائل من باب ميراث الجدّ ! ولم يقصد قاضى القضاة ماظنّه ، والوجه أن يعترض قاضى القضاة فيقال : إنّ الرّواة كلّهم اتفقوا على أنّ عمر تلوّن تلونا شديدا فى الجدّ مع الإخوة كيف يقاسمهم ! وهى مسألة واحدة ، فقضى فيها بسبعين قضيّة ، فأخرجوا الرواية مخرج التعجّب من تناقض فتاويه ، ولم يخرج أحدٌ من المحدّثين الرواية مخرج المدح له بسعة تفريعه فى الفقه والمسائل ، فلا يجوز صرفُ الرّواية عن الوضع الذى وردت عليه .

---

(١) الشافى ٢٠٦ .

وقول قاضي القضاة : كيف تحتمل مسألة واحدة سبعين وجها ! جوابه أنه لم يقع الأمر بموجب ماتوهمه ، بل المراد أنّ قوماً تحاكموا إليه فى هذه المسألة مثلا اليوم ، فأفتى فيها بفُتيا ، نحو أن يقول فى جدّ وبنت وأخت : للبنْت النّصف والباقى بين الجدّ والأخت ؛ للذكر مثل حظ الأنثيين ، وهو قول زيد بن ثابت ، ثم يتحاكم إليه بعد أيام فى هـذه المسألة بعينها ، قد وقعت لقوم آخرين ، فيقول : للبنت النصف وللجدّ السدس ، والباقى للأخت ، وهو المذهب المحكىّ عن علىّ عليه السلام ، وذلك بأن يتغلّب على ظنه ترجيحُ هذه الفُتيا على ما كان أفتى به من قبل ، ثم تقع هـذه المسألة بعينها بعد شهر آخر ، فيفتى فيها بفتيا أخرى ، فيقول : للبنت النصف والباقى بين الجدّ والأخت نصفين ، وهو مذهب ابن مسعود ، ثم تقع المسألة بعينها بعد شهر آخر ، فيقضى فيها بالفُتيا الأولى ، وهى مذهب زيد ، بأنْ يعود ظنُّه مترجّحاً متغلّبا لمذهب زيد ، ثم تقع المسألة بعينها بعد وقت آخر ، فيفتى فيها بقول علىّ عليه السلام ، وهكذا لاتزال المسألة بعينها تقع ، وأقواله فيها تختلف ، وهى ثلاثة لامزيد عليها ، إلّا أنه لايزال يفتى فيها فتاوى مختلفة ، إلى أن توفِّىَ فأحصيت ؛ فكانت سبعين فتيا .

فأمّا احتجاجُ قاضى القضاة بقصّة أسرى بدر فجيّد ، وأمّا ما اعترض به المرتضى فليس بجيّد ؛ لأن المسألة من باب الشّرع ، وهو قتل الأسرى أو تخليتهم بالفداء ، والقتل وإراقة الدّم من أهم المسائل الشرعية ، وقد علم من الشّارع شدّة العناية بأمر الدّماء ، فإن كانت أحكام الشرع لايجوز أن تتلقّى ، وأن يفتى فيها إلا بطريق معلومة ، وأنّ الظنّ والاجتهاد لامدخلَ له فى الشّرع ـ كما يذهب إليه المرتضى ـ فكيف جازَ مِن رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ يشاورَ فى أحكام شرعيّة مَنْ لاطريق له إلى العلم ، وإنّما قصارى أمره الظنّ والاجتهاد والحسبان ! وكيف مدحهما جميعاً ، وقد اختلفا ، ولابد أن يكون أحدهما مخطئاً !

وأما قول المرتضى : مِنْ أينَ لقاضى القضاة أنّ ما اعتمده الحسنُ والحسين من الكفّ والإقدام كان عن الاجتهاد ! فجيّد ، وجواب صحيح على أصول الإماميّة؛ لأنه ليس بمستحيل أن يعتمدا ذلك بوصيّة سابقة من أبيهما عليهما السلام .

وأما قوله لقاضى القضاة : كلامُك مضطرب ، لأنك أسندت ما اعتمداه إلى الاجتهاد، ثم قلت : وقد كان تمكُّن الحسن أكثر من تمكن الحسين عليه السلام ، وهذا يؤدّى إلى أنّ أحدهما غرّر بنفسه والآخر فرّط فى تسليم حقّه؛ فليس بجيّد . والذى أراده قاضى القضاة الدلالة على جواز الاجتهاد ، وأنه طريقة المسلمين كلهم ؛ وأهل البيت عليهم السلام ، وأومأ إلى ما اعتمده الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية ، وما اعتمده الحسين من منازعة يزيد الخلافة ، فعملا فيها بموجب اجتهادهما ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة ؛ وقد كان تمكن الحسن عليه السلام فى الحال الحاضرة أكثر من تمكن الحسين عليه السلام فى حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيفاً به — وهم كما روى مائة ألف سيف — ولم يكن مع الحسين عليه السلام ممّن يحيط به ويسير بمسيره إلى العراق إلا دون مائة فارس؛ ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفاً ، فكان الحسن يظنّ خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الحسين عليه السلام يظنّ نُصرة أصحابه عند اللقاء والحرب، فلذلك أحجم أحدهما وأقدم الآخر ؛ فقد بان أنّ قول قاضى القضاة غيرُ مضطرب ولا متناقض .

* * *

الطعن الثامن

ماروى عن عمر من قوله : « مُتعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما » ؛ وهذا اللفظ قبيح لو صحّ المعنى ، فكيف إذ فسد ! لأنه ليس ممن

يشرع فيقول هذا القول ، ولأنه يُوهم مساواة الرسول صلى الله عليه وآله في الأمر والنهي، وأنّ اتّباعه أولى من اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله .

أجاب قاضي القضاة ، فقال : إنه إنما عَنَى[1] بقوله : «وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما» كراهتَه لذلك ، وتشدّده فيه ، من حيث نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بعد أن كانتا في أيامه ، منبِّهاً بذلك على حصول النَّسْخ فيهما وتغيّر الحكم ، لأنّا نعلم أنه كان متبعاً للرّسول ، متديناً بالإسلام ، فلا يجوز أن نحمل قوله على خلاف ما تواتر من حاله. وحكى عن أبي عليّ أنّ ذلك بمنزلة أن يقول : إني أعاقب مَنْ صلّى إلى بيت المقدس ، وإن كان صُلِّيَ إلى بيت المقدس في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله . واعتمد في تصويبه على كفّ الصحابة عن النّكير عنه . وادّعى أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام أنكر على ابن عباس إحلال المُتعة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله تحريمها ؛ فأمّا مُتعة الحج فإنما أراد ما كانو يفعلون من فَسْخ الحجّ ، لأنه كان يحصل لهم عنده التمتع ، ولم يرد بذلك التمتع الّذي يجرى مجرى تقدّم العمرة وإضافة الحجّ إليها بعد ذلك ، لأنّه جائز لم يقع فيه قبح .

***

اعترض المرتضى هذا الكلام[2] فقال : ظاهر الخبر المرويّ عن عمر في المتعتين يبطل هذا التأويل ، لأنه قال : « مُتعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما » ، فأضاف النّهي إلى نفسه ، ولو كان الرسول نَهَى عنهما لأضاف النّهي إليه ، فكان آكد وأوْلى ، فكان يقول : فنهى عنهما أو نسخهما وأنا من بعده أنهى عنهما وأعاقب عليهما . وليس يشبه ما ذكره من الصّلاة إلى بيت المقدس ، لأنّ نسخ

---

(١) الشافي : « وهذا غير لازم ، لأنه عنى بقوله : أنا أنهى عنها » .
(٢) الشافي : « يقال له : ظاهر الخبر المروي . . . . » .

الصلاة إلى بيت المقدس معلومٌ ضرورةً من دينه صلى الله عليه وآله ، وليس كذلك المتعة ، على أنّه لو قال : إنّ الصلاة إلى بيت المقدس كانت فى أيام النبى صلى الله عليه وآله جائزةً وأنا الآن أنهى عنها لكان قبيحاً شنيعاً ، مثل ما استقبحنا من القول الأوّل ، وليس هذا القول منه ردًّا على الرسول صلى الله عليه وآله ، لأنه لا يمتنع أن يكون استحسن حَظْرها فى أيامه لوجهٍ لم يكن فيما تقدم ، واعتقد أنّ الإباحة فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله كان لها شرط لم يوجَد فى أيامه ، وقد روى عنه أنّه صرّح بهذا المعنى ، فقال : إنما أحلّ الله المتعةَ للنّاس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والنساء يومئذ قليلة ، ولذلك روى عنه فى مُتْعة الحجّ أنّه قال : قد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعلَها وأصحابه ، ولكن كرهت أن يظلّوا بها معرِسين تحت الأراك ، ثم يرجعوا بالحجّ تقطر رءوسهم .

وأمّا[(1)] اعتمادُه على الكفّ عن النكير ، فقد تقدّم أنه ليس بحجّة إلا على شرائط شرحناها ؛ عَلَى أنّه قد رُوِى أنّ عمر قال بعد نهيه عن المتعة : لا أُوتَى بأحدٍ تزوّج متعة إلا عذّبته بالحجارة ، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت . وما وجدنا أحداً أنكر عليه هذا القول ، لأنّ المتمتّع عندهم لا يستحقّ الرّجم ، ولم يدلّ ترك النّكير على صوابه .

فأما ادّعاؤه على أمير المؤمنين عليه السلام أنّه أنكر على ابن عباس إحلالها ؛ فالأمر بخلافه وعكسه ، فقد روى عنه عليه السلام من طرق كثيرة أنّه كان يفتى بها ، وينكر على محرّمها والناهى عنها ، وروى عمر بن سعد الهمدانىّ ، عن حُبيش بن المعتمر ، قال : سمعتُ عليًّا عليه السلام يقول : لولا ما سبق من ابن الخطاب فى المُتعة مازنى إلا شقىّ . وروى أبو بصير ، قال : سمعتُ أبا جعفر محمد بن علىّ الباقر عليه السلام يروى عن جدّه أميرَ المؤمنين عليه السلام : لولا ماسبقنى به ابن الخطاب مازنى إلا شقىّ . وقد أفتى بالمتعة

---

(1) الشافى : « فأما » .

جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وسلمة بن الأكوع ، وأبي سعيد الخدريّ ، وسعيد بن جُبَير ، ومجاهد ، وغير ما ذكرناه ممّن يطول ذكره ، فأمّا سادةُ أهلِ البيت عليهم السلام وعلماؤهم فأمرُهم واضح فى الفُتْيا بها ، كعليّ بن الحسين زين العابدين ، وأبي جعفر الباقر عليه السلام ، وأبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وأبي الحسن موسى الكاظم ، وعليّ بن موسى الرضا عليهما السلام . وما ذكرنا من فُتيا مَنْ أشرنا إليه من الصحابة بها يدلّ على أوضح بطلان ما ذكره صاحب الكتاب من ارتفاع النّكير لتحريمها ؛ لأنّ مقامهم على الفُتْيا بها نكير .

فأمّا مُتعة الحجّ فقد فعلها النبي صلى الله عليه وآله والنّاس أجمع من بعده ، والفقهاء فى أعصارنا هذه لا يرونها خطأً بل صواباً .

فأمّا قول صاحب الكتاب : إنّ عمر إنما أنكر فسخ الحجّ فباطل ؛ لأن ذلك أوّلا لا يسمى مُتعة ، ولأن ذلك ما فعل فى أيام النبي صلى الله عليه وآله ، ولا فعله أحدٌ من المسلمين بعده ، وإنما هو من سُنَن الجاهليّة ، فكيف يقول عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وكيف يغلظ ويشدد فيما لم يفعل ، ولا فعل[1] !

* * *

قلت : لا شبهة أنّ الظاهر من كلام عمر إضافة النّهى إلى نفسه ، لكنّا يجب علينا أن نتركَ ظاهر اللفظ إذا علمنا من قائله مايوجب صرف اللفظ عن الظاهر كما يعتمده كلّ أحد فى القرائن المقترنة بالألفاظ ، والمعلوم من حال عمر أنّه لم يكن يدّعى أنه ناسخ لشريعة

---

(١) الشافى ٢٥٧ ، وفيه : « ولا يفعل » .

الرسول صلى الله عليه وآله ، وأنه كان متديناً بالإسلام وتابعاً للرسول الذى جاء به ، فوجب أن يحمل كلامه على أنه أراد أنهما كانتا ثم حرّمتا ، ثم أنا الآن أعاقب من فعلهما ، لأنه قد كان بلغه عن قوم من المسلمين بعد علمهم بالتحريم . وقول المرتضى : لعله كان اعتقد أنّ الإباحة أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مشروطةً بشرط لم يُوجد فى أيامه ، قولٌ يبطل طعنه فى عمر ، ويمهد له عذراً ويصيّر المسألة اجتهاديّةً .

وأمّا طعنُه فى الاحتجاج على تصويب عمر بترك الإنكار عليه وقوله:فهلاّ أنكروا عليه قوله : لا أرى أحداً يستمتع إلّا رجمته ، فليس بطعن مستقيم ، وإنما يكون طعناً صحيحا لو كان أُتِيَ بمتمتّع فأمر برجمه ، فأمّا أن ينكروا عليه وعيدَه وتهديده ، لا لإنسان معيّن ، بل كلاما مطلقا ، وقولا كليًّا يقصد به حسم المادة فى المتعة ، وتخويف فاعلها ، فإنه ليس بمحلّ للإنكار عليه ، وما زالت الأئمة والصالحون يتوعّدون بأمرٍ ليس فى نفوسهم فعله، على طريق التأديب والتهذيب ؛ على أنّ قوما من الفقهاء قد أوجبوا إقامة الحدّ على المتمتّع ، فلا يمتنع أن يكون عمر ذاهبا إلى هذا المذهب .

فأما مارواه عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن الطّاهرين من أولاده ، من تحليل المتعة ، فلسنا فى هذا المقام نناكره فى ذلك وننازعه فيها،والمسألة فقهيّة من فروع الشريعة، وليس كتابنا موضوعا لذكره ، ولا الموضع الذى نحن فيه يقتضى الحِجاج فيها،والبحث فى تحليلها وتحريمها ، وإنّما الموضع موضع الكلام فى حال عمر ، ومانقل عنه من الكلمة؛ هل يقتضى ذلك الطعن فى دينه أم لا ؟

فأمّا متعة الحجّ فقد اعتذر لنفسه ، وقال ماقدّمنا ذكره ، من أن الحجّ بهاء من بهاء الله ، وأن التمتع يكسفه ويذهب نوره ورونقه ، وأنهم يظلون معرسين تحت الأراك ،ثم

يُهلون بالحج ورءوسهم تقطر ، وإذا كان قد اعتذر لنفسه فقد كفانا مؤنة الاعتذار .

* * *

الطعن التاسع

ماروى عنه من قصّة الشورى ، وكونه خرج بها عن الاختيار والنصّ جميعاً ، وأنه ذمّ كلّ واحد ، بأن ذكر فيه طعناً ثم أهّله للخلافة بعد أنْ طعن فيه ، وأنّه جعل الأمر إلى ستّة ، ثم إلى أربعة [1] ؛ ثم إلى واحد ، قد وصفه بالضعف والقُصور ، وقال : إن اجتمع علىّ وعثمان فالقول ماقالاه ، وإن صاروا ثلاثة وثلاثة فالقولُ للذين فيهم عبد الرحمن ، وذلك لعلمه بأن عليا وعثمان لا يجتمعان ، وأنّ عبد الرحمن لا يكاد يعدل بالأمر عَنْ خَتَنه وابن عمه ، وأنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام ، وأنه أمر بقتل مَنْ يخالف الأربعة منهم أو الذين فيهم عبد الرحمن .

أجاب قاضي القضاة عن ذلك ، فقال : الأمور الظاهرة لا يجوز أن يعترض عليها بأخبارٍ غيرِ صحيحة ، والأمر فى الشّورى ظاهرٌ ، وإنّ الجماعة دخلتْ فيها بالرّضا ، ولا فرْق بين من قال فى أحدهم : إنّه دخل فيها لا بالرضا وبين من قال ذلك فى جميعهم، ولذلك جعلنا دخولَ أمير المؤمنين عليه السلام فى الشّورى أحد مايعتمد عليه فى أن لانصّ يدل عليه ، أنه المختصّ بالإمامة ، لأنه قد كان يجب عليه أن يصرّح بالنصّ على نفسه ، بل يحتاج إلى ذكر فضائله ومناقبه ، لأنّ الحال حالُ مناظرة ، ولم يكن الأمر مستقرّاً لواحد ، فلا يمكن أن يتعلّق بالتقيّة ، والمتعالَم من حاله أنّه لو امتنع من هذا الأمر فى الشورى أصلاً لم يلحقه الخوف فضلا عن غيره ، ومعلوم أنّ دلالة الفعل أحسنُ من دلالة القول ، من حيث كان الاحتمال فيه أقلّ،والمروىّ أن عبدالرحمن [2] أخذ الميثاق على الجماعة

---

(١) الشافى : « ثم جعل الأمر إلى ستة ، ثم إلى أربعة » .
(٢) فى الأصول : « عمر » ، والصواب ما أثبته من الشافى .

بالرضا بمن يختاره ، ولا يجب القدح فى الأفعال بالظنون ، بل يجبُ حملُها على ظاهر الصحّة دون الاحتمال ، كما يجب مثله فى غيرها ، ويجب إذا تقدمت للفاعل حالةٌ تقتضى حسنَ الظنّ به ، أن يُحمل فعلهُ على مايطابقها ، وقد علمنا أن حالَ عمر وما كان عليه من النّصيحة للمسلمين ، منع من صَرْف أمره فى الشورى إلى الأغراض التى يظنّها أعداؤه،فلا يصحّ لهم أن يقولوا : كان مراده فى الشورى بأن يجعل الأمر إلى الفرقة التى فيها عبد الرحمن عند الخلاف ، أن يتم الأمر لعثمان ؛ لأنه لو كان هذا مرادَه لم يكن هناك مايمنعــه من النصّ على عثمان ، كما لم يمنع ذلك أبا بكر ، لأنّ أمره إن لم يكن أقوى من أمر أبى بكر لم ينقص عنه ؛ وليس ذلك بدعة ، لأنه إذا جاز فى غير الإمام إذا اختــار أن يفعل ذلك ، بأن ينظر فى أماثل القوم فيعلم أنهم عشرة ، ثم ينظر فى العشرة ؛ فيعلم أنّ أمثلَهم خمسة ، ثم ينظر فى واحد من الخمــة ؛ فما الذى يمنع من مثله فى الإمام؛ وهو فى هذا الباب أقوى اختياراً، لأنّ له أن يختار واحداً بعينه !

ثم ذكر أنّه إنما حصره فى الجماعة الذين انتهى إليهم الفضْل ، وجعله شورى بينهم ، ثم بيّن أنّ الانتقال من السّتة إلى الأربعة ، ومن الأربعة إلى الثلاثة ، لا يكون متناقضاً ، لأنّ الأقوال مختلفة ؛ وليست واحدة ، ولو كانت أيضاً واحدة لـكان كالرجوع ؛ وللإمام أن يرجع فى مثل ذلك ، لأنه فى حكم الوصيّة .

قال : وقولهم : إنّه كان يعلم أنّ عثمان وعليا لا يجتمعان ، وأنّ عبد الرحمن يميل إلى عثمان، قلّةُ دين ، لأنّ الأمور المستقبلة ، لا تُعلَم وإنما يحصل فيها أمارة . قال : والأمارات توجب أنه لم يكن فيهم حرص شديد على الإمامة ، بل الغالب من حالهم طلب الاتفاق والائتلاف والاسترواح إلى قيام الغير بذلك . وإنما جعل عمر الأمر إلى عبـد الرحمن عند الاختلاف ، لعلمه بزهده فى الأمر ؛ وأنّه لأجل ذلك أقرب أن يتثبّت ، لأنّ الراغب

عن الشيء يحصل له من التثبت مالا يحصل للراغب فيه ، ومَنْ كانت هذه حاله كان القوم إلى الرضا به أقرب .

وحكى عن أبى علىّ أنّ المخادعة إنما تظنّ بمن قصده فى الأمور طريق الفساد ، وعُمر برىء من ذلك .

قال : والضعف الذى وُصِف به عبدالرحمن، إنما أراد به الضّعف عن القيام بالإمامة، لا ضعف الرأى ؛ ولذلك ردّ الاختيار والرأى إليه . وحكى عن أبى علىّ ضَعْف ماروى من أمره بضرب أعناق القوم إذا تأخّروا عن البيعة ، وأنّ ذلك لو صحّ لأنكره القوم ، ولم يدخلوا فى الشورى بهذا الشرط ؛ ثم تأوّله إذ سلم صحته ، على أنّهم إن تأخّروا عن البَيْعة على سبيل شقّ العصا وطلب الأمر من غير وجهه . وقال : ولا يمتنع أن يقول ذلك على طريق التّهديد ، وإن بعدُ عنده أن يقدموا عليه ، كما قال تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ .

* * *

اعترض المرتضى هذا الكلام ، فقال : إنّ الذى رتّبه عمر فى قصة الشورى، من ترتيب العدد واتفاقه واختلافه ، يدلّ أوّلا على بُطْلان مذهب أصحاب الاختيار فى عدد العاقدين للإمامة ، وأنه يتمّ بعقد واحد لغيره برضا أربعة ، وأنه لا يتمّ بدون ذلك؛ فإنّ قصة الشُّورى تصرح بخلاف هذا الاعتبار ؛ فهذا أحد وجوه المطاعن فيها .

ومن جملتها أنه وصف كلّ واحد منهم بوصف زعم أنه يمنع من الإمامة ، ثم جعل الأمر فيمن له تلك الأوصاف، وقد روى محمد بن سعد ، عن الواقدىّ، عن محمد بن عبدالله الزهرىّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عباس ، قال: قال عمر : لا أدرى ما أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك قبل أن يُطعَن، فقلت : ولِمَ تهتمّ وأنت تجد مَن تستخلفه

عليهم ؟ قال : أصاحبُكم ؟ يعنى عليًّا ، قلت : نعم ؛ هولها أهل ، فى قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصهره وسابقته وبلائه ، قال : إنّ فيه بَطالة [١] وفكاهة ، فقلت : فأين أنت من طلحة ؟ قال : فأين الزَّهو والنَّخوة ! قلت : عبد الرحمن ؟ قال : هو رجل صالح على ضَعْفٍ فيه ، قلت : فسعد ، قال : ذاك صاحب مِقْنَبٍ [٢] وقتال لا يقوم بقرْية لو حمل أمرها ، قلت : فالزبير ، قال : وعْقَة لَقِس [٣] مؤمن الرِّضا ، كافر الغضب ، شحيح ؛ وإنّ هذا الأمر لا يصلح إلَّا لقوىّ فى غير عنف ، رفيق فى غير ضعف ، وجواد فى غير سرَف ، قلت : فأين أنت عن عثمان ؟ قال : لو وليها لحمل بنى أبى مُعَيط على رقاب الناس ، ولو فعلها لقتلوه [٤] .

وقد يُرْوَى من غير هذا الطَّريق أنَّ عمر قال لأصحاب الشورَى : رُوحوا إلىّ ؛ فلمَّا نظر إليهم قال : قد جاءنى كلُّ واحدٍ منهم يهزّ عِفْرِيتَه ، يرجو أن يكون خليفة ، أما أنت يا طلحة ؛ أفلست القائل : إنْ قُبِض النبى صلى الله عليه وآله أنكح أزواجَه من بعده ؟ فما جعل الله محمداً أحقَّ ببنات أعمامنا منّا ، فأنزل الله تعالى فيك : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [٥] . وأمَّا أنت يا زُبير ، فوالله ما لَانَ قلبُك يوماً ولا ليلةً . وما زلت جِلْفاً [٦] جافيا ؛ وأمَّا أنت يا عثمان ، فوالله لَرَوثةٌ [٧] خير منك ، وأمَّا أنت يا عبد الرحمن ، فإنّك رجل عاجز تحبّ قومك جميعاً ، وأما أنت يا سعد ، فصاحب عصبيّة وفتنة ، وأمَّا أنت يا علىّ ، فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجَحهم ، فقام علىٌّ مولّيا يخرج ، فقال عمر : والله إنّى لأعلم مكان رجلٍ لو ولّيتموه

---

(١) الفائق : « ذاك رجل فيه دعابة » . (٢) المقنب من الخيل : الأربعون أو الخمسون .

(٣) فى الفائق : « رجل وعقة ولقة » ، إذا كان فيه حرص ووقوع فى الأمر ، بجهل وضيق نفس وسوء خلق » .

(٤) خبر ابن عباس مع عمر فى الفائق ٢ : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، مع اختلاف فى العبارة .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣ (٦) الجلف : الرجل الجافى الغليظ .

(٧) الروثة : واحدة الروث ، وهو سرجين الفرس .

أمرَّ كم لحسكم على المحجَّة البيضاء ، قالوا : مَنْ هو ؟ قال : هذا المولَى من بينكم ، قالوا : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل .

وفى خبر آخر ؛ رواه البلاذريّ فى تاريخه ؛ أنَّ عمر لما خرج أهل الشورى من عنده ؛ قال : إنْ ولّوها الأجلحَ [١] سلك بهم الطريق ، فقال عبدالله بن عمر : فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين ؟ قال : أكره أن أتحمّلها حيًّا وميّتا .

فوصف كما ترى كلّ واحد من القوم بوصف قبيح يمنع من الإمامة ؛ ثم جعلها فى جملتهم ، حتى كأنَّ تلك الأوصاف تزول فى حال الاجتماع ؛ ونحن نعلم أنَّ الذى ذكره إن كان مانعا من الإمامة فى كلّ واحد على الانفراد ، فهو مانع من الاجتماع ؛ مع أنّه وصف عليا عليه السلام بوصفٍ لا يليق به ، ولا ادّعاه عدوٌّ قطّ ، بل هو معروف بضدّه ، من الرّكانة والبعد عن المُزاح والدُّعابة ، وهذا معلوم ضرورة لمن سمع أخباره عليه السلام ؛ وكيف يُظنّ به ذلك ؛ وقد رُوِى عن ابن عبّاس أنه قال : كان أمير المؤمنين علىٌّ عليه السلام إذا أتى هِبْنا أن نبتدئه بالكلام ؛ وهذا لا يكون إلا من شدّة التزمُّت والتوقُّر ؛ وما يخالف الدُّعابة والفكاهة .

ومما تضمّنته قصّة الشورى من المطاعن ، أنه قال : لا أتحمّلها حيًّا وميتا ، وهذا إن كان علّة عدوله عن النصّ إلى واحدٍ بعينه ؛ فهو قول متلمس متخلّص ، لا يفتات على الناس فى آرائهم ، ثم نقض هذا بأن نصّ على ستّة من بين العالم كلّه ، ثم رتّب العدد ترتيبا مخصوصا ، يؤول إلى أنّ اختيار عبدالرحمن هو المقدّم ؛ وأىّ شىء يكون من التحمّل أكثر [٢] من هذا ! وأىّ فرق بين أن يتحمّلها ، بأنْ ينصّ على واحدٍ بعينه ، وبين أن يفعل مافعله من الحصر والترتيب !

---

(١) الجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس . (٢) ب : « أكبر » .

ومن جملة المطاعن أنّه أمر بضرب الأعناق إن تأخّروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام؛ ومعلوم أنهم بذلك لا يستحقّون القتل ، لأنهم إذا كانوا إنما كُلّفوا أن يجتهدوا آراءهم فى اختيار الإمام ، فربما طال زمان الاجتهاد ، وربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض ، فأىّ معنى للأمر بالقتل إذا تجاوزوا الأيّام الثلاثة ! ثم إنه أمر بقتل مَنْ يخالف الأربعة ، ومَنْ يخالف العدد الذى فيه عبد الرحمن ، وكلُّ ذلك مما لا يستحقّ به القتـل .

فأما تضعيف أبى علىّ لذكر القَتْل فليس بحجّة ، مع أنّ جميع مَنْ روى قصة الشورى روى ذلك ؛ وقد روى الطبرى [ذلك] [1] فى تاريخه وغيره .

فأمّا تأوله الأمر بالقتل على أنّ المراد به إذا تأخّروا على طريق شقّ العصا ، وطلب الأمر من غير وجهه ، فبعيد من الصواب ، لأنه ليس فى ظاهر الخبر ذلك ، ولأنهم إذا شقّوا العصا ، وطلبوا الأمر من غير وجهه من أوّل يوم ، وجب أن يُمنعوا ويقاتلوا ، فأىّ معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلاً !

فأما تعلّقه بالتهديد ، فكيف يجوز أن يهدّد الإنسان على فعل بما لا يستحقّه ، وإن علم أنه لا يعزم عليه !

فأما قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [2] ، فيخالف ما ذكر ؛ لأنّ الشرك يستحقّ به إحباط الأعمال ، وليس يستحقّ بالتأخير عن البيعة القتل .

فأمّا ادّعاء صاحب الكتاب أنّ الجماعة دخلوا فى الشّورى على سبيل الرضا ، وأنّ عبد الرحمن أخذ عليهم العهد أن يرضوْا بما يفعله ، فمن قرأ قصّة الشورى على وجهها ، وعدَل عمّا تُسوّله النفس من بناء الأخبار على المذاهب ؛ علم أنّ الأمر بخلاف ما ذكر . وقد روى الطبرىّ فى تاريخه عن أشياخه من طرق مختلفة ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال حين خرج من عند عمر بعد خطابه للجماعة بما تقدّم ذكره لقوم كانوا معه من بنى هاشم : إنْ طمع فيكم قومكم لم تؤمَّرُوا أبدا . وتلقّاه العبّاس بن عبد المطلب ،

---

(١) من الشاق .

(٢) سورة الزمر ٦٥ .

فقال : يا عمّ عدِلت عنّا ! قال : وما علمك ؟ قال : قُرِن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر ، وإن رضي رجلان رجلاً ، ورجلان رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ؛ فسعد لايخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لايختلفان ، فيوليها عبدُ الرحمن عثمان ، أو يوليها عثمانُ عبد الرحمن ، فلو كانَ الآخران معي لم ينفعاني بَلْهَ أني لا أرجو إلا أحدهما . فقال له العباس : لم أدفعك عن شيء إلّا رجعتَ إليّ مستأخراً ! أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسأله فيمن هذا الأمر ؟ فأبيت ، وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجِل الأمر فأبيت ، وأشرت عليك حين سمّاك عمر في الشورى ألّا تدخل معهم ، فأبيت ! فاحفظ عليّ واحدة ؛ كلّما عرَض عليك القوم فقلْ : لا ؛ إلا أن يولّوك ، واحذر هؤلاء الرهط ، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر ، حتى يقوم لنا به غيرنا وغيرهم ، وايمُ الله لا تناله إلا بشرّ لا ينفع معه خير . فقال عليّ عليه السلام : أما والله لئن بقيَ عمر لأذكّرنه ما أتى إلينا ، ولئن مات ليتداولُنّها بينهم ، ولئن فعلوا ليجدُنّني حيث يكرهون ، ثم تمثّل :

حلفتُ بربّ الرّاقصاتِ عَشيّةً ... غَدَوْنَ خِفافاً فابتدرن المحصّبا

ليَحتلبنْ رهط ابن يعمرَ مارئاً ... نجيعا ، بنو الشُّدّاخ وردا مصلّبا

فالتفت فرأى أبا طلحة الأنصاريّ فكره مكانه ، فقال أبو طلحة : لا تُرَع أبا حسن (1) .

قال المرتضى : فإن قال قائل : أيّ معنى لقول العبّاس : إني دعوتُك إلى أنْ تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن هذا الأمر من قبل وفاته ؟ أليس هذا مبطلا لما تدعونه من النص !

قلنا : غير ممتنع أن يريد العباس سؤالَه عمّن يصير الأمر إليه ، وينتقل إلى يديه ،

(1) تاريخ الطبري ٥ : ٣٥ (المطبعة الحسينية) .

لأنه قد يستحقه من لا يصل إليه ، وقد يصل إلى مَنْ لا يستحقه ، وليس يمتنع أن يريد : إنما كنا نسأله صلى الله عليه وآله إعادة النصّ قبل الموت ، ليتجدّد ويتأكّد ، ويكونَ لقرب العهد إليه بعيداً من أن يُطْرح .

فإن قيل : أليس قد أنكرتُم على صاحب الكتاب من التأويل بعينه فيما استعمله من الرّواية عن أبي بكر من قوله : ليتني كنت سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل للأنصار في هذا الأمر حق ؟

قلنا : إنما أنكرناه في ذلك الخبر ، لأنه لا يليق به من حيث قال : فكنّا لا ننازعه أهلَه ، وهذا قول مَنْ لا علم له بأنه ليس للأنصار حقٌّ في الإمامة ، ومن كان يرجع في أن لهم حقًّا في الأمر أو لا حقّ لهم فيه ، إلى ما يسمعه مستأنفا ، وليس هذا في الخبر الذي ذكرناه [١] .

وروى العباس بن هشام الكلبيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، في إسناده ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شكا إلى العباس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف ، وقال : والله لقد ذهب الأمر منّا ، قال : وكيف قلت ذلك يا ابن أخي ! قال : إنّ سعدا لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره ، فأحدهما يختار لصاحبه لا محالة ، وإن كان الزّبير وطلحة معي ، فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين .

قال ابن الكلبيّ : عبد الرحمن زوج أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعيط ، وأمّها أرْوَى بنت كريز ، وأرْوَى أمّ عثمان ، فلذلك قال : صهره .

وفي رواية الطبريّ أنّ عبد الرحمن دعا عليا عليه السلام ، فقال : عليك عهدُ الله

---

(١) الشافي ٢٠٩ .

وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله ، وسيرة الخليفتين ؟ فقال : أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي [1] .

وفي خبر آخر عن أبي الطفيل ، أنّ عبد الرحمن قال لعليّ عليه السلام : هلمّ يدك خذها بما فيها ، على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ، فقال : آخذها بما فيها ، على أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه جهدي . فترك يده ، وقال : هلمّ يدك ياعثمان ، أتأخذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ؟ قال : نعم ، قال : هي لك ياعثمان .

وفي رواية الطبريّ أنه قال لعثمان مثل قوله لعليّ ، فقال : نعم ، فبايعه ، فقال عليّ عليه السلام : حُبُونة حبَت دهرا [2] .

وفي خبر آخر : نفعت الحتونة يابن عوف ! ليس هذا أوّل يوم تظاهرتُمْ فيه علينا ! ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ، والله ما ولّيتَ عثمان إلا ليردّ الأمر إليك ، والله كلّ يوم هو في شأن .

وفي غير رواية الطبريّ أنّ عبد الرحمن قال له : لقد قلتَ ذلك لعمر ، فقال عليه السلام : أوَ لَمْ يكن ذلك كما قلت !

وروى الطبريّ أن عبد الرحمن قال : لاتجعلنّ ياعليّ على نفسك سبيلا ، فإنّي نظرتُ وشاورت النّاس ، فإذا هم لايعدِلون بعثمان ، فقام عليّ عليه السلام ، وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله [3] .

وفي رواية الطبريّ أنّ الناس لمّا بايعوا عثمان تلكّأ عليّ عليه السلام ، فقال عثمان : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٣٦ (الحسينية) .

(٢) الطبري : « حبوته حبوة دهر » ، والحتونة المصاهرة .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٣٧ (الحسينية) .

عَظِيماً ﴾ (١) . فرجع علىٌّ عليه السلام حتى بايعه ، وهو يقول : خُدْعة وأىّ (٢) خدعة (٣) !

وروى البلاذرىّ فى كتابه ، عن ابن الكلبىّ ، عن أبيه ، عن أبى مِخْنف ، فى إسناده ، أن عليا عليه السلام لما بايع عبدُ الرحمن عثمان كان قائما ، فقال له عبد الرحمن : بايِع وإلّا ضربتُ عنقَك ، ولم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره ، فخرج علىّ مغضباً ، فلحقه أصحاب الشورى ، فقالوا له : بايِع وإلّا جاهدناك . فأقبل معهم يمشى حتى بايع عثمان .

قال المرتضى : فأىّ رضاً هاهنا ، وأىّ إجماع ! وكيف يكون مختارا من تهدّد بالقتل وبالجهاد ! وهذا المعنى وهو حديث ضرب العنق لو روته الشّيعة لتضاحك المخالفون منه وتغامزوا ، وقالوا : هذا من جملة ماتدّعونه من المحال ، وتروونه من الأحاديث ، وقد أنطق الله به رواتهم ، وأجراه على أفواه ثقاتهم ، ولقد تكلّم المقداد فى ذلك اليوم بكلام طويل ، يفنّد فيه مافعلوه من بَيْعة عثمان ، وعدولهم بالأمر عن أمير المؤمنين إلى أنْ قال له عبد الرحمن : يامقداد ، اتّق الله ، فإنّى خائف عليك الفتنة . ثم إنّ المقداد قام فأتى عليّاً ، فقال: أتقاتل فنقاتل معك ؟ فقال علىّ : فبمن أقاتل ! وتكلّم أيضا عمّار ـ فيما رواه أبو مخنف ـ فقال: يامعشرَ قريش ، أين تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيّكم ؟ تحوّلونه هاهنا مرة وهاهنا مرة ! أما والله ماأنا بآمن أن ينزعه الله منكم فيضعه فى غيركم كما انتزعتموه من أهله ، ووضعتموه فى غير أهله . فقال له هشام بن الوليد : يابن سميّة ، لقد عدوت طورَك ، وما عرفت قدرَك ، وما أنت وما رأته قريش لأنفسها إنّك لست فى شىء من أمرها وإمارتها ، فتنحّ عنها . وتكلّمت قريش بأجمعها ، وصاحت بعمّار وانتهرته ، فقال : الحمد لله مازال أعوانُ الحقّ قليلا .

روى أبو مخنف أيضا أن عماراً قال هذا البيت ذلك اليوم:

---

(١) سورة الفتح ١٠ (٢) الطبرى : « أيما » .
(٣) تاريخ الطبرى ٥ : ٤١ .

يا ناعيَ الإســـلام قُمْ فانْعَهُ قدْ مات عُرْفٌ وأتى منـكَرُ !

أما واللهِ لو أنّ لى أعواناً لقاتلتهم ، وقال أمير المؤمنين عليـه السلام : لئن قاتلتَهم بواحدٍ لأَكونَنّ ثانيـا ، فقال : والله ما أجدُ عليهم أعوانا ، ولا أحبّ أن أعرِّضَـكم لما لا تطيقون .

وروى أبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جُندَب ، عن أبيه ، قال : دخلت على علىٍّ عليـه السـلام ، وكنت حاضراً بالمدينة يوم بويع عثمان ، فإذا هو واجم كئيب ، فقلت : ما أصاب قوم صرّفوا هذا الأمر عنـكم ! ، فقال صَبْرٌ جميلٌ ! فقلت : سبحان الله ! إنك لصبور ! قال : فأَصنع ماذا ؟ قلت : تقوم فى النّاس خطيبا فتدعوهم إلى نفسـك ، وتخبرُهم أنك أَوْلى بالنبيّ صلى الله عليه وآله بالعمل والسابقة ، وتسألهم النّصر على هؤلاء المتظاهرين عليك ، فإنْ أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة على المـائة ، فإن دانُوا لك كان ما أحببت ، وإنْ أبوْا قاتلتهم ، فإنْ ظهرت عليهم فهو سلطان الله آتاه نبيّه صلى الله عليه وآله ، وكنتَ أوْلَى به منهم إذ ذَهَبُوا بذلك ، فردّه الله إليك ، وإن قتِلتَ فى طلبـه فقتلتَ شهيدا ، وكنت أولى بالعذر عند الله تعالى فى الدنيا والآخرة . فقال عليه السلام: أوَ تراه كان تابعى من كلّ مائة عشرة ! قلت : لأَرجو ذلك ، قال : لـكنّى لا أرجـو ولا والله من المائة اثنين ، وسأخبرك من أين ذلك ! إنّ الناس إنّما ينظرون إلى قريش ؛ فيقولون : هم قوم محمد صـلى الله عليـه وآله وقبيلته ، وإنّ قريشا تنظر إلينا فتقول : إنّ لهم بالنبوّة فضلا عَلَى سائر قريش ، وإنّهم أوليـاء هـذا الأمر دون قريش والناس ، وإنّهم إن ولوه لم يخرج هـذا السلطان منهم إلى أحـدٍ أبدا ، ومتى كان فى غيرهم تداولتموه بينـكم ، فلا والله لاتدفع قريش إلينا هذا السلطان طائعة أبدا. قلت: أفلا أرجع إلى المِصر فأخبر الناس بمقالتك هذه ، وأدعو النّاس إليك! فقال : ياجندَب ؛ ليس هـذا زمان ذلك ، فرجعت فـكلّما ذكرت للناس شيئاً من فضل علىٍّ زبرُونى

ونهرونى ، حتى رفع ذلك من أمرى للوليد بن عُقْبة ، فبعث إلىّ فحبسنى .

قال : وهذه الجملة التى أوردناها قليل من كثير ، فى أن الخلاف كان واقعاً ، والرضا كان مرتفعا ، والأمر إنّما تمّ بالحيلة والمكر والخداع ؛ وأوّلُ شىء مكَر به عبد الرحمن أنّه ابتدأ فأخرَج نفسه من الأمر ، ليتمكّن من صَرْفه إلى من يريد ، وليقال : إنّه لولا إيثاره الحقّ ، وزهده فى الولاية لما أخرج نفسه منها ، ثم عرض على أمير المؤمنين عليه السلام مايعلم أنه لايجيب إليه ، ولا تلزمه الإجابة إليه ؛ من السّيْر فيهم بسيرة الرجلين ، وعلم أنه عليه السلام لايتمكّن من أن يقول : إنّ سيرتهما لاتلزمنى ، لئلا ينسَب إلى الطعن عليهما . وكيف يلزم سيرتهما ، وكلّ واحدمنهما لم يسِرْ بسيرة الآخر ! بل اختلفا وتباينا فى كثير من الأحكام ، هذا بعد أنْ قال لأهل الشورى : وثقوا إلىّ من أنفسكم بأنّكم ترضون باختيارى إذا أخرجت نفسى ، فأجابوه ـ على مارواه أبو مخنف بإسناده ـ إلى ماعرض عليهم ، إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنه قال : أنظر ، لعلمه بما يجرّ هذا المكر ، حتى أتاهم أبو طلحة ، فأخبره عبد الرحمن بما عرض وماجاء به القوم إياه إلا عليًّا ، فأقبل أبو طلحة على علىٍّ عليه السلام ، فقال : ياأبا الحسن ، إنّ أبا محمد ثقة لك وللمسلمين ، فما بالك تخالفه وقد عدَل بالأمر عن نفسه ، فلن يتحمّل المأثم لغيره ! فأحلَف علىٌّ عليه السلام عبدَ الرحمن بما عرضَ ألّا يميل إلى الهوى وأن يؤثر الحقّ ويجتهد للأمة ، ولا يحابى ذا قَرابة ، فحلَف له ، وهذا غاية مايتمكّن[1] منه أمير المؤمنين عليه السلام فى الحال ، لأنّ عبد الرحمن لمّا أخرج نفسه من الأمر ، وظنّت به الجماعة الخير ، وفوّضت[2] إليه الاختيار لم يقدر أمير المؤمنين عليه السلام على أن يخالفَهم وينقض مااجتمعوا عليه ، فكان أكثر مايتمكّن منه أن أحلفَه ، وصرّح بما يخافه من جهته ، من الميل إلى الهوى ، وإيثار القرابة ، غير أنّ ذلك كلّه لم يغنِ شيئاً !

---

(١) الشافى : « تمكن » . (٢) الشافى : « وفوضوا » .

قال : وأما قولُ صاحب الكتاب: إنّ دخولَه فى الشُّورى دلالة على أنّه لانصّ عليه بالإمامة ، ولو كان عليــه نصٌّ لَصرّح به فى تلك الحال ، وكان ذِكرُه أولَى من ذكر الفضائل والمناقب ، فإنّ المانع من ذكْر النصّ كونه يقتضِى تضليل مَنْ تقدّم عليه وتفسيقهم ،وليس كذلك تعديد المناقب والفضائل .

وأما دخوله عليه السلام فى الشُّورى ، فلو لم يدخل فيها إلّا ليحتجّ بما احتجّ به من مقاماته وفضائله ودرايته[1] ووسائله إلى الإمامة وبالأخبار الدالة عندنا عليها على النصّ والإشارة بالإمامة إليــه ، لــكان غرضاً صحيحاً ، وداعيا قويًّا . وكيف لايدخل فى الشُّورى وعنــدَهم أن واضعها قد أحسن النَّظر المسلمين ، وفعل مالم يسبَق إليه من التحرز للدِّين !

فأوّلُ ما كان يقال له لو امتنعَ منها : إنّك مصرّح بالطعن على واضعها وعلى جماعة المسلمين بالرّضا بهــا ، وليس طعنُك إلا لأنّك ترى أنّ الأمر لك ، وأنك أحقُّ به ! فيعود الأمر إلى ما كان عليه السلام يخافه ، من تفرّق الـكلمة[2] ووقوع الفتنة[3] .

قال : وفى أصحابنا القائلين بالنصّ مَنْ يقول : إنه عليه السلام إنّما دخل فى الشّورى لتجويزه أن ينال الأمر منها ، وعليه أنْ يتوصّل إلى مايلزمه القيامُ به من كلّ وجهٍ يظن أن يوصّله إليه .

قال : وقولُ صاحب الـكتاب إنّ التقيّة لايمكن أن يتعلّق بها ،لأنّ الأمر لم يكن استقرّ لواحد طَريف ، لأنّ الأمر وإن لم يكن فى تلك الحال مستقرًّا لأحد ، فمعلوم أنّ الإظهار بما يطعن فى المتقدمين من ولاة الأمر لايمكن منه ، ولا يرضى به ، وكذلك

---

(١) الشافى : « وذرائعه » .
(٢) الشافى : « الأمة »
(٣) بعدها فى الشافى : « وتشتت الـكلمة » .

الخروجُ مما يتفق أكثرهم عليه ، ويرضى جمهورهم به ، ولا يُقرّون أحداً عليه ، بل يعدّونه شذوذاً عن الجماعة ، وخلافا على الأمّة .

فأمّا قوله : إنّ الأفعال لا يقدح فيها بالظنون ، بل يجب أن تحمل على ظاهر الصحّة ، وإنّ الفاعل إذا تقدّمت له حالة تقتضى حسنَ الظنّ به ، يجب أن تحمَل أفعاله على ما يطابقها ، فإنّا متى سلّمنا له بهذه المقدّمة لم يتمّ قصدُه فيها ، لأنّ الفعل إذا كان له ظاهر وجب أن يحمَل على ظاهره ، إلّا بدليل يعدل بنا عن ظاهره ، كما يجب مثلُه فى الألفاظ ، وقد بيّنا أنّ ظاهر الشورى وما جرى فيها ؛ يقتضى ما ذكرناه للأمارات اللائحة ، والوجوه الظاهرة ، فما عدلْنا عن ظاهر إلى محتمَل ، بل المخالف هو الذى يسومُنا أن نعدِل عن الظاهر ، فأمّا الفاعل وما تقدّم له من الأحوال ، فمتى تقدّم للفاعل حالة تقتضى أن يُظنّ به الخير من غير علم ولا يقين ، فلا بدّ أن يؤثّر فيها ، ويقدح أن يرى له حالة أخرى تقتضى ظنّ القبيح به ، لدلالة ظاهرها على ذلك . وليس لنا أن نقضىَ بالأولى على الثانية ، وهما جميعا مظنونتان ، لأنّ ذلك بمنزلة أن يقول قائل : اقضوا بالثانية على الأولى ؛ وليس كذلك إذا تقدّمت للفاعل حالة تقتضى بالخير منه ، ثم تليها حالة تقتضى ظنّ القبيح به ، لأنّا حينئذ نقتضى بالعلم على الظنّ ، ونبطل حكمه لمكان العلم ، وإذا صحّت هذه الجملة فما تقدّمت لمن ذكر حالة تقتضى العلم بالخير ، وإنما تقدم ما يقتضى حسن الظنّ ، فليس لنا ألّا نسىء الظنّ به عند ظهور أمارات سوء الظنّ ، لأنّ كلّ ذلك مظنون غير معلوم .

وقوله : لو أراد ذلك مامنعه من أن ينصّ على عثمان مانع ، كما لم يمنع ذلك أبا بكر من النصّ عليه ، فليس بشىء ؛ لأنه قد فعل ما يقوم مقام النصّ على مَنْ أراد إيصاله إليه ، وصرفه عمّن أراد أن يصرفه عنه ، من غير شناعة التصريح ، وحتى لا يقال فيه ما قيل فى أبى بكر ، ويراجَع فى قصته كما رُوجع أبو بكر ، ولِمَ يتعسّف أبعد الطريقين وغرضه يتمّ من أقربهما !

قال : فأمّا بيانُ صاحب الكتاب أنّ الانتقال من الستة إلى الأربعة في الشورى ، ومن الأربعة إلى الثلاثة ، لا يكون تناقضا ، فهو ردٌّ على مَنْ زعم أنّ ذلك تناقض،وليس من هذا الوجه طعنًا ، بل قد بينّا وجوه المطاعن وفصّلناها .

وأمّا قوله : إنّ الأمور المستقبلة لا تعلم ، وإنما يحصُل فيها أمارة ردًّا على من قال : إن عمر كان يعلم أن عليًّا عليه السلام وعثمان لا يجتمعان ، وأنّ عبد الرحمن يميل إلى عثمان، فكلام في غير موضعه ، لأنّ المراد بذلك الظنّ لا العلم ، وإنّ عُبّر عن الظنّ بالعلم على طريقةٍ في الاستعمال معروفة ، لا يتناكرها المتكلمون . ولعلّ صاحب الكتاب قد استعمل العلم في موضع الظنّ فيما لا يحصى كثرة من كتابه هذا وغيره ، وقد بينّا فيما ذكرناه من رواية الكلبيّ عن أبي مخنف ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أوّل مَنْ سبق إلى هذا المعنى في قوله للعباس شاكيًا إليه: ذهبَ والله الأمر منّا ، لأن سعدا لا يخالف ابنَ عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان ، فأحدهما مختار لصاحبه لا محالة ، وإن كان الزُّبير وطلحة معي ، فلن أنتفع بذلك إذا كان ابنُ عوف في الثلاثة الآخرين .

فأما قوله : إن عبد الرحمن كان زاهداً في الأمر ، والزاهد أقربُ إلى التثبّت ؛ فقد بينّا وجه إظهاره الزهد فيه ، وإنهُ جعله الذريعة إلى مراده .

فأمّا قولُ صاحبِ الكتاب : إنّ الضعفَ الّذي وصفه به إنّما أراد به الضّعف عن القيام بالإمامة لا ضعفَ الرأي ؛ فهب أنّ الأمر كذلك ، أليس قد جعله أحد مَنْ يجوّز أن يُختار للإمامة ، ويفوّض إليه مع ضعفه عنها ! وهذا بمنزلة أن يصِفَه بالفسق ، ثم يدخله في جملة القوم ؛ لأنّ الضعف عن الإمامة مانع منها ، كما أنّ الفِسْق كذلك .

* * *

قلت : الكلامُ فى الشُّورى والمطاعن فيها طويل جدًّا ، وقد ذكرت من ذلك فى كتبى الكلامية وتعليقاتى ماقاله النَّاسُ ومالم أسبَق إليه ، ولا يحتمل هذا الكتاب الإطالة باستقصاء ذلك ، لأنه ليس بكتاب حِجاج ونظر ؛ ولكنى أذكر منه نُكتاً يسيرة ، فأقول :

إن كانت أفعالُ عمر وأقواله قد تناقضتْ فى واقعة الشورى ـ كما زعم المرتضى رحمه الله ـ فكذلك أفعال أمير المؤمنين ـ إن كان منصوصاً عليه كما تقولُه الإمامية ـ قد تناقضت أيضاً . أمّا أوّلًا فإن كان منصوصا عليه ، فكيف أدخل نفسه فى الشورى المبنية على صحة الاختيار وعدم النصّ ! أليس هذا إيهاماً ظاهرا لأكثر المسلمين ، خصوصا الضَّعَفة منهم ، ومَنْ لا نظر له فى دقائق الأمور عنده أنه غير منصوص عليه ! فكيف يجوز له إضلال المكلّفين وأن يوقع فى نفوسهم عدمَ النصِّ مع كون النصِّ كان حاصلا !

وأمّا عذر المرتضَى عن هذا ، بأنّه دخل فى الشورى ، ليتمكّن من الاحتجاج على أهل الشورى بمقاماته وفضائله ، فيقال له : قد كان الدّهرَ الأطول مخالطاً لأهل الشورى وغيرهم ، مجتمعاً معهم فى المسجد وغيره من مواطن كلّ يوم بل كلّ ساعة ؛ فلا يجوز أن يقال : دخل ليضمّه وإيّاهم أو يظلّهم سقف ، فيتمكّن بذلك من ذكر مقاماته وفضائله بينهم ؛ لأنّ العاقل لايجوز أن يرتكبَ أمراً يُوهِم القبيح ، ليفعل فعلا قد كان من قبله بثلاث عشرة سنة متمكّنا من أن يفعله من غير أن يرتكب ذلك الأمر الموهِم للقبيح ؛ وليت شعرى مَن الّذى كان يمنعه أيّام أبى بكر وعمر من أن يذكر مقاماته وفضائله ويفتخر بها ! وَلِمَ انفك عليه السلام من ذكر فضائله والفخر بمناقبه فى تلك المدة الطويلة وقد كان عمر وهو المعروف المشهور بالغلظة والفظاظة يذكر فضائله ويعترف بها ! فلست أرى لعذر المرتضى أصلًا بهذا الوجه أو معنى !

فأما عذره الثانى عن دخوله فى الشورى بقوله : لو لم يدخل فيها لقيل له : إنك قد طعنت على واضع الشورى ، وليس ذلك إلا لأنك ترى الأمر لك ، فليس بعذر جيّد ؛ لأنه لو امتنع من الدخول فيها على وجه الزُّهد وقلّة الالتفات إلى الولاية والإعراض عن السلطان والإمرة لما نسبَه أحدٌ إلى ماذكره المرتَضى أصلا ، ولقال الناس : رجلٌ زاهد لايريد الدنيا ، ولا يرغب فى الرّياسة ؛ ثم ما المانع من أن يقول لعمر وهو حيٌّ : نشدتُك الله لا تدخِلنى فيها ؛ فإنِّى لا أريدها ولا أوثرها ! أتراه كان فى جواب هذا الكلام يأمر بقتله ، ويقول له : إنما امتناعك لأنَّك تدّعى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصَّ عليك ؛ فلا ترى أخذ الأمر من جهتى وتوليَه من طريقى ، وإنَّما تريده بمحض النصِّ الأول لاغير ! ما أظنُّ أن عاقلا يخطر له أنَّ ذلك كان يكون ، فهذا العذر بارد لامعنى له كالعذر الأول .

فأما عذرُه الثالث ، وهو قوله : إنّه كان يجب عليه أن يتوصّل إلى القيام بالأمر بكلِّ طريق ، لأنه يلزمه القيام به ، فعذرٌ جيد لا بأس به .

وأما ثانيا فيقال للمرتَضى : هب أنَّا نزلنا عن الدخول فى الشورى ، هلّا عرض للجماعة وهم مجتمعون ، وهو يعدُّ لهم مناقبَه وفضائله بذكر النصِّ ؛ وذلك بأن يكنِّى عنه كناية لطيفة، فيقول لهم : قد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس فى حقِّ ماتعلمون! أتراهم كانوا فى جواب هذه الكلمة يقتلونه ! ما أظنُّ أنهم كانوا يجتمعون على ذلك . ولا بدّ لو عرّض بشىء من ذلك كان من كلام يدور بينهم فى المعنى ، نحو أن يقولوا : إنّ ذلك النصَّ رجع عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، أو يقولوا : رأى المسلمون تركه للمصلحة ،أو يجرى بينه وبينهم جِدال ونزاع؛ ولم يكن هناك خليفة يخاف جانبَه؛وإنما كان مجلس مناظرة وبحث ، ولم يستقرّ الأمر لأحد .

وقول المرتضى: إنه وإن كان كذلك؛ إلا أنّهم كانوا لا يرضون أن يطعن فى المتقدّمين

منهم، ويكرهون منه ذلك ، ولا يُقِرّونه عليه ، ويعدّونه شذوذاً له عن الجماعة، وخلافاً للأمّة قول صحيح ، إذا كان القائل يقوله على وجه شقّ العصا والمنابذة، وكشف القناع، وإذا قاله على وجه الاستعطاف لهم ، والادّكار بما عساهم نسُوه ، وحسن التلطّف والرفق بهم ، والاستمالة لهم ، وتذكيرهم حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله ، وميثاقه الذى واثقهم به، فإنه لايقع منهم فى مقابلة ذلك قتله ، ولا قطع عضو من أعضائه ، ولا إقامة الحدّ عليه . وأقصى مافى الباب أنهم كانوا يردّون ذلك عليه بكلامٍ مثل كلامه ، ويجيبونه بجواب يناسب جوابَه ، ويدفعونه عمّا يرومُه بوجهٍ من وجوه الدفع ، إن كانوا مقيمين على الإصرار على غصب الحقّ منه .

وأما ثالثا ، فإن كان عليه السلام – كما تقوله الإماميّة – منصوصا عليه ، فما الذى منعه لمّا قال له عبد الرحمن : أبايعك على أن تسيرَ فينا بسيرة الشيخين ، أن يقول : نعم ! فإنه لو قال: نعم ، لبايعه عبدُ الرحمن ، ووصل إلى الأمر الذى يلزمه القيام به ؟ وإلى الحال التى كان يتوصّل بكلّ طريق إلى الوصول إليها .

وقول المرتضى : إن سيرتَهما كانت مختلفة ، لأنّ أحدهما حكَم بكثير مما حكم الآخر بضدّه ليس بجيّد ، لأنّ السيرة التى كان عبد الرحمن يطلبها ذلك اليوم ، هو الأمر الكلىّ فى إيالة الرعيّة وسياستهم ، وجباية الفىء ، وظَلَف الوالى نفسَه وأهلَه عنه وصرفه إلى المسلمين، ورمّ الأمور ، وجمع العمّال، وقهر الظلمة، وإنصاف المظلومين، وحماية البَيْضة، وتسريب الجيوش إلى بلاد الشرك ، هذه هى السيرة التى كان عبد الرحمن يشترطها ، وهى التى طلبها الناس بعد ذلك ، فقالوا لمعاوية فى آخر أيامه ، ولعبد الملك ولغيرهما وصاحوا بهم تحت المنابر : نطلب سيرة العُمَرين ؟ ولم يريدوا فى الأحكام والفتاوى الشرعية ، نحو القول فى الجدّ مع الإخوة،

والقول فى الكلالة ، والقول فى أمهات الأولاد ؛ فما أعلم الذى منع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يقول لعبد الرحمن : نعم ، فيأخذها ! ثم كان إذا أخذها أقدر الناس على هذه السيرة ، وأقوامَ عليها . فواعجبا ! بيناهو يطلب الخلافة أشدّ الطلب ، فإذا هو ناكص عنها ، وقد عرضت عليه على أمرٍ هو قيّم به ! ولهذا كان الرأى عندى أن يدخل فيها حينئذ ، ومَن الذى كان يناظره بعد ذلك ويجادله ، فيقول : قد أخللتَ بشىء من سيرة أبى بكر وعمر ! كلّا إن السّيف لضاربه ، والأمر لمالكه ، والرعيّة أتباع ، والحُكْم لصاحب السلطان منهم !

ومن العجَب أنْ يقول المرتضَى : إنه لأجل التقيّة وافق عَلَى الرّضا بالشّورى ! فهلّا اتّقى القوم ، وقد ذكروا له سيرة الشيخين فأباها وكرهها ! ومَنْ كان يخاف على نفسه أن لو أظهر الزّهد فى الخلافة والرغبة عن الدخول فى أمر الشورى ! كيف لم يخفْ على نفسه، وقد ذكرت له سيرة الشيخين فتركها ، ولم يوافق عليها ، وقال : لا بل عَلَى أن أجتهد رأيى !

وأما قول المرتضى : إنه وصف القوم بصفات تمنع من الإمامة ، ثم عيّنهم للإمامة ، فنقول فى جوابه : إنّ تلك الصفات لا تمنع من الإمامة بالكليّة ، بل هى صفات تنقص فى الجلة ، أى لو لم تكن هذه الصفات فيهم ، لكانوا أكمل ، ألَا ترى أنه قال فى عبد الرحمن : رجل صالح عَلَى ضعف فيه ! فذكر أنّ فيه ضعفاً يسيرا ، لأنه لو كان يرى ضعفه مانعاً من الإمامة لقال : ضعيف عنها جدًّا ، أو لايصلح لها لضعفه . وكذلك قوله فى أمير المؤمنين : فيه فُكاهة ، لأن ذلك لايمنع من الإمامة ، ولا زهو طلحة ونخوته ، ولا ماوصف به الزبيرُ من أنه شديد السخط وقت غضبه ، وأنه بخيل ، ولاتوليه الأقارب عَلَى رقاب الناس إذا لم يكونوا افسّاقا. وأقوى عيب ذكره ماعاب به سعداً فى قوله : صاحب

مِقْنب وقتال ، لا يقوم بقَرْبَةٍ لو حَمَل أمرها . ويجوز أن يكون قال ذلك عَلَى سبيل المبالغة فى استصلاحه ، لأن يكون صاحب جيش يقاتل به بين يدى الإمام ، وأنه ليس له دُرْبة ونظر فى تدبير البلاد والأطراف ، وجباية أموالها ؛ ألا تراه كيف قال : لا يقوم بقَرْبَةٍ ! ويجوز أن يلىَ الخلافة مَنْ هذه حاله ، ويستعين فى أمر العباد والبلاد وجباية الأموال بالكفاة الأمناء .

فأما الرواية الأخرى التى قال فيها لعثمان : أَرَوْتَة خير منك ! فهى من روايات الشيعة ، ولسنا نعرفها من كتب غيرهم .

فأما قوله : كيف قال : لا أتحملها حيًّا وميّتا ؛ فحصر الخلافة فى العدد المخصوص ، ثم رتبها ذلك الترتيب ، إلى أن آلت إلى [اختيار] عبد الرحمن وحدَه ! فنقول فى جوابه : إنه كان يحبّ ألّا يستقلّ وحده بأمر الخلافة ، وأن يشاركه فى ذلك غيرُه من صلحاء المهاجرين ، ليكون أعذرَ عند الله تعالى وعند الناس ، وإذا كان قد وضع الشورى عَلَى ذلك الوضع المخصوص ، فلم يتحمّلها استقلالا ، بل شَرَّكه فيها غيره ، فهو أقلّ ؛ لتحمله أمرها لو كان عيّن عَلَى واحد بعينه .

وأما حديث القتل ، فليس مراده إلّا شقّ العصا ، ومخالفة الجماعة ، والتوثُّب على الأمر مغالبة .

وقول المرتضَى : لو كان ذلك من أوّل يوم لوجب أن يمنع فاعله ويقاتل ، فأىّ معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلاً ! فإنه يقال له : إنّ الأجل المذكور لم يضرَبْ لقتل مَن يشقّ العصا ، وإنما ضُرِب لإبرامهم الأمر وفصله قبل أن تتطاول الأيام بهم ؛ ويتسامع مَنْ بَعُدَ عن دار الهجرة أن الخليفة قد قتل ، وأنهم مضطربون إلى الآن ، لم يقيموا لأنفسهم خليفةً بعده ، فيطمع أهل الفساد والدَّعارة[1] ، ولا يؤمَن وقوع الفتن ،

(١) الدعارة (بالفتح والكسر) : الخبث والفجر .

ولا يؤمَن أيضا أن يستردّ الروم وفارس بلاداً قد كان الإسلام استولَى عليها ، لأنّ عدم الرئيس مطمِـعٌ للعدوّ فى ملـكه ورعيّته .

* * *

فأمّا الأخبار والآثار التى ذكرها المرتضَى فى مبايعة علىّ عليه السلام لعثمان ، وأنّه كان مكرَهاً عليها أو كالمـكرَه ، وأنّ الرّضا كان مرتفعاً ، والخلاف كان واقعا ، فكلام فى غير موضعه ، لأنّ قاضى القضاة لم ينحُ بكلامه هذا النّحو ، ولا قصد هذا القصد ، ليناقضه بما رواه وأسنده من الأخبار والآثار ، ولا هـذا الموضع من كتاب " المغنى " موضع الـكلام فى بيعة عثمان وصحّتها ووقوع الرّضا بها ، فيطعن المرتضى فى ذلك بما رواه من الأخبار والآثار الدّالة على تهضّم القوم لأمير المؤمنين عليه السـلام وأصحابه وشيعته وتهدّدهم ، وإنما الرضا الذى أشار إليـه قاضى القضاة ، فهو رضا أمير المؤمنين عليه السلام بأن يكون فى جملة أهل الشورى ، لأن هذا الباب من كتاب " المغنى " هو باب نفى المطاعن عن عمر ، وقد تقدّم ذكر كثير منها .

ثم انتهى إلى هذا الطّعن ، وهو حديث الشورى ؛ فذكر قاضى القضاة أنّ الشورى مِمّا طُعِن بها عليه ، وادّعِى أنّها كانت خطأ من أفعاله ، لأنها لا نصّ ولا اختيار ، ألا تراه كيف قال فى أوّل الطعن : نخرج بها عن النصّ والاختيار ! فنقول فى الجواب :

لو كانت خطأ لـما دخل علىٌّ عليه السلام فيها ، ولا رَضِىَ بها ، فدخوله فيها ورضاه بها دليل عَلَى أنها لم تـكن خطأ ، وأين هـذا من بيْعة عثمان ، حتى يخلط أحد البابين بالآخر !

فأمّا دعواه أنّ عمر عمل هذا الفعل حيلةً ، ليصرف الأمر عن علىّ عليه السلام من حيث علم أنّ عبد الرحمن صهرُ عثمان ، وأنّ سعداً ابنُ عمّ عبد الرحمن فلا يخالفه ؛ فجعل

الصواب فى الثلاثة الذين يكون فيهم عبد الرحمن ، فنقول فى جوابه :

إنّ عمر لو فعل ذلك وقصده لكان أحمق النّاس وأجهلهم ، لأنه من الجائز ألّا يوافق سعدٌ ابنَ عمّه لعداوة تكون بينهما ، خصوصا من بنى العمّ ، ويمكن أن يستميل علىٌّ عليه السلام سعداً إلى نفسه ، بطريق آمنة بنت وهب ، وبطريق حمزة بن عبد المطلب ، وبطريق الدّين والإسلام ، وعهد الرسول صلى الله عليه وآله ؛ ومن الجائز أن يعطف عبدُ الرحمن عَلَى علىٍّ عليه السلام لوجهٍ من الوجوه ، ويعرض عن عثمان ، أو يبدوَ من عثمان فى الأيام الثلاثة أمرٌ يكرهه عبد الرحمن ، فيتركه ويميل إلى علىٍّ عليه السلام . ومن الجائز أن يموتَ عبد الرحمن فى تلك الأيام ، أو يموت سعد ، أو يموت عثمان ، أو يقتل واحد منهم فيخلص الأمر لعلىّ عليه السلام ، ومن الجائز أن يخالف أبو طلحة أمرَه له أن يعتمد عَلَى الفرقة التى فيها عبد الرحمن ، ولا يعمل بقوله ، ويميل إلى جهة علىٍّ عليه السلام ، فتبطل حيلته وتدبيره !

ثم هب أنّ هذا كلّه قد أسقطناه، مَن الذى أجبر عمر وأكرهه وقسرهُ عَلَى إدخال علىٍّ عليه السلام فى أهل الشورى ؟ وإن كان مراده — كما زعم المرتضى — صرفَ الأمر بالحيلة ، فقد كان يمكنه أن يجعل الشورى فى خمسة ، ولا يذكر عليا عليه السلام فيهم ، أتراه كان يخاف أحداً لو فعل ذلك ! ومَنِ الذى كان يجسر أن يراجعه فى هذا أو غيره ! وحيث أدخله مَنِ الذى أجبره عَلَى أن يقول : إن وليَها ذلك لحملهم عَلَى المحجّة البيضاء ، وحملهم عَلَى الصراط المستقيم ، ونحو ذلك من المدح ! قد كان قادرا ألّا يقول ذلك ؛ فالكلام الغثّ البارد لا أحبّه .

فأما قوله : إنّ عبدالرحمن فعل مافعل من إخراج نفسه من الإمامة حيلة ليسلّم الأمر إلى عثمان ، ويصرفه عن علىّ عليه السلام ؛ فكلام بعضُه صحيح وبعضه غير صحيح . أما الصحيح منه فميلُ عبد الرحمن إلى جهة عثمان ، وانحرافُه عن علىّ عليه السلام قليلا ،

وليس هـذا بمخصوص بعبد الرحمن ، بل قريش قاطبة كانت منحرفةً عنه .

وأمّا الذى هو غير صحيح ، فقوله : إنه أخرج نفسَه منها لذلك ؛ فإنّ هذا عندى غيرُ صحيح ، لأنه قد كان يمكنه ألّا يخرج نفسه منها ، ويبلغ غرضه ، بأن يتجاوز هو وابن عمّه إلى عثمان ، ويدَع عليا وطلحة والزبير طائفة أخرى ، فيولّى المسلمون الأمر الطائفة التى فيها عبد الرحمن ، بمقتضى نصّ عمر علَى ذلك ، ثم يعتمد عبد الرحمن بعد ذلك مايشاء ، إن شاء وليَها هو أو أحد الرجلين ؛ فأى حاجةٍ كانت به إلى أن يخرج نفسه منهـا ليبلغ غرضا قد كان يمكنه الوصول إليه بدون ذلك !

وأيضا فإن كان غرضه ذلك ، فإنه من رجال الدنيا قد كان لا محالة ، ولم يـكن من رجال الآخرة ، ومَنْ هو من رجال الدنيا ومحبِّيها كيف تسمح نفسه بترك الخلافة ليعطيها غيره ! وهلاّ واطأ سعداً ابن عمّه ، وطلحة صديقه ، على أن يولّياه الخلافة،وقد قال عمر : كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ، لا سيّما وطلحة منحرفٌ عن علىٍّ عليه السلام وعثمان ، لأنهما ابناَ عبد مناف ، وكذلك سعد وعبدالرحمن منحرفان عنهما لذلك أيضا ، ولما اختصّا به من صِهْر رسول الله صلى الله عليه وآله . والصّحيح أنّ عبد الرحمن أخرج نفسَه منها ، لأنه استضعف نفسه عن تحمّل أثقالها وكُلَفها ، وكرِه أن يدخل فيها،فيقصّر عن عمر ، ويراه الناس بعين النقص ، ولا يستطيع أن يقوم بما كان عمر يقوم به ، وكان عبد الرحمن غنيًّا موسراً كثير المـال ، وشيخاً قد ذهب عنه ترفُ الشّباب ، فنفض عنها يده ، استغناء عنها ، وكراهيَة لخلل يدخل عليه إن وليَها .

وأما ميلُه عن علىٍّ عليه السلام ، فقد كان منه بعضُ ذلك ، والطباع لا تُملَك ، والحسد مستقرٌّ فى نفوس البشر ، لا سيّما إذا انضاف إليه مايقتضى الازدياد فى الأمور .

فأما تنزيه المرتضَى لعلىٍّ عليه السلام عن الفُكاهة والدّعابة فحقّ ، ولقد كان عليه

السلام على قَدَمٍ عظيمة من الوقار والجِدّ والسَّمْت العظيم ، والهدى الرَّصين ، ولكنه كان طَلْقَ الوجهِ ، سمْحَ الأخلاق، وعمر كان يريد مثلَه من ذوى الفظاظة والخشونة ،لأنّ كلّ واحد يستحسن طبعَ نفسِه ، ولا يستحسن طبع مَنْ يباينه فى الخلق والطبع . وأنا أعجب من لفظة عمر - إن كان قالها : « إنّ فيه بَطالة[1] » ؛ وحاش لله أن يوصفَ علىٌّ عليه السلام بذلك ! وإنّما يوصَف به أهل الدُّعابة واللهو ، وما أظنّ عمر - إن شاء الله - قالها ، وأظنّها زِيدت فى كلامه ، وإنّ الكلمة هاهنا لدالّةٌ على انحراف شديد .

فأما قول أمير المؤمنين عليه السلام للعبّاس ولغيره : ذهب الأمر منّا ؛ إنّ عبد الرحمن لا يخالِف ابن عمّه ، فليس معناه أنّ عمر قصد ذلك ، وإنّما معناه أنّ من سوء الاتفاق أن وقع الأمر هكذا ، ويوشك ألّا يصل إلينا حيث قد اتّفق فيه هذه النكتة .

فأما قول قاضى القضاة : إذا تقدّمت للفاعل حالة تقتضى حسنَ الظنّ ،وجبأن يحمل فعله على مايطابقها ، واعتراض المرتضَى عليه بقوله : إن ذلك إنما يجب إذا كان الخير معلوما منه فيما تقدّم لا مظنونا ، ومتَى كان مظنونا ثم وجدنا له فعلا يظنّ به القبيح لم يكن لنا أن نقضِيَ بالسابق على اللاحق؛ فنقول فى جوابه : إنّ الإنسان إذا كان مشهوراً بالصّلاح والخير ، وتكرّر منه فعل ذلك مدّة طويلة ، ثم رأيناه قد وقعت منه حركة تنافِي ذلك فيما بعد ، فإنه يجب علينا أن نحملها على مايطابق أحواله الأولى ماوجدنا لها محملا، لأن أحواله الأولى كثيرة ؛ وهذه حالة مفردة شاذّة ؛ وإلحاق القليل بالكثير وحمله عليه أولى من نقض الكثير بالقليل ، وقد كانت أحوال عمر مدّة عشرين سنة منتظمة فى إصلاح الرعيّة ومناصحة الدّين ، وهذا معلوم منه ضرورة - أعنى ظاهرَ أحواله - فإذا وقعت عنه حالةٌ واحدة، وهى

---

(١) البطالة (بفتح الباء) : التعطل والتفرغ من العمل .

قصة الشُّورى فيها شبهةٌ ما ، وجب أن نتأوّلها ماوجدنا لها فى الخير محملا ، ونلحقها بتلك الأحوال الكثيرة التى تكرّرت منه فى الأزمان الطويلة ، ولا يجوز أن نضع اليدعليها ونقول : هذه لاغيرها ، ونقبّحها ، ونهجّنها ، ونسدّ أبواب هذه التأويلات عنها، ثم نحمل أفعاله الكثيرة المتقدمة كلّها عليها فى التقبيح والتهجين ؛ فهذا خلاف الواجب ، فقد بان صحّة ماذكره قاضى القضاة ، لأنه لا حاجة بنا فى القضاء بالسّابق على اللاحق ؛ إلاّ أن يكون خيرُه معلوماً ، وعلم علماً يقينيا ؛ فإنّ الظنّ الغالب كافٍ فى هذا المقام على الوجه الذى ذكرناه .

وأما قوله عن عمر : إنّه بلغ مافى نفسه من إيصال الأمر إلى مَنْ أراد ، وصرفه عمّن أراد ؛ من غير شناعة بالتصريح ، وحتى لا يقال فيه ماقيل فى أبى بكر ، أو يراجع فى نصّه كما روجع أبو بكر ، ولأى حالٍ يتعسّف أبعد الطريقين ، وغرضه يتمّ من أقربهما! فقد قلنا فى جوابه ما كفى ، وبيّنا أنّ عمر لو أراد ما ذُكر لصرف الأمر عمّن يريد صرفه عنه ، ونصّ على مَنْ يريد إيصال الأمر إليه ، ولم يبال بأحد ، فقد عرف النّاس كلُّهم كيف كانت هيبته وسطوته وطاعة الرعيّة له ؛ حتى إنّ المسلمين أطاعوه أعظَم من طاعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله فى حياته ، ونفوذ أمره فيهم أعظم من نفوذ أمره عليه السلام ، فمن الذى كان يجسُر أو يقدر أن يراجعه فى نصّه ، أو يرادّه ، أو يلفظ عنده أو غائباً عنه بكلمة تنافى مراده ! وأىّ شىء ضرّ أبا بكر من مراجعة طلحة له حيث نصّ ؛ ليقول المرتضى : خاف عمر من أن يراجَع كما روجع أبو بكر ، وقد سمع الناس ماقال أبو بكر لطلحة لما راجعه ، فإنّه أخزاه وجبّهه ، حتى دخل فى الأرض ، وقام مِنْ عنده وهو لايهتدى إلى الطريق ! وأين كانت هيبةُ الناس لأبى بكر من هيبتهم لعمر ! فلقد كان أبو بكر وهو خليفة يهابهُ وهو رعيّة وسُوقة بين يديه ، وكلُّ أفاضل الصحابة كان يهابه ، وهو بعدُ لم يل الخلافة ، حتى إن الشّيعة تقول : إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله يهابه ، فمن

كانت هذه حاله وهو رعيةٌ وسُوقة ، فكيف يكونُ وهو خليفة ، قد ملك مشارق الأرض ومغاربها ، وخُطب له على مائة ألف منبر ! ولو أراد عمر أن يخطُب بالخلافة لأبي هريرة لما خالفه أحدٌ من الناس أبدا ! فكيف يقول المرتضى : لماذا يتعسّف عمر أبعدَ الطريقين ، وغرضه يتمّ من أقربهما !

والعجَب منه كيف يقول : خاف شناعةَ التصريح ، فمن لم يخَفْ عندهم شناعة المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعلم أنّ المسلمين يعلمون أنه مخالف لله تعالى ولرسوله قائم في مقام لم يجعله الله تعالى له ، كيف يخاف شناعة التصريح باسم عثمان لو كان يريد استخلافه ! إنّ هذا لأعجبُ من العجَب !

***

الطعن العاشر

قولهم : إنه أبدع في الدين ما لا يجوز ، كالتراويح ، وما عمله في الخراج الذى وضعه على السّواد ، وفى ترتيب الجِزْية ، وكلُّ ذلك مخالف للقرآن والسّنّة ، لأنه تعالى جعَل الغنيمة للغانمين ، والخمس منها لأهل الخُمُس ، فخالف القرآن ، وكذلك السنّة تنطق في الجزية أنّ على كلّ حالم دينارا ، فخالف في ذلك السنة ، وأنّ الجماعة لا تكون إلّا في المكتوبات ، فخالف السنة .

أجاب قاضى القضاة عن ذلك ، بأنّ قيام شهر رمضان ، قد رُوِى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عمله ثم تركه ، وإذا علِم أن الترك ليس بنسخ ، صار سنّة يجوز أن يعمل بها ، وإذا كان ما لأجله تركه[1] من التنبيه بذلك على أنه ليس بفرض ، ومِنْ تخفيف التعبدّ

---

(١) الثانى : « ترك » .

ليس بقائم فى فعل عمر لم يمتنع أن يدوم عليه ، وإذا كان فيه الدّعاء إلى الصلاة والتشدّد فى حفظ القرآن ، فما الذى يمنع أن يعمل به !

فأمّا أمر الخراج ، فأصله السّنّة ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بيّن أنّ لمن يتولّى الأمر ضرباً من الاختيار فى الغنيمة ، ولذلك فصّل بين الرجال والأموال ، فجعل الاختيار فى الرجال إلى الإمام فى القتل والاسترقاق والمفاداة ؛ وفصّل بينه وبين المال ، وإن كان الجميع غنيمةً .

ثم ذكر أنّ الغنيمة لم تُضَف إلى الغانمين إضافة الملك ، وإنّما المراد أنّ لهم فى ذلك من الاختصاص والحقّ ماليس لغيرهم ؛ فإذا عرض ما يقتضى تقديم أمرٍ آخر ،جاز للإمام أن يفعله ، ورأى عمر فى أمر السّواد الاحتياط للإسلام ، بأن يقرّ فى أيديهم على الخراج الذى وضعه ، وإن كان فى النّاس مَن يقول : فعل ذلك برضا الغانمين ، وبأن عوّض . ويدلّ على صحّة فعله إجماع الأمة ورضاهم به ، ولمّا أفضى الأمرُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام تركه على جملته ، ولم يغيّره .

ثم ذكر فى الجزية أن طريقها الاجتهاد ؛ فإن الخبر المروىّ فى هذا الباب ليس بمقطوع به ، ولا معناه معلوم .

* * *

اعترض المرتضى هذا الجواب ، فقال : أمّا التراويح فلا شبهة أنها بِدْعة ، وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أيها الناس ، إنّ الصلاة بالّليل فى شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة ، ألا فلا تجتمعوا ليلا فى شهر رمضان فى النافلة ، ولا تصلّوا صلاة الضحى فإنّ قليلا فى سنّة خير من كثير فى بِدْعة ، ألا وإنّ كلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة سبيلها فى النار » .

وقد روى : أنّ عمرَ خرج فى شهر رمضان ليلاً ، فرأى المصابيح فى المسجد ، فقال : ماهذا ؟ فقيل له : إنّ الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوّع ، فقال : بِدْعة ، فنعمتِ البِدْعة ! فاعترف كما ترى بأنّها بِدعة ، وقد شهد الرسول صلى الله عليه وآله أنّ كل بدعةٍ ضلالة .

وقد رُوِىَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا اجتمعوا إليه بالكوفة ، فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلّى بهم نافلة شهر رمضان ، زجرهم وعرّفهم أنّ ذلك خلاف السنّة ، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم، وقدّموا بعضهم،فبعث إليهم ابنه الحسن عليه السلام،فدخل عليهم المسجد ، ومعه الدِّرّة ؛ فلمّا رأوْه تبادروا الأبواب ، وصاحوا : واعمراه !

قال : فأمّا ادّعاؤه أنّ قيام شهر رمضان كان فى أيّام الرسول صلى الله عليه وآله ، ثم تركه فمغالطة منه،لأنّا لا ننكر قيام شهر رمضان بالنوافل على سبيل الانفراد ، وإنّما أنكرنا الاجتماع على ذلك ، فإن ادّعى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله صلاّها جماعةً فى أيامه ، فإنّها مكابرة ما أقدم عليها أحدٌ ، ولو كان كذلك ماقال عمر : إنّها بدعة،وإن أراد غير ذلك فهو ممّا لا ينفعه ، لأنّ الذى أنكرناه غيره .

قال : والذى ذكره من أنّ فيه التشدّد فى حفظ القرآن ، والمحافظة على الصّلاة؛ليس بشىء ، لأنّ الله تعالى ورسوله بذلك أعلم ، ولو كان كما قاله لكانا يسنّان هذه الصلاة، ويأمران بها ، وليس لنا أن نبدع فى الدِّين بما نظنّ أنّ فيه مصلحة ، لأنه لا خلاف فى أنّ ذلك لا يسوغ ولا يحلّ .

وأمّا أمر الخراج فهو خلاف لنصّ القرآن ؛ لأن الله تعالى جعل الغنيمة فى وجوهٍ مخصوصة ، فمنْ خالفها فقد أبدع ،وليس للإمام ولا لغيره أن يجتهد فيخالف النص،فبطل قوله : إنه رأى من الاحتياط للإسلام أن يقرّ فى أيديهم على الخراج ؛ لأنّ خلاف النصّ

لايكون من الاحتياط ورسوله أعلم بالاحتياط منه ؛ ولو كان لرضا الغانمين عن ذلك أو عِوَضهم منه على ما ادّعاه صاحب الكتاب لوجب أن يظهر ذلك ويُعْلَم ، وما عرفنا في ذلك شيئا ، ولا نقله الناقلون .

وأما ما ادّعاه من الإجماع ، فمعوّله فيه على ترك النكير ، وقد تقدم الكلام عليه وتكرّر ، وكذلك قد تقدّم الكلام في وجه إقرار أمير المؤمنين عليه السلام ماأقرّه من أحكام القوم ، وما ادّعاه أنّ خبر الجزية غير معلوم ولا مقطوع به ، فهبْ أنّ ذلك مسلّم على مافيه ، أليس من مذهبه أنّ أخبار الآحاد في الشريعة يعمل بها ، وإن لم تكن معلومة ! فهلّا عمل عمرُ بالخبر المرويّ في هذا الباب ، وعدل عن اجتهاده الذى أدّاه إلى مخالفة الله تعالى[1] !

* * *

[2]أما كونُ صلاة التّراويح بدعة وإطلاق عمر عليها هذا اللفظ ؛ فإنّ لفظ البدعة يطلق على مفهومين :

أحدهما ماخولف به الكتاب والسّنّة ، مثل صوم يوم النحر وأيام التّشريق ، فإنه وإن كان صوماً إلّا أنه منهيٌّ عنه .

والثانى مالم يردْ فيه نصٌّ ، بل سُكِت عنه ، ففعله المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله . فإن أريد بكون صلاة التراويح بدعةً المفهوم الأوّل ، فلا نسلّم أنّها بدعة بهذا التفسير ، والخبر الذى رواه المرتضى غير معروف ، ولا يمكنه أن يسنده إلى كتاب من كتب المحدّثين ، ولو قَدَر على ذلك لأسنده ، ولعلّه من أخبار أصحابه من محدّثى الإماميّة والأخباريين منهم ، والألفاظ التى فى آخر الحديث ، وهى : « كلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة

---

(١) الشافى ٢٦٢ .
(٢) من هنا بدء رد المؤلف على قول المرتضى .

فى النار » مروية مشهورة ، ولكنْ على تفسير البدعة بالمفهوم الأول . وقول عمر : « إنها لَبِدعة » خبر مرويٌّ مشهور ، ولكن أراد به البدعة بالتفسير الثانى؛ والخبر الّذى رواهُ أمير المؤمنين عليه السلام ينفرد هو وطائفته بنقله ، والمحدّثون لا يعرفون ذلك ولا يثبتونه .

فأمّا إنكاره أن تكون نافلة شهر رمضان صلّاها رسول الله صلى الله عليه وآله فى جماعة ، فإنكارٌ لست أرتضيه لمثله ؛ فإنّ كتبَ المحدّثين مشحونة برواية ذلك ، وقد ذكره أحمد بن حنبل فى مسنده غير مرّة بعدة طرق ، ورواه الفقهاء ، ذكره الطّحاوى فى كتاب "اختلاف الفقهاء" ؛ وذكره أبو الطيب الطبرىّ الشافعىّ فى شرحه كتاب المزنىّ ، وقد ذكره المتأخرون أيضاً ؛ ذكره الغزالى فى كتاب "إحياء علوم الدين" وقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى التراويح فى شهر رمضان فى جماعة ليلتين أو ثلاثا ، ثم ترك ، وقال : أخاف أن يوجب عليكم . وأجاز لى الشيخُ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزىّ ، برايته عن شيخه محمد بن ناصر ، عن شيوخه ورجاله ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى نافلة شهر رمضان فى جماعة يأتمّون به ليالى ثم لم يخرج وقام فى بيته ، وصلّى الناس فرادى بقيّة أيامه وأيام أبى بكر وصَدْراً من خلافة عمر ، فخرج عمر ليلة ، فرأى الناس أوزاعاً يصلّون فى المسجد ، فقال : لو جمعتهم على إمام ! فأمر أبىّ بن كعب أن يصلّىَ بهم ، فصلّى بهم تلك الليلة ثم خرج ، فرآهم مجتمعين إلى أبىّ بن كعب يصلّى بهم ، فقال : بدعة ونعمة البدعة ! أما إنها لفضلٌ ، والتى ينامون عنها أفضل .

قال : يعنى قيام آخر الليل ، فإنه أفضل من قيام أوله .

وأما قول قاضى القضاة إنّ فى التراويح فائدة وهى التشدّد فى حفظ القرآن والدعاء إلى الصلاة ، واعتراض المرتضى إياه بقوله : الله أعلم بالمصلحة ؛ وليس لنا أن نسنّ مالم يسنّه

الله ورسوله ، فإنه يقال له : أليس يجوز للإنسانِ أن يخترع من النّوافل صلواتٍ مخصوصة بكيفيّاتٍ مخصوصة، وأعدادِ ركعاتٍ مخصوصة، ولا يكون ذلك مكروهاً ولا حراماً، نحو أن يصلّي ثلاثين ركعة بتسليمة واحدة ، ويقرأ في كلّ ركعة منها سورةً من قِصار المفصّل ! أفيقول أحدٌ : إنّ هذا بدعة ، لأنه لم يرد فيه نصّ ولا سبق إليه المسلمون من قبل ! فإن قال: هذا يسوغ ؛ فإنه داخل تحت عموم ماورد في فضل صلاة النافلة ، قيل له : والتراويح جائزة ومسنونة لأنها داخلة تحت عموم ماورَد في فضل صلاة الجماعة .

فإن قال : كيف تكون نافلة ، وهي جماعة ! قيل له : قد رأينا كثيراً من النّوافل تصلّى جماعة ، نحو صلاة العيد ، وصلاة الكسوف ، وصلاة الاستسقاء ، وصلاة الجنازة ، إذا لم يتعيّن للمصلّي بأن يقوم غيره مقامه فيها .

فأمّا ما أشار إليه قاضي القضاة من التشدّد في حفظ القرآن ، فهو أنّه روى أنّ عمر أُتِيَ بسارق ، فأمر بقطعه ، فقال : لم أعلم أنّ الله أوجب القطع في السّرِقة ، ولو علمت لم أسرق ، فأحلفه على ذلك . وسنّ التراويح جماعة ليتكرّر سماع القرآن على أسماع المسلمين.

وقد اختلف الفقهاء أيّما أفضل في نافلة شهر رمضان ؟ الاجتماع عليها أم صلاتها فرادى ؟ فقال قوم : الجماعة أفضل لأنّ الاجتماع بركة وله فضيلة ، ولولا فضيلته لم يسنّ في المكتوبة ، ولأنه ربّما يكسل في الانفراد ، وينشط عند مشاهدة الجمع.

وقال قوم : الانفراد أفضل، لأنّها سنّة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بتحيّة المسجد أولَى ، وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ، ثم لم يصلّوا التحيّة بالجماعة .

وروى القائلون بهذا القول عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « فضل صلاة المتطوّع في بيته على صلاة المتطوّع في المسجد ، كفضلِ صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت » .

وقد روى عنه عليه السلام : أنّ أفضل النوافل ركعتان يصلّيهما المسلم فى زاوية بيته لا يعلمهما إلا الله وحده .

قالوا : ولأنّها إذا صلّيت فرادى كانت الصلاة أبعد من الرّياء والتصنّع . وبالجملة الاختلاف فى أيّهما أفضل ، فأما تحريم الصلاة ولزوم الإثم بفعلها ، فمّا لم يذهب إليه إلّا الإمامية ، وقد روى الرواة أن عليًّا عليه السلام خرج ليلًا فى شهر رمضان فى خلافة عثمان بن عفان ، فرأى المصابيح فى المساجد ، والمسلمون يصلّون التراويح ، فقال : نوّر الله قبر عمر كما نوّر مساجدنا ! والشّيعة يروون هذا الخبر ، ولكن يحمل اللفظ على معنى آخر .

فأما حديث الخراج فقد ذكره أربابُ علم الخراج والكتّاب ، وذكره الفقهاء أيضا فى كتبهم ، وذكره أرباب السيرة وأصحاب التاريخ . قال قدامة بن جعفر فى كتاب "الخراج" : اختلف الفقهاء فى أرض العَنْوة ، فقال بعضهم : تخمّس ، ثم تقسّم أربعة أخماس على الّذين افتتحوها ، وقال بعضهم : ذلك إلى الإمام ، إن رأى أن يجعلها غنيمة ليخمّسها ويقسم الباقى كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر فذلك إليه ؛ وإن رأى أن يجعلها فيئا فلا يخمّسها ولا يقسمها ، بل تكون موقوفةً على سائر المسلمين ، كما فعل عمر بأرض السّواد وأرض مصر وغيرها ، ممّا افتتحه عَنْوةً ، فعلى الوجهين جميعا ؛ فيهما قدوة ومتبع ، لأن النبيّ صلى الله عليه وآله قسّم خيبر وصيّرها غنيمة ، وأشار الزّبير بن العوام على عُمر فى مصر وبلاد الشام بمثل ذلك ، وهو مذهب مالك بن أنس ، وجعل عمر السواد وغيره فيئًا موقوفًا على المسلمين ، مَنْ كان منهم حاضرا فى وقته ، ومَنْ أتى بعده ولم يقسمه ، وهو رأىٌ رآه علىّ بن أبى طالب عليه السلام ومعاذ ابن جبل ، وأشارا عليه ، وبه كان يأخذ سُفيان بن سعيد ، وذلك رأى مَنْ جعل الخيار إلى الإمام فى تصيير أرض العَنوة غنيمة أو فيئا راجعا للمسلمين فى كل سنة .

قال قدامة رحمه الله : فأمّا مافعله رسول الله صلى الله عليه وآله من تصييره خيبر غنيمة، فإنه عليه السلام اتبع فيه آية محكمة، وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] فهذه آية الغنيمة وهي لأهلها دون الناس ، وبها عمل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمّا الآية التي عمل بها عمر وذهب إليها علي عليه السلام ومعاذ بن جبل فيما أشارا عليه به ، فهي قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ إلى قوله :﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾[2]. انتهت ألفاظ قدامة .

وروى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، أنّ عمر همّ أن يقسم أرض السّواد بين الغانمين ، كما يقسم الغنائم ، ثم قال :فكيف بالآجام ومناقع المياه والغياض والمضب المرتفع والغائط المنخفض ؟ وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته بينهم ؟ أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض! ثم جمع الغانمين فقال لهم :ذلك ،فرضوا أن تقرّ الأرض حبيساً لهم يولونها من تراضوا عليه ، ثم يقتسمون غلّتها كلّ عام ، فقال عمر : اللهمّ إنّي قد اجتهدت ، وقد قضيت ماعليّ ، اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد .

فأما قول قاضي القضاة : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل لمتولّي أمر الأمّة ضرباً من الاختيار في الغنيمة ، وما ذكره من الفرق بين الرّجال والأموال ، وماذكره من أنّ الغانمين ليسوا مالكي الغنيمة ملكاً صريحا ، وإنما هو ضرب من الاختصاص ، فكلّه جيّد لا كلام عليه ، ولم يعترضه المرتضى بشيء ولا تعرّض له .

وأما قول قاضي القضاة : إنه رُوِيَ أنّ عمر فعل مافعل برضا الغانمين، وبأن عوّضهم

---

(١) سورة الأنفال ٤١ .

(٢) سورة الحشر ٧ ــ ١٠ .

عنه ، وإنكار المرتضى وقوعَ ذلك ، وقوله : إنه لم ينقل ، فقد بينا أن الطبرىّ ذكر فى تاريخه أنّ عمر فعل ذلك برضا الغانمين ، وبعد أن جمعهم وقال لهم ما استصلحه ، وما أدّى إليه اجتهاده ، فرضُوا به ، وأشهدوا الله عليهم والحاضرين.

وقد ذكر كثير من الفقهاء أنّ عمر عوّض الغانمين عن أرض السّواد ، ووقفه على مصالح المسلمين ، وهـذا ما رواه الشافعىّ ، وذكر حديث التّعويض أبو الحسن علىّ بن حبيب الماوردىّ فى كتاب " الحاوىّ " فى الفقه ، وذكره أيضا أبو الطّيب طاهر بن عبد الله الطبرىّ فى " شرح المزنىّ " .

وأما تعلّق قاضى القضاة بإجماع المسلمين ، فتعلّقٌ صحيح ، وطعن المرتضى فيـه بالتقيّة وموافقة الإمام المعصوم عَلَى الباطل طعنٌ يسمُج التعلّق به ، وللبحث فيه سَبح طويل .

وأمّا أمر الجزية ، فطريقه الاجتهاد ، وللإمام أن يرى فيه رأيه بمشاورة الصلحاء والفقهاء ، وقد قال قاضى القضاة : إنّ الخبر الذى ذكره المرتضى ، وذكر أنه مرفوع ، وهو « عَلَى كلّ حالمٍ دينار » خبر مظنون غير معلوم ، واعتراض المرتضى عليه بقوله : هب أنّ الأمر كذلك ، ألستم تزعمون أنّ خبر الواحد معمول عليه فى الفروع ! فهلّا عمِل عمر بهذا الخبر ، وإن كان خبر واحد ـ اعتراض ليس بلازمٍ ، لأنه إذا كان خبرَ واحد عندنا لم يلزم أن يكون أيضا خبر واحد عند عمر ، بل من الجائز أن يكون مفتَعلا بعد وفاة عمر ، ولو كان قد ثبت أن عمر سمع هـذا الخبر من واحدٍ أو اثنين من الصحابة ، ثم لم يعمل به ، كان الاعتراض لازماً ، ولـكنّ ذلك ممّا لم يثبت .

تم الجزء الثانى عشر من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء الثالث عشر


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس الموضوعات